أهل البيت عليهم السلام

الدور والمسؤولية

إعداد
يحيى قاسم أبو عواضة

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

أهل البيت عليهم السلام

الدور والمسؤولية

إعداد
يحيى قاسم أبو عوّاضة

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

الطبعة الثانية
١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

www.d-althagafhalqurania.com

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب ٣٣].

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين القائل: «**أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وهوى**» اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارضَ اللهم عن أصحاب رسول الله الأخيار، من المهاجرين والأنصار. وبعد..

من المهم جداً أن نعود لكي نتأمل في تاريخ أعلامنا وعظمائنا وهداتنا من نجوم العترة وأعلام الأمة، نتأمل في تاريخهم كيف كان اهتمامهم بالمسؤولية، كيف كانوا على مستوى عال من الصبر، والثبات، والبذل، والعطاء، والهِمَّة العالية، وما قدَّموه في سبيل الله سبحانه وتعالى وفي سبيل المستضعفين من عباده، وما واجهوه من طغيان في اتجاه آخر وتخاذل في اتجاه ثان.

هذا يزيدنا عزماً إلى عزمنا، وهمةً إلى همتنا، وصبراً إلى صبرنا، واستعداداً للبذل والعطاء إلى ما هو موجود، فلهذه الذكريات لهذه المناسبات أهميتها الكبرى، ومردودها المهم على المستوى النفسي، وعلى المستوى الثقافي والفكري، وعلى المستوى العملي.

وقبل ذلك لابد من معرفة منهم أهل البيت ودورهم، وكيف نتعامل معهم، وماذا يمثلون بالنسبة لنا وللدين وعلاقة التولي لهم بحرية وعزة وكرامة الأمة وسعادتها وخيرها في الدنيا والآخرة وغلبتها لأعدائها.

وهذا ما سنتحدث عنه بعون الله وتوفيقه وتسديده في هذا البحث من خلال ما ورد عن السيد حسين بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه)، وما ورد عن السيد عبدالملك بدر الدين حفظه الله.

نسأل الله أن يجعلنا من المتمسكين بأهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وأن يرزقنا السير على طريقهم وأن يحشرنا في زمرتهم، إنه سميع مجيب.

●●●

حتى يُقام الدين الإسلامي لا بد له من قادة وأعلام

هـذا الدين حتـى يمكن إقامته في الواقع، والنهوض بـه في الحياة، له ركائز أساسـية، ومعالم أساسـية، وهي: المنهج أولاً، القادة والرموز ثانيًا، المقدسـات التي تُمثِّل معالم في الأرض ثالثًا[1].

والدين الإسـلامي العظيم هو دين ودولة، نظام كامل للحياة، الإسلام الذي قال الله عنه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ﴾[المائدة:٣]. هذا الإسلام هو كامل، من كماله أن يشمل كل جوانب الحياة بالنسبة للإنسان سواءً الشؤون السياسية، أو الشؤون الاجتماعية، الشؤون الاقتصادية، كل شـؤون الإنسـان؛ لأن هـذا الدين بحقيقته بجوهـره هو نظام، يسير عليه الإنسان، نظام لحياة الإنسان، وشمل كل جوانب حياة الإنسان.

اكتمال الدين تم بتحديد مصادر الهداية

يقول السيد عبد الملك حفظه الله في خطاب الولاية لعام ١٤٣٩هـ:

اكتمال هذا الدين بشـمولية ما تناوله من شـؤون حياتنا كبشـر، حياة الإنسان كإنسان، وحياة المجتمع كمجتمع، كمال هذا الدين أن يكتمل فيما يشمله ويتناوله من كل ما له صلة بحياة هذا الإنسان، مما تتعلق به مسؤوليات هذا الإنسان، مما يترتـب عليـه فلاح هذا الإنسـان أو خسـرانه، هذا هو كمال الديـن، كمال يتصل بواقـع حياته، بشـؤون حياتـه، بمسـؤولياته، بمسـتقبله، أي: أن الدين لم يترك شيئًا ذا أهمية من شؤون هذا الإنسان إلا تناوله، من كبير الأمور وصغيرها، كل

(١) من ذكرى استشهاد الإمام علي للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي ١٤٣٤هـ.

شيء مهم من واقع هذا الإنسان، يحتاج فيه هذا الإنسان إلى هداية، يحتاج إلى توجيهات، إلى تعليمات من الله سبحانه وتعالى إلا وتناوله.

وكمال هذا الدين في اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية (يوم الغدير) هو من خلال إعلان مبدأ الولاية الذي سيحفظ لنا استمرارية الاتصال بمصادر الهداية، هذه النقطة المهمة جدًا، فلا نعود إلى الوضعية التي كان عليها المجتمع العربي وغيره في زمن الجاهلية.

إلى قوله:

توجيهات الله، وتشريعاته وتعليماته التي أتت من منطلق رحمته وهو أرحم الراحمين، من منطلق حكمته وهو أحكم الحاكمين، من منطلق علمه وهو المحيط بكل شيء علمًا، والعليم الخبير بمصلحة هذا الإنسان، وما يسعد هذا الإنسان، وما يصلح حياة هذا الإنسان، وهو الذي يريد الخير والسعادة والفلاح لهذا الإنسان، هو ربنا الرحيم بنا، الكريم العظيم العلي الحكيم، هو جل شأنه من لا يمكن لأي طرف، ولا لأي جهة أن يقدم لنا في واقع حياتنا لا تعليمات، ولا تشريعات، ولا توجيهات أهدى أو أرحم أو أحكم أو أنسب أو أفضل أو أرقى مما يأتينا من الله سبحانه وتعالى، وهو ربنا الذي له حق الربوبية علينا، وعلينا حق العبودية له، نحن عبيده، يجب أن نكون في حياتنا هذه متجهين على أساس توجيهاته وتعليماته وإرشاداته، وشرعه وأمره وحكمه، وهذا هو أساس الدين أصلا، الدين يمثل نعمة عظيمة من الله سبحانه وتعالى، وهو ينقذ هذا الإنسان من الارتباط بالمصادر الأخرى التي هي الطاغوت، الطاغوت الذي يستعبد هذا الإنسان، ويستغل هذا الإنسان.

البديل عن مصادر الهداية هم المضلون والطواغيت

الإنسان في واقع هذه الحياة إما أن يكون له علاقة وارتباط تام وتوجه على أساس دين الله وتعليماته وتوجيهاته، فيكون عبدًا لله متجهًا على أساس هديه ونوره، ومرتبطًا بمصادر الهداية من الله سبحانه وتعالى، وإما أن يكون في حالة أخرى هي ارتباط بمصادر أخرى تؤثر عليه، توجهه، تتحكم به، تستغله تستعبده، لا فكاك للإنسان بين أن يكون في اتجاه من هذين الاتجاهين أبداً أبداً.

وعندما نأتي إلى هذا الإسلام العظيم بنبيه وقرآنه فإن النعمة هي هذه النعمة، ارتباطنا بمصادر الهداية الإلهية، القرآن، كتاب الله، وحيه، كلماته، نوره، تعليماته توجيهاته، كلماته التامة بالعدل والحق والخير والرحمة والحقائق، ونبيه، رسوله، خاتم أنبيائه، محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي هو أيضًا صلة بيننا وبين الله، تلقى هذا النور- وأتى بهذا الوحي، أتى بهذا الهدى، بلغ هذه الرسالة.

ثم كان هو أول المسلمين، وأول المصدقين بهذا الحق، وأول وأعظم المتمسكين بهذا الهدى، وأعظم الخلق عبودية لله، والتزامًا بنهج الله سبحانه وتعالى، والقدوة والقائد الذي يتحرك بنا بناءً على أساس هذا الهدى، يربي على أساسه، يهدي على أساسه، يقيم واقع الحياة بناءً على أساس هذا النور وهذا الهدى.

مصادر الهداية هم صلة موثوقة وسليمة تصلنا بالله سبحانه وتعالى

مصادر الهداية الرسل والأنبياء صلة تصلنا بالله سبحانه وتعالى، صلة موثوقة، صلة سليمة، صلة صادقة، يصل من خلالها إلينا نور الله، هديه، تعليماته، نوره، فنزكوا بهذا الهدى، ونعتز بهذا الهدى، ونتخلص بهذا الهدى من كل أشكال الاستعباد والاستغلال، من كل قوى الطاغوت وأدواتها المضلة.

ولذلك نحن نلحظ وضعية ما قبل الإسلام كيف هي، ما قبل مجيء رسول الله ومجيء القرآن، كيف هو الوضع، كيف هي الحالة السائدة في واقع البشر، الحالة الخطيرة جدا الحالة الجاهلية هي حالة انفصال عن مصادر الهداية، هذه حالة الجاهلية، حالة الجاهلية، حالة انفصال عن مصادر الهداية ثم يخضع الإنسان- في ضل هذه الحالة من الانفصال عن مصادر الهداية- يخضع في توجهاته في الحياة، وانطلاقته في واقع الحياة لما يأتيه من قبل آخرين غير مصادر الهداية، قوى الطاغوت.

القرآن يسمي - الجهات الأخرى التي يرتبط بها الإنسان كبدائل عن مصادر الهداية- يسميها القرآن بالطاغوت، الطاغوت، كل تلك الكيانات أو الأشخاص، إما كيان وإما شخص، وإما منهج يرتبط به الإنسان كبديل عن مصادر الهداية، ثم يتأثر به يسير في هذه الحياة على ضوء ما يقدم إليه منه، على أساس ما يقدم إليه منه، تلك البدائل التي هي الطاغوت، ارتبط بها البشر، وارتبطت بها المجتمعات البشرية، تأثرت بها، تلقت منها المفاهيم، التصورات، الأفكار، وبنت على ذلك حياتها، بنت على أساس ذلك الحياة، المواقف، السلوكيات، التصرفات، التوجهات، ومن خلال ذلك يستغل هذا الإنسان، ويستعبد هذا الإنسان.

مع أن قوى الطاغوت وهي تسعى للتأثير على هذا الإنسان، التأثير عليه في تفكيره، في أفكاره، في تصوراته، في عقائده، في المفاهيم التي ينطلق على أساسها في هذه الحياة، فيما يعمل، فيما يترك، وفي مواقفه، وفي ولاءاته، وفي عداواته، وفي مختلف تصرفاته في هذه الحياة، أحيانا حتى قد تتخاطب مع هذا الإنسان حتى باسم الدين، وقد تنطق عن الله افتراءً على الله، وزورا على الله لكي تقنع هذا الإنسان؛ لأن قوى الطاغوت هي تدرك أن هذا الإنسان هو مفطور من الأساس على التدين، على التدين، على معرفة أو استشعار أن عليه أن يعبد الله، أن يطيع الله، أن يلتزم بأمر الله، على أن يعيش عبدا لله فتأت قوى الطاغوت حتى في كثير بل في أكثر الأحوال، وفي أكثر المجتمعات، وفي أكثر مراحل التأريخ لتخدع هذا الإنسان، وتضل هذا الإنسان، وتستغل هذا الإنسان، وتقنع هذا الإنسان بعقائد وأفكار وتصورات معينة، ومفاهيم معينة يبني عليها أعماله واتجاهاته في الحياة، وتحسبها على الله سبحانه وتعالى.

قوى الطاغوت كانت تتخاطب مع الناس حتى باسم الدين

قوى الطاغوت كانت تتخاطب مع الناس حتى باسم الدين، وكانت تأت إلى كثير من العقائد والأفكار والتصورات فترسخها في أذهان الناس، وتتحول إلى عقائد يعتقد بها الناس، ويتعصب لها الناس، و بناءًا على أنها دين يمثل دين الله، محسوبة على الله سبحانه وتعالى، وهي افتراء على الله سبحانه وتعالى، ثم في الحلال والحرام كذلك أشياء معينة يستحلها الناس بناءًا على أنها من حلال الله، وأشياء معينة يحرمها للناس بناءًا على أن الله حرمها، والمسألة هناك وهناك في العقائد، وفيما قدم بصفة الحلال وبصفة الحرام افتراءات على الله، وادعاء

كذب وبهتان على الله سبحانه وتعالى، يُقَدَّم من جهات محترمة في أوساط الناس، زعامات، شخصيات تُقَدَّم على أنها أحبار، رهبان، كهنة صفات معينة، وشخصيات وازنة في المجتمع، يتأثر بها الناس ويتقبلون منها، ويتأثرون بها، وبما تقدمه إليهم محسوبًا على الله سبحانه وتعالى، فالمسألة مسألة خطيرة جدًا.

حتى مثلًا في قصة المسجد الحرام وشعائر الحج، شعائر الحج كانت قائمة حتى في زمن المجتمع الجاهلي، في المجتمع الجاهلي شعائر الحج كانت قائمة، منذ العهد الإبراهيمي، توارثت الأجيال الحج من بعد نبي الله إبراهيم عليه السلام؛ ولكن اختلط في مشاعر الحج الكثير من الخرافات والمخالفات والعقائد؛ حتى أنهم أتوا إلى مكة؛ وحتى على سطح الكعبة بأصنام نصبت هناك، وشابت حتى عملية الأعمال وشعائر الحج شوائب كثيرة جدا فيما يقولون، وفيما يعبرون، وفيما يتصرفون مخالفة لدين الله، وحسبت على دين الله، حسبت على دين الله.

كان المشركون بأنفسهم هم المسيطرون على مكة بما هم عليه من شرك وكفر، بكل ما لديهم من خرافات وعقائد وتصورات واختلالات وتجاوزات وشوائب دخلت في عملية الحج بكلها، يسيطرون، وقدموا ذلك كواحدة من الوسائل التي يخادعون بها الناس؛ بل يقدمون أنفسهم بأنهم هم من يعبرون هم عن الدين الإلهي، فتتجه إليهم أنظار القبائل العربية على أنهم هم يمثلون الرمزية الحقيقية لهذا الدين، ويتأثرون بهم فيصدرون الكثير من العقائد الباطلة، والتصورات الخاطئة المحسوبة على دين الله سبحانه وتعالى.

أكبر مشكلة هي انفصال الناس عن مصادر الهداية الحقيقية

في ظل ذلك الوضع السيئ جدًا، والمستمر إلى مرحلة متأخرة، مثلا منذ بعث رسول الله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) بالرسالة الإلهية وحتى وفاته، على مدى عشرين عامًا من مبعثه بالرسالة وحركته بالرسالة على مدى عشرين عامًا، كانت لا تزال مكة تحت سيطرة المشركين، وكانوا هم الذين يديرون شعائر الحج، وكانوا هم من يسعون لتوظيف هذه السيطرة توظيفا في عملية التضليل، وصنع قناعات باطلة، وتصدير عقائد محسوبة على الله وعلى دينه، وكذلك أحكام شرعية في الحلال والحرام وغير ذلك لخداع المجتمع. فإذاً نأتي إلى أن أكبر مشكلة كانت هي انفصال الناس عن مصادر الهداية الحقيقية.

مسؤولية الهداية للعباد وتقديم الدين الحق إليهم مسألة ترتبط بالله سبحانه وتعالى

ولذلك الله سبحانه وتعالى ومسؤولية الهداية للعباد، وتقديم الدين الحق إليهم، وتقديم الطريقة الصحيحة لعبادة الله سبحانه وتعالى والبرنامج الفعلي الذي يعبر عن الله في هديه و تعليماته وتوجيهاته هي مسألة ترتبط بالله سبحانه وتعالى، ووفق الطريقة الإلهية هي التي تشكل إنقاذا حقيقيا للناس، ونوراً حقيقيا للناس، الله سبحانه وتعالى يقول ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل:١٢] مسؤولية الهداية للبشر، وتقديم التعليمات الإلهية للبشر، وتقديم دين الله الحق الذي هو دينه الفعلي، وتعليماته الحقيقية، وإيصالها بشكل صحيح ونقي إلى البشر، وطريقة إقامتها في واقع البشر، هذه مسألة تعود إلى من؟ إلى الله سبحانه وتعالى، وهو جل شأنه من يمتلك الحق في أن يحدد للعباد الطريقة التي يوصل

بها هذا الحق إليهم حتى لا يكونوا ضحية لقوى الطاغوت التي تفتري الكذب على الله، التي تخدع الناس بهدف السيطرة عليهم، تفتري على الله، وتقدم زورًا عقائد، أفكار، حلال، حرام، الزامات عملية تستغل بها الناس لمآربها، لأهوائها، لما تريده هي، لتتمكن من السيطرة والنفوذ والاستغلال والتحكم بالبشر وبثروات البشر، ولتستبعد هؤلاء البشر.

الله يقول ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ يقول جل شأنه ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل:٩] على الله هو مسؤوليته هو عندما يقول ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ وعندما يقول: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ يعني أنها من مسؤولياته سبحانه وتعالى باعتباره هو ربنا رب السماوات والأرض، وملكنا ملك السماوات والأرض وملك الناس، إليه هو أن يحدد للبشرية طريق الخير، طريق الفلاح طريق العبادة له، الطريق الصحيح والمنهج الحقيقي الذي يرسمه للناس ليسيروا عليه، أن يحدد هو الصراط المستقيم ومعالم هذا الصراط الذي تقودنا إليه، والتي تسير بنا فيه هذا إلى الله سبحانه وتعالى، ليس متروكًا إلى الناس في أهوائهم، في اقتراحاتهم، في مزاجهم.

الله هو من يحدد لعباده قناة الوصل به

ولذلك هو من يحدد لنا سبحانه وتعالى قناة الوصل به، من يوصلنا بالله، ويصلنا عبره هدى الله ونور الله وليست مسألة متروكة للناس في أمزجتهم وأهوائهم وشهواتهم ورغباتهم، ومتروكة للاستغلال، للاستغلال من قبل المجرمين، وكيانات الطاغوت والمضلين وأصحاب الأهواء ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ [النحل:٩] يعني هناك سبل كثيرة جائرة، ولكن الله سيتولى هو أن يرسم

لعباده الطريق الصحيح والصراط المستقيم ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾[يونس:٣٥].

فكيف يفعل الله سبحانه وتعالى هل الله مثلًا يتخاطب بشكل مباشر مع عباده كلهم؟ ويسمعون ندائه بشكل مباشر، وتعليماته بشكل مباشر، أم هناك طريقة معينة؟ الطريقة التي سنها الله سبحانه وتعالى مع عباده، وهي سنة تتناسب مع ما فطرهم عليه في واقع الحياة، وفطر وصمم عليه حياتهم في ما اعتادوا عليه وألفوه كمجتمع بشري، حياته ذات طابع اجتماعي وليست ذات طابع فردي، مجتمع نُظِّمت حياته، بُنِيت حياته حتى في طبيعة الخلق، وتنظيم شؤون الحياة كمجتمع مترابط بعضه ببعض، حياة اجتماعية، مجتمع يحتاج إلى قيادة واحدة، إلى منهج واحد، في واقعه الفطري يتجه على هذا الأساس، إن اتجه على أساس دين الله، وإلا اتجه بعيدًا عن دين لله لما يضله، ولكن على هذا الأساس منهج وقيادة، الله سبحانه وتعالى قال ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[الحج:٧٥].

الله سبحانه وتعالى الذي له حق الهداية لعباده، حق التشريع لعباده، حق أن يرسم لعباده منهجًا لحياتهم يسيرون عليه في هذه الحياة ليصلوا إلى الغاية التي يريدها لهم، وتتحقق لهم كل النتائج المرجوة من استخلافهم في هذه الحياة، أو تقوم عليهم الحجة إن لم يلتزموا، فالله هو من يمتلك هذا الحق ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤] ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[يوسف:٤٠] سنته مع عباده أن يصطفى من الملائكة وهم الملائكة رسلًا، يختار لهذا الدور- لإيصال هداه - يختار خصيصًا من بين أوساط الملائكة من يختاره لهذا الدور، مع أن الملائكة بكلهم مخلوقات صالحة ومستقيمة، يعني ما به ملائكة سيئين وملائكة صالحين لا.

ولكن لم تكن المسألة إلى أن يقول أي واحد من الملائكة يمكن أن يقوم بهذا الدور لا، يختار اختيارا من داخل الملائكة من يوكل إليه هذه المهمة وهذه الوظيفة، أن يوصل هديه عن طريق الوحي إلى من يصطفيه للناس رسولًا ليرسله إلى الناس ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ ومن أوساط المجتمع البشري، في الواقع البشري كذلك، المسألة هي مسالة من يوكل الله إليه هذه المهمة، ومن يحمله هذه المسئولية، ومن يختاره لهذا الدور، ليست مسألة انتخابات مثلا أن يطلب من عباده أن ينتخبوا لهم رسولًا أو نبيًا، فلو تركت المسألة إلى الاختيار البشري لكانت خاطئة جدًا.

يعني لو نأتي مثلًا إلى مجتمع مكة، في بداية حركة النبي صلوات الله عليه وعلى آله كم لقي من التكذيب! الأغلبية في مكة كفروا به وكذبوه بل قال الله عنهم ﴿قَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ [يس:٧] الأغلبية خذلوا، الأغلبية جحدوا بالحق، تنكروا للرسالة، كفروا بالرسول، أي: الأغلبية كانت إلى جانب (أبو جهل) و(أبو سفيان) ومكذبين بالرسول، ولو قيل لهم انتخبوا لاتجهوا إلى انتخاب (أبو جهل) أو (أبو سفيان) وكفروا برسول الله محمد صلوات الله عليه وعلى آله، بل كانوا يقولون هم فيما بعد: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١] غير هذا الشخص.

تأثرات الناس أحياناً في بعض المجتمعات، تفكيرهم ارتباطاتهم نظرتهم خاضعة لتأثيرات معينة، لتقييمات معينة لاعتبارات معينة ينشدون لمن يرونه صاحب سلطة وجاه وثروة ومال وقوة وليس إلى من هو الأجدر بحساب القيم والأخلاق والمبادئ والصلاحية الفعلية لحمل الرسالة الإلهية.

اعتبارات الاختيار لمصادر الهداية

هل صلاحية حمل الرسالة الإلهية مستوى ما تملكه من ثروة كتاجر كبير؟ أو مستوى النفوذ والسلطة كصاحب سلطة معينة، وسيطرة معينة على مجتمعك؟ أو وجاهة معينة بين المجتمع؟ لا، لها اعتبارات أخرى، اعتبارات أخرى تلحظ حتى في الخلق، عندما يخلق الله إنساناً يخلقه ويعده إعدادًا، ويهيئه تهيئة لهذه المهمة، ولهذا الدور العظيم، وليكون لائقًا بهذه المسئولية، وفي مستوى هذه المسئولية العظيمة والمقدسة، يقول عن نبيه موسى عليه السلام ﴿واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسي﴾ [طه:٤١] هكذا يقول الله له ﴿واصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسي﴾ وهنا يقول ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنْ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنْ النَاس﴾ يصطفي، يصنع خصيصًا، ويخلق خصيصًا لهذه المسئولية ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ لماذا؟ لأن هذه مسؤولية تعود إلى الله ﴿عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ ﴿إن عَلَينَا لَلَهُدَى﴾.

هذه هي مسئوليته سبحانه وتعالى، وهو إنفاذا لهذه المسئولية ورعاية لهذه المسئولية يفعل ما هو إليه، ما هو مسئوليته، ما هو حق إليه وليس من اختصاص الناس هي مسئوليته، كيف يوصل هديه إلى عباده، ثم هل في هذه المسألة ما يوجب حساسية من الرسل والأنبياء لا، كل ما يمنحه الله الرسل والأنبياء من مؤهلات عالية لحمل تلك المسئولية العظيمة هو يتجه إلى من؟ ولمصلحة من؟ للناس ذلك الرسول وذلك النبي فيما يمتلكه من مؤهلات عالية، فيما هو عليه من رحمة وحكمة وإرادة الخير، وسعة الصدر، وحرص عظيم على هداية الناس، ومحبة عظيمة لصلاحهم، وحكمة وذكاء، ومؤهلات كثيرة جدًا، وطهارة وأمانة وصدق.

وكل تلك المؤهلات عائدها لمن؟ مصلحتها لمن؟ خيرها لمن؟ فائدتها لمن؟ ثمرتها لمن؟ كلها للناس؛ ولهذا نجد مثلًا أن الله سبحانه وتعالى يخلق صفوة عباده، ويعد خير عباده لتحمل مسئولية الرسالة والنبوة، ويوصل من خلالهم هديه ونوره إلى عباده ليكونوا هم من يبلغون، ومن تنزل إليهم كتبه ويوصلونها إلى العباد، ويكونون هم من واقعهم البشري مؤمنين، ملتزمين، معبدين أنفسهم لله مطيعين لله، ويمثلون هم القدوة في الالتزام والتطبيق والعمل، وتعبيد أنفسهم لله والقيادة للبشرية في السير بها على أساس ذلك الهدى، وتربيتها على أساس ذلك النور، وتبصيرها بتلك البصائر، والعناية بها على ذلك الأساس، لما فيه خيرها وفلاحها.

الإنسان بشكل عام منذ بداية وجوده لم يتركه الله هملًا بقيت مسيرة الهداية على مر التأريخ، منذ حقب تاريخية مبكرة، الإنسان بشكل عام منذ بداية وجوده لم يتركه الله هملًا، بقيت مسيرة الهداية عبر الرسل والأنبياء وورثتهم الحقيقيون مستمرة وقائمة، وعلى مر التأريخ كان هناك من يتصدى للرسل والأنبياء، من؟ قوى الطاغوت التي تسعى إلى فصل الناس عن حلقة الوصل بهدى الله عن مصادر الهداية.

قوى الطاغوت كان أهم ما تركز عليه دائمًا أن تفصل الناس عن مصادر الهداية

قوى الطاغوت كان أهم ما تركز عليه دائمًا أن تفصل الناس عن مصادر الهداية، لماذا؟ لكي يبقى الناس مرتبطين بها، وخاضعين لها، ومتبعين لها، لكي تتمكن هي أن تكون الموجهة والآمرة، والمؤثرة والمستغلة، والمتحكمة بالناس،

ثـم تصيغ لهـم من الأفكار والتصـورات والعقائد، وتوجههم فيما يتناسـب مع مصالحها، فيما يعزز نفوذها، في سـيطرتها، فيما يُمكنها أكثر، والمسـالة في كلها هي مسألة استغلال واستعباد توظف لها عناوين، عقائد، تصورات، أفكار.

لاحظوا تسـعى قـوى الطاغوت إلى التصدي للرسـل والأنبيـاء، وإثارة كل الحساسـيات في سعيها لفصل الناس عن مصادر الهداية، يسعون في الصدارة للتكذيب بالرسـل والأنبياء، وفصل الناس عنهم، وإبعاد الناس عنهم، ويأتون لإثارة حساسيات يفترض أن تثار تجاههم هم وليس تجاه الرسل والأنبياء، من أول مـا أثاروه من الحساسـيات والعقد لتكذيب الأنبيـاء، وفصل الناس عنهم هـي بشـرية الأنبياء، كانوا يقولون هؤلاء ليسـوا إلا بشـرًا مثلنـا كيف يمكن أن يكون هذا البشر نبيًا؟! كيف يمكن أن نطيعه أن نتبعه وهو ليس إلا بشر مثلنا؟! ويجعلون من هذه المسالة مبررًا للتكذيب والجحود.

ثم يريدون من الناس في المقابل أن يطيعوهم هم، وهم ليست المسألة عندهم متوقفة في أنهم بشـر فحسب، إنما هم بشر قد فقدوا بشريتهم وإنسانيتهم، يأتي طغـاة مجرمـون، ضالـون ظالمـون، مفسـدون لا يمتلكـون أي مؤهلات حتى إنسانية يتحكمون بالمجتمع، يقدمون كل ما يمكن أن يعزز نفوذهم وسيطرتهم عليـه، ثـم يعملون علـى فصل هذا المجتمع عـن مصادر الهدايـة الإلهية، كيف تتبعون أولئك ليسـوا إلا بشـرًا؟ اتركوهم، وهذا ما كانوا يركزون عليه ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ • وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾[المؤمنون:٣٣ ـ ٣٤].

كيف تطيعون بشرًا مثلكم؟! هذا لا يمكن أن يكون نبيًا، لا يمكن أن يكون

متَبَعًا وأن يُطاع، لا، هذا مجرد بشر اتركوه، لا تسمعوا له، لا تستجيبوا له، لا تصدقوه، كانوا يتحركون على هذا الأساس، كانوا يقولون ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾[فصلت:١٤] لو شاء لأنزل ملائكة، يكون النبي من الملائكة، ويأتي إلى واقعنا البشري فيتخاطب معنا باعتباره من الملائكة ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[الزخرف:٢٤]يقولون ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان:٢١] استكبار كبير جدًا، ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الحجر:٨] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان:٢٢].

بشرية الأنبياء ليقدموا من واقعهم النموذج والقدوة

وكما قلت هم يثيرون هذه الحساسية تجاه الأنبياء، مع أنها يفترض أن تثار ضدهم هم، هم ليسوا إلا بشر، ولكن بشر ضالون مجرمون تائهون، أما بشرية الأنبياء، وكونهم من البشر هذا أمر مطلوب، أن يكون في واقعه كبشر؛ لأنه معني في تبليغ هذا الدين، أن يكون هو من واقعه البشري يقدم النموذج، ويقدم القدوة، ويقدم القيادة في تطبيق هذا البرنامج الديني، يعني لو أتى مثلًا مَلَكٌ من الملائكة ليخاطب الناس اعملوا كذا، وافعلوا كذا، ولا تفعلوا كذا، والله أمركم بكذا، ونهاكم عن كذا سيقولون له أنت من الملائكة، أنت ما تعرف واقعنا كبشر، نفسياتنا كبشر، الواقع الذي نعيشه في مشاعرنا ورغباتنا وشهواتنا كبشر، أنت استطعت أن تلتزم بهذا الدين لأنك من الملائكة، ليس عندك ما عندنا كبشر.

لكن عندما أتى النبي وهو بشر، ثم كان هو أول من يلتزم بدين الله، بتعليمات

الله، بتوجيهات الله، ومن يمثل القدوة والأسوة في التطبيق والالتزام والعمل كان ذلك اقرب أثرًا، وأعظم حجةً في الواقع البشري، وحتى أكثر أنسًا في الواقع البشري، بل هذه نعمة على البشر أن يجعل منهم في ماهي سنة من سنن الله سبحانه وتعالى مع عباده.

أيضًا نعمة من واقع البشر أن يبعث فيهم رسولاً من أنفسهم حتى في الانسجام، في الاطمئنان، في العلاقة، في أشياء كثيرة واحد منهم، أولئك يثيرونها كحساسية ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [ابراهيم:١١] يثيرون هذه الحساسية.

عندما يفشلون في إثارة هذه الحساسية يقولون لا بأس بشر جيد، يكون بشر ما هناك مشكلة في الأخير لكن لماذا لا يكون شخصاً آخر؟ لماذا يكون هو ذلك بذاته؟ بنفسه؟ لماذا لا يأتي الهدى هذا إلى الجميع.

مثلاً؟ ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ [ص:٨] لماذا لا يأتي للزعيم الفلاني كذلك؟ والشخصية الفلانية؟ وفلان الفلاني؟ حسد، يثيرون مسألة الحسد والعُقد غير المبررة، ولماذا يختص الله ذلك أن يجعله رسولًا؟ لماذا أبو سفيان أبو جهل أبو فلان أبو علان والزعيم الفلاني والتاجر الفلاني؟ لماذا ما يكونون الكل رسل وأنبياء؟ ويقدمون الكثير من المقترحات ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر:٥٢] كل واحد يشتي يصير عنده وحي وكتاب، وتنزل عليه الملائكة، وهذه العُقد ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١] ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ [هود:١٢] اقتراحات وأطروحات كثيرة يقدمونها.

كل ما في الأمر أنهم يسعون لفصل الناس عن مصادر الهداية ليقدموا

أنفسهم كبديل يتمكن دائماً من التحكم بالناس، التحكم بهم في أفكارهم، في ثقافتهم، في عقائدهم، في تصرفاتهم، في سير حياتهم للاستغلال والاستعباد، هذا كل ما في الأمر، هذا كل ما يريده الطاغوت الذي يقدم نفسه بديلًا عن منهج الله سبحانه وتعالى.

وإذا قدم نفسه بديلًا هو يستخدم العناوين الدينية، يمكنه أن يستخدم كل العناوين الدينية، عقائد باسم الدين، أعمال باسم الدين، شعائر للدين، حتى المساجد ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [التوبة:١٧] ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة:١٩] ولذلك نلحظ أن المسألة الرئيسية في سنة الله وهداية الله أنه جلّ شأنه هو من إليه أن يحدد مصادر الهداية التي نرتبط بها، باعتبارها مصادر للهداية عبرها يصل إلينا الهدى بكل ثقة، بكل أمانة، بكل مصداقية، إذا فُصلنا عنها ضعنا، ولو بقيت لنا عناوين الدين باسم الدين، بل تهنا بل نستغل بشكل كبير جداً.

الأمة إذا فارقت هذا المبدأ ستفتح على نفسها كل النوافذ التي يطل منها كل ضال ومتجبر وطاغية

الأمة إذا فارقت هذا المبدأ ستكون ضحية، ضحية للتضليل، ستفتح على نفسها كل النوافذ التي يطل منها كل ضال وكل متجبر وكل طاغية، في موقع ليقدم نفسه في موقع القيادة، وليقدم نفسه في موقع الهداية.

عندما تنفصل الأمة عن مصادر الهداية فتحت المجال لكل أولئك من الطواغيت والجائرين والمتسلقين والظالمين والمستكبرين والمضلين ليقدم كلٌ

منهم نفسه في موقع القيادة، وليقدم الآخر نفسه في موقع الهداية، فذاك ينطق عن الله زورًا، ويفتري عليه كذبًا، أو يخلط الحق بالباطل على مثل ما كان عليه بنو إسرائيل لينفّق باطله بما يرفقه معه من قليل من الحق، والآخر ليخضع الناس له، والكل لاستغلال الناس.

دور القادة والأعلام

البلاغ والتبيين والتجسيد للدين

وهذه مسألة واضحة عندما نعود لنتأمَّل في كتاب الله سبحانه وتعالى المنهج الإلهي لم يكن ليقوم، ولا لينتشر ولا ليلقى القابلية في واقع البشر بدون رموزه، بدون أعلامه الذين قاموا بدورٍ متعدد من خلال البلاغ والتبيين، والتوضيح وإقامة الحجة، ومن خلال التجسيد للمبادئ، والقيم والتمثيل العملي لها في واقع الحياة، وإبرازها عمليًّا في الواقع العملي؛ ليرى الناس عظمتها، وليرى الناس جمالها، وجلالها، وجاذبيتها الكبيرة في الواقع، وإمكانية تطبيقها بما يترتَّب على تطبيقها من آثار ونتائج إيجابية في واقع الحياة.

ولأهمية الأمر وباعتباره من ضروريات المشروع الديني نجد أن الله سبحانه وتعالى خاطب نبيّه الكريم وهو في مقام النبوة، يتنَزَّل عليه الوحي، يصل إليه الهديُ الإلهي وتعليمات الله سبحانه وتعالى في إطار الوحي الإلهي غضةً طريَّة.

في مقام الوحي وفي مقام النبوة، الله سبحانه وتعالى يقدم له في كتابه الكريم قائمةً من أسماء الأنبياء والرسل فيعددهم ثم يقول عنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى

﴿اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ [الأنعام:٩٠] يخاطب من؟ يخاطب النبي محمدًا (صلوات الله عليه وعلى آله) في مقامه، وفي موقعه من النبوة والوحي، يوحى إليه، على ارتباط مباشر بهدى الله سبحانه وتعالى، وبالوحي الإلهي.

ومع ذلك يوجِّهه إلى أن يهتدي وأن يقتدي بأولئك السابقين من الأنبياء والرسل أن يرتبط بهم كرموز، وهداة، أن يرتبط بهم في موقع القدوة.

في إطار الدين في إطار المشروع الديني لا بد من القدوة، لا بد من الأعلام، لا بد من الرموز، لا بد من الهداة الذين نرتبط بهم في إطار الدين نفسه فنقتدي بهم، ونهتدي بهم، ونتخلّق بأخلاقهم، ونتأثّر بهم، ويمثِّل ارتباطنا بهم عاملًا مهمًّا في أن نرتبط بالمشروع الديني ذاته، في أن نتخلّق بأخلاقه، في أن ننطلق من خلال مبادئه، في أن نلتزم بتعليماته، نرى فيهم هم، نرى في معالم حياتهم، في سلوكياتهم، في مواقفهم، في حركتهم في الحياة الشواهد لهذا الدين، في عظمته، في جاذبيته، في تأثيراته المهمة.

ولأن المسألة أساسية نجد أن الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، في سورة الفاتحة التي نتلوها في كلّ صلاة فنقول فيها: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ • صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٦،٧] في الوقت الذي نطلب من الله ونتوجّه إلى الله أن يهدينا إلى صراطه المستقيم قال الله عن هذا الصراط المستقيم أنه ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٧] صراط له أعلامه، له رموزه، له هداته الذين نهتدي بهم، وهم لنا القدوة، وهم لنا القادة، وهم لنا من يُجسّدون معالم هذا الدين، وحقائق هذا الدين، ومبادئ هذا الدين، وأخلاق هذا الدين، وبطريقة صحيحة.)[1]

(١) من ذكرى استشهاد الإمام علي للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي ١٤٣٤هـ.

الحفاظ على الدين من التحريف

فهم يمثّلون الضمانة في التطبيق الصحيح، والتطبيق السليم للدين، والحفاظ على مفاهيمه من التحريف؛ لأن الدين وهذه حالة حصلت حتى في الرسالات السابقة، بعد الأنبياء السابقين، بعد موسى بعد عيسى، وغيرهم من الرسل، والأنبياء أن الدين الإلهي يتعرض في مراحله المختلفة، وفي إطار الرسالات السابقة يتعرض دائمًا لعملية تحريف، تحريف لمفاهيمه، وتحريف لقيمه وأخلاقه، وتحريف لمبادئه، وتحريف دائمًا يُحسَب على الدين نفسه، وباسم الدين نفسه، ومن خلال عناوين الدين نفسه.

دائمًا ما تطرأ عملية التحريف للمفاهيم الدينية ومن خلال رموز مضلين لديهم قدرات فائقة على التضليل والخطاب، على التضليل للناس، ولديهم القدرة على توظيف الخطاب الديني نفسه من خلال تحريف مفاهيمه وقلب مبادئه رأسًا على عقب؛ يستطيعون من خلال ذلك التضليل للكثير من الناس، والخداع للكثير من الناس، عوامل متعددة تُسهم في عملية التحريف للمفاهيم الدينية.

عندما ينتصر الدين ويصبح حقيقةً واقعةً ثابتة، ويرى فيه الآخرون أنه في ظهوره، في ثقله في انتصاره، في هيمنته في الواقع، أصبح ثابتًا راسخًا لا يمكن أبدًا التخلُّص منه ولا إزالته، أصبح ارتباط الناس به ارتباطًا وثيقًا ثابتًا لا يمكن فصلهم عنه.

يرى الآخرون وفي المقدمة ملوك الجور، والظالمون، والطغاة، والمستكبرون، والمفسدون في الأرض يرون في هذه الحالة حالةً معقَّدة، تعني انتصار الدين، وارتباط الناس الوثيق به فلا يمكن فصلهم عنه، ويرون في نظرتهم إلى الدين أن جملةً أساسيةً من مفاهيم الدين هي التي تمثِّلُ بالنسبة لهم خطرًا كبيرًا،

وعائقًا كبيرًا عليهم في إمكانية أن يهيمنوا على الناس بظلمهم بفسادهم بشرهم بطغيانهم باستكبارهم بفسادهم، وبما أن عملية فصل الناس عن الدين بالكامل، وإزاحة الدين والرسالة الإلهية بالكامل من واقع الحياة مسألة صعبة غير ممكنة، يعْمِدون إلى توظيف مفاهيم الدين بعد تغييرها وقلبها من خلال علماء السوء، دائمًا ما تتم عملية التضليل والتحريف للمفاهيم الدينية من خلال علماء سوء هذه من الحقائق الثابتة.

علماء سوء لديهم قراءة، ولديهم إطلاع على المفاهيم الدينية والمعارف الدينية، يقومون هم بتحريف المعاني والمفاهيم وتزييفها وقلبها إلى ما يتطابق مع رغبات وأهواء ملوك الجور، وسلاطين الظلم، والحكومات الجائرة حتى يتهيأ لها أن تحكم، أن تسيطر، أن تتغلب، وبدون أن تحتاج إلى أن تدخل في صدامٍ عنيف مع المجتمعات التي آمنت بالرسالة الإلهية، وأصبحت على ارتباط وثيق بها..[1]

ابتعاد الأمة عن الأعلام يجعلها قابلة للتحريف والتضليل

فإذا أراد الناس أن يكونوا في واقعهم مرتبطين بالمنهج من دون رموز، من دون أعلام، هنا تكون هناك قابلية كبيرة لعملية التحريف والتضليل، يعني من أتى على الناس وقرأ عليهم نصوصًا دينية (قَوْلَبَهَا) كما يشاء، لديه قدرة في (قَوْلَبَة) النصوص والتلعُّب بها، أو إنزالها في غير محلها، في غير مصاديقها، تقبَّل الناسُ منه.. وهنا ينجح الآخرون في عملية التحريف إلى حدٍّ كبير، ويستطيعون أن يُحَوِّلُوا من عملياتهم التضليلية والتحريفية إلى معتقدات، وأفكار، ومفاهيم، وثقافات يصبح لها جمهورها الواسع المؤمن بها، المقتنع

(١) من ذكرى استشهاد الإمام علي للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي ١٤٣٤هـ.

بهـا، المتحـرك على أساسـها، تُدَرَّس فـي مدارس، تُكْتَـب لها كتـب، تُنَزَّل في محاضرات وهكذا. وتصبح ثقافةً سـائدة وقد تمشـي عليهـا أجيال، جيل بعد جيـل وهكذا تمتد عبر الزمن، ويتدين النـاس بها، يتدين الناس بضلال وباطل ويعتبرونه قربةً يتقربون به إلى الله سبحانه وتعالى.

ولذلـك المشـروع الديني في أساسـه هـو ديـن الله الحكيم، ديـن الله الذي هـو أحكم الحاكمين، والله سـبحانه وتعالى جعل دينه فـي معالمه، في ركائزه، في طبيعة المشـروع نفسـه على النحو الذي يضمن سـلامته، سـلامته للأجيال، سـلامته للبشـرية، فللدين رموزه، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْـتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦] في الوقت نفسـه ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحـة:٧] هؤلاء الرموز هؤلاء الأعـلام الذين هم للدين تَرْجُمَانُه، ولسـانه، وهم مصاديقه العملية في الواقع، هم تَرْجُمَانُه وهم يُبيّنون، وهم تَرْجُمَانُه وهم يعملون، فنستفيد منهم في معرفة المفاهيـم الصحيحـة للدين فيـما بيّنوا فيما بلَّغُـوا فيما قالوا فيـما تحدّثوا، وكذلك فيما فعلوا في أعمالهم في سـلوكياتهم في مواقفهم في تصرفاتهم، نسـتفيد منها كذلك نجد فيها المصاديق الحقيقية للمفاهيم الدينية والخطاب الديني.

فهـذه تُمثِّـل ضمانـةً للأمـة ضمانـة للأجيـال ألاّ يؤثـر فيهـا لا المضلـون ولا المحرِّفون، حينما ترتبط بالمشـروع الإلهي، برموزه وأعلامه، وليس فقط ارتباطًا مجتـزأً يتجه فقط إلى الخطـاب الديني أو إلى المفاهيـم الدينية ومن جاء ضلّل ولعِب وحرَّف، وتقبَّلتْ منه الأمة، وتأثّر به الناس.[1]

(١) من ذكرى استشهاد الإمام علي للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي ١٤٣٤هـ.

الأنبياء هم طلائع الرموز والأعلام

الأنبياء هم طلائع الرموز هم الرموز الأساسيون، الأنبياء والرسل هم في واقعهم العملي والسلوكي، وحركتهم في الحياة، وقيامهم بالمشروع الديني؛ لأنه عادةً ومن ضمن الوظائف الأساسية للرسل والأنبياء أنهم ليسوا فقط مبلِّغين بالكلام والحديث والبيان، بل عادةً هم يعملون هم على إقامة تلك المبادئ، والقيم، والأخلاق على إقامة الدين بتفاصيله الأخلاقية وغيرها.

فهم يعملون على إقامة الدين وبالتالي: يتحركون في إطار مشروع عملي للنهوض بالدين في واقع الناس، وفي واقع الحياة، الأنبياء والرسل في المقدمة[1].

وبعد الأنبياء ورثتهم الحقيقيون

ومن بعد الأنبياء والرسل أكيد هناك امتداد لورثتهم الحقيقيين الصادقين الذين يمثلون حلقة الوصل من الرموز والأعلام والعظماء والهداة، حلقة الوصل المأمونة التي يمكن الوثوق بها والاطمئنان إليها في أنها هي ستقدم الدين على نحوٍ صحيح، وأنها هي من يجب أن ترتبط بها الأمة في ظل المشروع الديني من موقعها في القيادة، وهكذا هو الحال مع أهل البيت (عليهم السلام) ليكونوا هم من يتحركون بهذه الأمة وهم يربونها وهم يعلمونها وهم يرشدونها وهم يقدمون لها مفاهيم هذا الدين وهم يجسدون مبادئ هذا الدين في الواقع العملي وهم يجهدون ويجاهدون للحفاظ على مفاهيم هذا الدين كي لا تتغير بفعل تحريف المحرفين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.[2]

---

(١) من ذكرى استشهاد الإمام علي للسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي ١٤٣٤هـ.

(٢) المصدر السابق.

سنة الله في الاصطفاء عبر التاريخ

الله سبحانه وتعالى هو الذي له الحكم والأمر في عباده

يقول السيد حسين بدر الدين الحوثي في الدرس الثالث عشر من دروس رمضان:

من قول الله تعالى: ﴿قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: الآية٢٦] إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران: الآيات من ٣١ - ٣٤].

تقرر هذه الآيات كلها وكثير من أمثالها في القرآن الكريم مما قد سبق، وبقية السور أي: هي تؤكد وتقرر قضية: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي له الحكم والأمر في عباده، هو الذي خلق الخلق، هو الذي له ما في السموات وما في الأرض، وهو على كل شيء قدير فهو يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء.

تنتهي القضية بالنسبة للناس إلى التسليم المطلق لأمر الله

فدور الناس أو تنتهي القضية بالنسبة للناس إلى التسليم المطلق لأمر الله سبحانه وتعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ﴾ تدَّعون أنكم تحبون الله.

﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ هذا مؤشر وعلامة للتسليم لله سبحانه وتعالى، وليس كل

واحد من عنده من هنا ومن هنا فاتبعوني ليحببكم الله. الله قد جعل علامة التسليم له ومصداقية حبه أن يتبعوا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

ثم قال بعد: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ﴾[آل عمران: من الآية ٣٢] اتباع طاعة قد يكون الاتباع فيه نوع من الشعور بالقسرية بالكراهية بنوع من الثقل على النفس، لكن يجب أن يكون على هذا النحو: الاتباع لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) اتباع طاعة ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ﴾[آل عمران: من الآية ٣٢] هذا الرسول وإن لم يكن منكم، وإن لم يكن من بني إسرائيل، الله هو الذي له الحكم والأمر في عباده، يجب أن تسلموا له والقضية لم تخرج عن السنة الإلهية في موضوع الاصطفاء، في موضوع الاصطفاء: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ..﴾[آل عمران: من الآية ٣٣] إلى آخر الآية، ومحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) هو من آل إبراهيم اصطفاء ذرية بعضها من بعض، فهذا الرسول الذي أمرتم بطاعته والذي جعلت طاعته علامة لمحبتكم إن كنتم صادقين في دعواكم الحب لله هو نفسه أصطفي واختير؛ لأن هذه هي سنة إلهية: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِيْنَ﴾[آل عمران: الآية ٣٣] فهو اصطفى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ليكون رسولاً للعالمين.

هنا لاحظ في مسألة الاصطفاء كيف يأتي بالشكل الذي نحاول دائماً أن نتحدث به لنفهمه جميعاً قضية (الدوائر) اصطفى آدم ونوحاً، اصطفى آل إبراهيم وآل عمران، أليس آل عمران من آل إبراهيم؟ داخل آل عمران أسرة عيسى، وسيأتي الحديث بالنسبة لمريم بنت عمران ونذر والدتها، اصطفى آل إبراهيم كدائرة يصطفي من داخلهم أنبياء، ويصطفي من داخلهم ورثة للكتاب لمن يصطفيه على هذا النحو دور، وللدائرة هذه دور هام جداً، ودور هذا ودور

هذا كله يتوقف على مدى التمسك بالكتاب، ويأتي التأكيد للكل أن يتمسكوا بالكتاب.

لماذا الاصطفاء وما الغاية منه؟

اصطفاهم لحمل مسؤولية، إقامة دين الله، أن يكونوا هم من يحرصون على أن يجسدوا قيم الدين ويمثلوه في سلوكياتهم في واقعهم في مجتمعهم حتى تظهر قيمة هذا الدين أمام الآخرين لينجذبوا إليه وتظهر عظمته في نفس الوقت كشهادة على أنه على أرقى مستوى، وأن البشر لا يستطيعون على الإطلاق مهما حاولوا أن يقننوا لأنفسهم أو يضعوا مناهج ثقافية لأنفسهم لا يستطيعون أبداً أن يرتقوا إلى جزء مما يمكن أن يتحقق على طريق الالتزام بهدى الله سبحانه وتعالى.

وكما نؤكد دائماً بأنه هكذا مسألة الاصطفاء، التفضيل هي كلها مسئوليات، ومن اصطُفي سواء اصطفاء شخصي أو اصطفاء على مستوى دائرة معينة تجد الخطاب لهم دائماً أن يتمسكوا بالكتاب، يقول لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله): ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾[الزخرف: من الآية ٤٣] ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[هود: من الآية ١١٢] ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[الشورى: من الآية ١٥] ويقول للكل: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾[البقرة: من الآية ٦٣].(١)

الاصطفاء فضل يترافق معه مسؤولية

يقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا لبني إسرائيل: ﴿يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:٤٧] تفضيلهم

(١) الدرس الثالث عشر من دروس رمضان، للسيد حسين بدر الدين الحوثي.

على العالمين: بمعنى أعطاهم شيئاً هو يعتبر فضلاً، أليس الله سبحانه وتعالى يذكر أن النبوة نفسها هي فضل؟ ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[النساء: من الآية ١١٣] هي رحمة: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[البقرة: من الآية ١٠٥] فالفضل معناه: أعطوا أشياء، أوتوا الكتاب، الحكم، النبوة، أورثوا الكتاب، أليست هذه تعتبر فضائل أعطوها؟ لكن عادة - ويجب أن نفهم هذه القضية دائماً - أن هذه الأشياء يترافق معها مسؤولية، مسئولية وليست فقط أوسمة هكذا، أبداً، كلها يترافق معها مسؤوليات؛ ولهذا ترى أنه أعطاهم هذا الفضل لكن عندما فرطوا فيما يعتبر مسؤولية مقترنة بهذا الفضل كانت النتيجة سيئة عليهم في الأخير، فوجدناه لعن هؤلاء الذين ذكر أنه فضلهم على العالمين لماذا! فضّله يوم ولعنه ثاني يوم؛ لأن القضية ليست مجردة، ليس تفضيل بحت، إعطاء أشياء هي مسؤوليات.

فأنت يقال أنت حصلت على فضل من هذا كان فضلاً فعلاً عليك من الله أن أوكل إليك هذا الموضوع الذي هو يعني: مسؤولية أمام الآخرين تتحرك به في الحياة، تتحرك به مع الناس، تلتزم به أنت، وتعمل بتوجيهاته بالنسبة للآخرين يعني: ليست المسألة بالنسبة لله سبحانه وتعالى أنه يأتي يصنف عباده هكذا باعتبار الجنس مجرداً عن أي اعتبارات، هذه لا أعتقد أنها تحصل، كلها قضايا مقترنة بمسؤوليات، مهام ومسؤوليات، هو فضل كبير عليك أن يكون الله سبحانه وتعالى اختصك بشيء هو يعتبر مسؤولية، أليس هو يعتبر فضلاً عليك؟ لكن هذا الفضل لن يكون له قيمته بالنسبة لك إلا عندما تتحرك وفق المسؤولية المقترنة به؛ لأنه هو في الواقع مسؤولية، الفضل اعتبره في كلمة مسؤوليات، تتحرك إذا لم تتحرك نسف وفي الأخير يصبح هذا أسوأ.

ألم نجد في القرآن الكريم ضرب أمثلة لمن حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار، عندما لم يحملوها ضرب لهم أسوأ مثل. عادة قد تكون المسؤوليات هذه تترافق بمؤهلات، هذه المؤهلات نفسها هي تساعدك على القيام بالمسؤولية هذه، فإذا لم تقم بالمسؤولية هذه، قد تتحول مؤهلاتك إلى شر.

بنو إسرائيل هم يبدو لديهم ذكاء باعتبار عندهم نفوس ذكية عندهم خبث، شياطين، مثلما يقول البعض: (فلان شيطان) إذاً هذه كان المفترض أن هذه تسخر في ماذا؟ في النهوض بمسؤوليتهم؛ لأنه عادة المسؤوليات تحتاج إلى نفسيات كهذه، حتى أنت عندما تختار لمهمة من المهام، عندما يأتي رئيس دولة أو أي شخص يريد أن يكلف أشخاصاً بمهام، ألا يحتاج إلى أن ينظر إلى ما لدى هذا الشخص باعتبار نفسيته، ومؤهلاته؟ هل هو سيكلف شخصاً غبياً؟ لا. وإنما سيكلف شخصاً يرى فيه مقومات النهوض بهذه المسؤولية. إذا لم يتحرك إذا لم يشغل هذه المؤهلات هذه المقومات التي تعتبر مساعدة على النهوض بالمسؤولية، إذا لم يشغلها في هذا الإطار، في ماذا؟ في مجال مسؤوليته، تتحول إلى شر. الآن خبث بني إسرائيل أليس الناس يصيحون منهم في العالم الآن، وهم قليل لكن عندهم خبث يعرفون كيف يشتغلون كيف يخططون، عندهم الاستمرارية، الجدية هذه.

هذه القضية هي أساساً من الأشياء التي تعتبر ضرورية لمن يعطون مسؤوليات، أو لمن يوكل إليهم مسؤوليات ومهام، هل أنت يمكن أن توكل مهمة إلى شخص ليس عنده اهتمام ولا هو مستعد في نفسيته، يعني: كسلان لا يبالي؟ أو تريد شخصاً يتحرك فيها؟ إذاً قد تكون اختصاصات من هذا النوع هي كلها معناها: منحة يعطيها الله وكلها مرتبطة بهذا الدور المنوط بهم،

مثل العلم نفسه، أليس العلم نفسه هو يعتبر مسؤولية؟ لكن عندما تتجرد عن الاهتمام بهذه المسؤولية، فيمكن يتحول إلى شر فيمكن أن تحكم أحكاماً باطلة، أليس من الممكن أن يحكم أحكاماً باطلة مقابل فلوس؟ وإذا به أصبح يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، وقد صار لديه معرفة كيف يوظف الدين للحصول على ماديات، وقد عنده ذكاء، ذلك الذكاء الذي كان المفروض أنه كيف يوظفه في إصلاح الناس، وفي دعوة الناس إلى الله، وإرشاد الناس إلى الله، وإذا هو قد صار يوظف هذا الذكاء في كيف يستثمر من ورائه.[1]

مؤهلات للنهوض بمسؤولية

فالقضية هي على هذا النحو: مؤهلات للنهوض بمسؤولية هي أشياء لا بد أن تكون لها قيمة في الواقع، لكن تتعطل قيمتها عندما تترك المسؤولية فتتحول إلى شر.

تحول ذكاؤهم تحولت جديتهم واستمراريتهم هذه الروح العملية لديهم الروح الحركية لديهم، تحولت إلى ماذا؟ إلى شر، تصبح هي وبالاً كثيراً عليهم، تصبح شراً عليهم هم، ألم يقل في آية سابقة في (سورة البقرة):

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة: من الآية ٩] في الأخير يصبح ذكاؤهم، تصبح روحيتهم الحركية العملية مصدر شر كبير يتضاعف عليهم، بدل ما كان المفروض أن يكون مصدر أجر كبير وفضل يتضاعف لهم[2].

(١) الدرس الرابع من دروس رمضان، للسيد حسين بدر الدين الحوثي.

(٢) المصدر السابق.

الاصطفاء هو سنة إلهية تنسجم مع التكريم للإنسان

عندما نعرف مسألة التفضيل، بأنها تكون على هذا النحو: ليس هناك تفضيل إلا وهو يقوم على مسؤولية، وتناط به مسؤولية، قاعدة عامة فيما نفهم، أنها تكون كلها على هذا النحو. وإذا فهمنا التفضيل على هذا النحو فسيفهم الناس بأنه في الأخير القضية تعود بالشكل الذي فيه منفعة للناس، منفعة للناس هم، لصالحهم هم، لهذا نقول: أنها قضية مرتبطة حتى بجانب الصحة، بجانب الذكاء، بجانب المواهب، بجانب المال، أن تكون ممن فضلك الله بنسبة من المال أكثر من الآخرين تأكد بأن هناك مسؤوليات، وحقوقاً منوطة بهذا التفضيل.

إلى أن يقول:

لأنه من تكريم الله للإنسان، من تفضيل الله للإنسان الذي قال عنه:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[الإسراء:٧٠].

ألم يقل هنا: بني آدم تكريم وتفضيل، من التكريم لك، من التكريم للإنسان، من التفضيل للإنسان أن يصطفى له من يهديه، أن يقدم له هدى بالشكل الذي يليق بتكريمه، بالشكل الذي يليق بتفضيله على كثير ممن خلق الله من المخلوقات الأخرى. فعندما نرى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) شخصاً كرمه الله وفضله واصطفاه تجد أنه في الأخير يقول بأنه أرسله على هذا النحو العظيم للعالمين، رحمة للعالمين. إذاً أليس في هذا تكريماً لنا؟ تكريم للناس أن يكون من يهديهم، من يقودهم، من يرشدهم، من يعلمهم شخصاً يُصطفى، شخصاً يُختار لهذه المهمة التي هي تكريم وتفضيل في حد ذاتها.[1]

(١) الدرس الحادي عشر من دروس رمضان، للسيد حسين بدر الدين الحوثي.

الاصطفاء هو من أجل الناس

فأساس القضية أن يفهم الإنسان، ومن خلال القرآن الكريم أن الموضوع الرئيسي لكل هذه القضايا هو من أجل الناس، يعني: أن الله سبحانه وتعالى لتكريمه للناس، لتكريمه للناس يصطفي لهم ديناً هو أكمل الأديان، يصطفي لهم رسلاً، يصطفي لهم هداة، يصطفي لهم قادة، يصطفي لهم كل الأشياء، كلها من أجلهم .

الله يقول عن هؤلاء الناس: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[الإسراء: من الآية٧٠] فلتكريمه لهؤلاء الناس هو يقدم لهم الشيء على أفضل مستوى؟ أليس هذا شيئاً معروفاً؟ هذا شيء معروف لدينا بأنه من التكريم، إذا كنت تكرِّم شخصاً، أو تكرم فئة، ألست ستقدم لهم أحسن ما لديك، لديك ضيوف تريد أن تكرمهم ستحاول أن تقدم لهم أحسن ما لديك؟ وهكذا..

فعندما يذكر الله في القرآن الكريم: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[الحج: من الآية٧٥] أليس الاصطفاء يبدو هنا تفضيلاً؟ لكن هذا من التفضيل لك، من التكريم لك، من التكريم للناس أنفسهم، أن يكون من يرسل إليهم ليكون هادياً لهم، مبيناً لهم، قائداً لهم، أن يكون مصطفى على مستوى عال؛ لأن الله كامل، والله سبحانه وتعالى مثلما قال في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء: من الآية٩] يقدم لعباده أفضل ما يمكن، أليس هذا مظهراً من مظاهر التكريم لهذا الإنسان؟[1].

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان (الوحدة الإيمانية).

أهل البيت (عليهم السلام) هم الامتداد لهذه السنة الإلهية في الاصطفاء

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

السنة الإلهية تقتضي أن يكون هناك هداة، وورثة كتاب، يلزم الناس باتباعهم وهم يُحمَّلون مسئولية كبيرة جداً هم، يُحَمَّلون مسئولية كبيرة جداً أن لا يضل الناس، أن يبذلوا قصارى جهدهم في التبيين للناس، في هداية الناس، في تعليم الناس، والناس ملزمون بأن يتبعوا، يأخذوا دينهم منهم وينطلقوا لأداء مهمتهم ودورهم في الحياة.

وهذا الذي حصل بالفعل في هذه الأمة كما حصل في الأمم الماضية فالرسول (صلواتُ الله عليه وعلى آله) عُلِم عنه أنه قال أشياء كثيرة فيما يتعلق بأهل البيت، من هذا، على هذا النحو، حتى عندما كان يتحدث أنه سيكون اختلاف، سيكون كذا، يحدث الناس بأنه «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي**» عبارة تمسكتم، اتبعتم، معناها واحد، وربما كلمة تمسكتم تعطي تأكيداً للاتباع بأكثر مما تعطيه كلمة اتباع، تمسك[1].

ويقول السيد عبد الملك حفظه الله:

فالمسيرة واضحة المعالم، المسيرة الإسلامية في امتدادها الصحيح في مضمونها، وحلقة وصلها الممتدة إلى رسول الله (صلواتُ الله عليه وعلى آله)، والمضمونة والموثوقة والمأمونة واضحة، ومعالمها واضحة، والطريق واضح.

الانصراف عنه انصراف إلى ماذا؟ انصراف إلى واقع كبير من حالة الفوضى، يأتي فيه الكثير من الأدعياء من يقدمون أنفسهم باسم الدين، وباسم الإسلام، وباسم

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان (سنة الله في الهداية).

القرآن، وأتى الكثير والكثير من أولئك الطغاة والجائرين والظالمين والمضلين وإذا بهم يوظفون العناوين الدينية، ويستغلونها لصالحهم استغلالًا عجيبًا جدًا.

ألم يقدم بنو أمية أنفسهم باسم الإسلام؟! ألم يجعلوا طاعتهم والانقياد لهم والخضوع لظلمهم عملًا دينيًا، وقربة دينية، ومسألة إيمانية؟! ولم يكونوا يجهدون أنفسهم بأن يقولوا: لا مثلًا، نحن لسنا ظلمة، نحن نقيم العدل، لا.. يقول لك ظالم صح، لكن أطع الظالم وإن قصم ظهرك وأخذ مالك، أطع.

فتُقدَّم -الطاعة للظلم والظالمين والمستكبرين والمضلين والمفسدين في الأرض، الذين لهم برنامج آخر يقيمون الحياة على أساسه- تُقدّم على أنها ضمن أمر الله سبحانه وتعالى، إن الذي يلزم بها هو الدين نفسه، أليست هذه هي حالة استغلال للدين؟ أليست حالة استغلال للدين؟

أليس النظام السعودي الظالم المفسد المنافق الذي يرتكب أبشع الجرائم والمظالم والمفاسد، والذي هو بؤرة للضلال والباطل والفساد في الأرض، أليس يقدم اليوم نفسه بثوب الإسلام؟! وعناوين الإسلام؟! وباسم الإسلام؟! أوليس يستغل حتى مشاعر الحج؟! وحتى سيطرته على مكة وعلى المسجد الحرام كمثل ما كان يفعل المشركون الذين سيطروا على مكة وعلى المسجد الحرام وعلى شعائر الحج، وأداروها حتى على مدى عشرين عاما من مبعث رسول الله بالرسالة إلى ما قبل وفاته بثلاث سنوات.

أو ليست العناوين الدينية اليوم تستغل هنا وهنا وهنا؟ فئات كثيرة كما التكفيريين تمامًا، يستغلونها للإضلال للناس، للخداع للناس، للدفع للناس إلى مواقف، لتحريك الناس حيث يشاء ذاك الطاغية أو يريد، في الأخير تُوظَف لمصلحة منافقين يعملون لصالح أمريكا وإسرائيل.

إن هذا المبدأ العظيم يشكل ضمانة لاستقامة وانضباط مسيرة الإسلام الحق، فيطبق في واقع الحياة بشكل صحيح، ويُقدم في واقع الحياة بشكل صحيح، وليس للاستغلال، ولا للاستعباد، وليس لتمكين ذلك الطاغية أو تلك الجهة الظالمة، أو المفسدة لتتحول إلى عناوين للاستغلال والاستعباد، وليس ليكون بيد من هب ودب ليجعل من مقام معين، أو عنوان معين، أو اسم معين مقامًا للتضليل والافتراء على الله بالكذب، بمثل ما كان يحصل في العصر الجاهلي يوم فصلت البشرية عن مصادر الهداية، فأتى الآخرون ليقولون: قال الله، وأمر الله، وهذا دين الله، ومن يفعل كذلك أطاع الله! وهم يستغلون الناس تحت تلك العناوين، ويخادعونهم ويؤثرون عليهم بذلك هذا جانب[1].

بعض ما ورد من الآيات والأحاديث التي تؤكد بأن أهل بيت رسول الله هم الامتداد للسنة الإلهية لهداية الأمة

هناك الآيات الكثيرة والأحاديث النبوية الكثيرة التي تقدم أهل بيت رسول الله عترته الطاهرة هم الامتداد للسنة الإلهية في الهداية ومن ذلك:

١) آية التطهير:

قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب ٣٣]

في رواية عائشة: «خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداةً وعليه مرطٌ مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عيد الولاية لعام ١٤٣٩هـ.

معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وفي رواية أم سلمة «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله؟ فقال: إنكِ على خير»[2].

وبعد نزول هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول: «الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»[3].

٢. آية المباهلة

قال تعالى ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١] أجمع المفسرون على نزول هذه الآية في أصحاب الكساء عند مباهلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنصارى نجران وعندما رأى أسقف نجران أهل الكساء قال: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يُزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيٌّ إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم رأينا

(١) صحيح مسلم في فضائل الحسن والحسين (ج ١٥ ص ١٩٤).
(٢) سنن الترمذي – ٥/ ٦٦٣.
(٣) مستدرك الحاكم وصححه –٣/ ١٥٨ – مجمع الزوائد –٩/ ١٦٨ – تفسير الطبري وتفسير ابن كثير – ٣/ ٤٨٣، ٤٨٤.

أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك ونثبت على ديننا، قال الرازي: واعلم أن هذه الرواية كمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث [1].

٣) آية المودة:

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الشورى:٢٣] يقول السيد العلامة المجاهد بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه):

على هذا التبشير للذين آمنوا وعملوا الصالحات لا أسألكم عليه أجراً ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ المودة لأهل القربى، قرابتي تودونهم؛ لقرباهم مني؛ لأنها أنفع لكم وأقرب إلى هدايتكم، وذو القربى: هم ذرية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، والحكمة في ذلك أن الناس إذا أحبوهم اتبعوهم فتعلموا منهم واهتدوا بهداهم، بخلاف ما إذا أبغضوهم فإنهم يتباعدون عنهم ويتنكرون لإرشاداتهم ويتركون الاقتداء بهم، بل قد لا يكونون عارفين لهم شخصياً ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ من الذين آمنوا وعملوا الصالحات في مودة ذوي القربى وغيرها ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ نضاعفها له ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لعباده الراجعين المؤمنين ﴿شَكُورٌ﴾ يجازيهم على عبادتهم وطاعتهم له يشكرهم عليها بكرمه وفضله.

هذا يبين لنا: أن الآية خطاب للمؤمنين حين قال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ لأن السياق قبلها وبعدها في المؤمنين، فقد قال قبلها: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ثم قال بعدها: ﴿وَمَنْ

(١) تفسير الرازي ٣/ ٢٤٧ ، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي بن ابي طالب صحيح الترمذي ٥/ ٦٣٨ ، مسند احمد ١/ ١٨٥ وغيرهم.

﴿يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ فالمعنيون هنا: هم المؤمنون، أما الكفار فليسوا أهلاً لأن يقال لهم: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[الشورى:٢٣] (١).

عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال: علي وفاطمة وولداهما(٢).

٤) آية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[فاطر:٣٢]:

يقول السيد المجاهد بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه):

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ وهو القرآن ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ لوراثة الكتاب؛ لأنهم أصلح له من غيرهم فمنهم من ينصره على المكذبين به بالسيف ويتبعه ويتمسك به في كل شيء، ويجعله حاكما على غيره، ومقدماً في الاستدلال على غيره.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالكفر أو غيره، وقدمه لعله ليشرح ثواب السابق بالخيرات قبل شرح عقاب الظالم لنفسه، وليبين أن ليس معنى إيراث الكتاب إلا إنزاله فيهم قبل غيرهم، لا أن كل من أورث الكتاب متبع له، وذلك أن القرآن نزل أوّلا بمكة والسورة هذه بمكة.

والذين اصطفاهم قد بينه الحديث المشهور في كتب الحديث «**إن الله**

(١) التيسير في التفسير، لفقيه القرآن السيد المجاهد/ بدر الدين بن أمير الدين الحوثي.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ١٢٢ ، تفسير الطبري ٢٥/ ١٦ ، فتح القدير ٤/ ٥٣٧ وغيرها من التفاسير .

اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

ومعنى هذا الاصطفاء: اختيارهم لجعل الرسالة فيهم فكان بنو هاشم الصفوة من الصفوة، وبنو هاشم: هم الذين أخذوا الكتاب بقوة، فقاتلوا الكفار وكانوا أول من برز يوم بدر، وقتل منهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وقتل حمزة يوم أحد، وقتل جعفر يوم مؤتة، وقتال علي (عليه السلام) بقوة في بدر، وأحد، وخيبر، والأحزاب، وحنين، أشهر من نار على علم.

من أول الإسلام أولهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم الإمام علي (عليه السلام) ثم حذا حذوه في السبق بالخيرات أئمة الهدى من ذريته. فأما قول من قال: إنهم أمة محمد فلا حجة له إلا أن الأمة مكلفة باتباعه، وهذا يعم الكافر والمسلم ولا يبقى المصطفى منه، والآية تفيد الاصطفاء الذي هو اختيار الصفوة من الأمة، وحكى الشرفي وغيره إجماع أهل البيت (عليهم السلام) على: أن الآية هذه فيهم، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الإشارة إلى السبق بالخيرات فهو الفضل الكبير باعتبار ثوابه.

٥) ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧]

يقول السيد المجاهد بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه):

﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي على محمد ﴿آيَةٌ﴾ أي علامة تدل على صدقه، أي هلاَّ أنزل عليه، وهذا من كفرهم بآيات الله يزعمون أنه لم ينزل عليه شيء من آيات الله فيقولون:

﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي إن كان رسولاً ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ فيكفي

من الآيات ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾[العنكبوت:٥١] فهو دليل على أنك رسول من الله ولم نرسلك لإكراه الناس وإلجائهم إنما أنت نذير لهم.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ لمن يريد الهدى فأنت الهادي لهم إن قبلوا منك الهدى وإن لم يقبلوا فأنت الهادي لمن اهتدى.

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ يفيد: أن لكل قوم من يهدي حتى في القرون المستقبلة، فلا بد من وجود العلماء الهداة ليبلغوا الناس حجج الله عليهم وآياته ولو قلّوا كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «**اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة**».

بعض ما ورد عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في أهل البيت مما أجمعت عليه الأمة

من الأحاديث التي وردت عن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) في أهل البيت (عليهم السلام) والتي تبين مكانتهم في الإسلام ومسؤوليتهم ودورهم وتوجب على الأمة الاتباع لهم والتمسك بهم.

١ - حديث الثقلين: عن زيد بن أرقم قال خطبنا رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بغدير يدعى خماً بين مكة والمدينة فقال: «**أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله**» فذكر كتاب الله وحض عليه ثم قال: «**وعترتي أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي**»[1].

في لفظ آخر «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن**

(١) مسلم في صحيحه ج٤ ١٨٧٣.

يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

وفي لفظ آخر: **«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»**.

٢- حديث السفينة: عن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) سمعت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول: **«ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»**[١].

٣- حديث النجوم: وهو قوله (صلوات الله عليه وعلى آله) **«النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت النجوم ذهبت السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»**[٢]

٤- وقوله (صلوات الله عليه وعلى آله) **«أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي»**.[٣]

٥- وقوله (صلوات الله عليه وعلى آله) **«والله لا يدخل قلب أمرئ إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي»**.[٤]

٦- ذكر السيد مجد الدين المؤيدي (رحمة الله عليه) في الجزء الأول من لوامع الأنوار مجموعة أحاديث حول هذا الموضوع منها:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٣ ص ١٥١.

(٢) فرائد السمطين ج٢ص٢٥٣.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (ج٣ ص ١٥٠).

(٤) أحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ٢٠٨.

قول النبي (صلوات الله عليه وعلى آله):

(إن عند كل بدعة تكون من بعدي يُكاد بها الإسلام ولياً من أهل بيتي موكلاً، يذب عنه، يعلن الحق وينوره، ويرد كيد الكائدين؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار، وتوكلوا على اللّه).

ماذا يقول الإمام علي (عليه السلام) عن هذه السنة الإلهية؟

(انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا).

ويقول:

(تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ وَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ).

ويقول: (أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ).

فهم هذه السنة الإلهية من أهم أبواب الهداية

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

وفهم هذه السنة هو من أهم أبواب الهداية؛ لأن المسالة مهمة يجب أن نفهم أنه لا بد أن نكون مرتبطين بمحمد وآل محمد، وأن رسول الله هو الذي أمرنا، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أمر رسوله فلا بد أن أثق بالله أولاً.

إلى أن يقول:

فعندمـا يأمرنا الله أن نحبهم فيجب أن نحبهم، عندما يأمرنا أن نصلي عليهم فيجب أن نصلي عليهم، عندما يأمرنا أن نرتبط بهم جملة فيجب أن نرتبط بهم؛ لأن هناك الوراثة للكتاب وهناك الهداية للأمة من هذه الجهة.

لهـذا أُمِرَ النـاس فيما يتعلق بأهل البيـت بمودتهم فيما تعنيه المـودة تعني ميل إلـى جانبهم نوع من الميل إلى جانبهم على أسـاس أنه أنت لديك ميل إلى هذه الدائـرة وأنـت في نفس الوقت تعرف كيف سـنة الله داخل هـذه الدائرة وكيف تتعامل مع هذه الدائرة مع دائرة أهل البيت[1].

الأمة تحتاج إلى هدي من الله بشكل كتب وإلى أعلام للهدى قائمة

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ [آل عمران:١٠١] توحي الآية بأنه أيضاً: لا بد من هداية الله على هذا النحو، وأن الأمة تحتـاج إلـى هدي من الله بشـكل كتب وإلى أعـلام للهدى قائمـة، تحتاج إلى أعلام للهدى قائمة لم يقل: ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ﴾ هل اكتفى بهذا؟ ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ عَلَم منكم، رجل منكم، عَلَم للهدى يحمل هذا القرآن، ويـدور حولـه، ويهديكم بهديه، يحمل رحمة القـرآن، ويحمل هدي القرآن - والقرآن هو يتنزل في تلك الأيام آية آية على مرأى ومسمع منهم - وهو رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) الذي يعرفونه بشـخصه، ويعرفونـه بمواقفه، يتحـرك بينهم، ومع هذا يمكن أن يضلوا بمنافق يعتبر عميلاً أو متأثراً بيهودي، يكفر بسبب طاعة فريق من أهل الكتاب.

---

(١) الدرس الحادي عشر من دروس رمضان، للسيد حسين بدر الدين الحوثي.

وأولئك اليهود كانوا أقل دهاءً وأقل خبثاً، بل كانوا فعلاً يعدون (بَدْوًا) بالنسبة ليهود اليوم، والكتاب هو كتاب للعالمين إلى آخر أيام الدنيا، والرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو رسول للأمة إلى آخر أيام الدنيا، والقرآن هنا ينص على أن الأمة بحاجة إلى القرآن، وبحاجة إلى عَلَم يتجسد فيه القرآن هو امتداد للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ووارث للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في كل عصر من العصور أليس هذا يعني: بأن الأمة ستكون أحوج ما تكون إلى أعلام للهدى تلتف حولهم هم يجسدون القرآن، ويهدون بالقرآن، ويرشدون الأمة بالقرآن، ويعملون على تطبيق القرآن في أوساط الأمة.

أم أن الله لم يهتم بهذه الأمة؟ فكتاب ورسول هو سيد الرسل لمجموعة من البشر في زمن محدود ثم يقول هذا الدِّين هو كله للعالمين، وهو يهددنا ويحذرنا من أهل الكتاب وهم (بَدْوٌ) مقابل أهل الكتاب الرهيبين الأشِدّاء في مكرهم الذين يمتلكون إمكانيات هائلة، ثم لا يضع حلاً للمسألة، الحل هو الحل نفسه: لا بد للأمة من أعلام تلتف حولها، هم أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

إذا لم نتمسك بالأعلام الذين يضعهم الله فإن الآخرين سيصنعون لنا أعلاماً للباطل

يقول السيد حسين رضوان الله عليه في المائدة الدرس الثاني:

إذا لم نلتزم نحن بأن نسبق الآخرين إلى قلوبنا إلى مشاعرنا لنملأها بالولاء الصحيح وفق المعايير الإلهية؛ فإنهم هم سيأتون ليضعوا لنا أعلاماً آخرين يصلون بهم إلى أعماق نفوسنا فتكون أعلاماً للباطل، أعلاماً للضلال أعلاماً

لا تُقدِّم ولا تُؤخر، ليست أكثر من تزييف لعقولنا، تزييف لمشاعرنا، صرفاً لاهتماماتنا عن المحل الذي يمكن أن يكون لها جدوى إذا اتجهت إليه، ألم يُرَكّزوا أسامة بن لادن وتصيح منه أمريكا، ألمْ يصيحوا منه أنه، وأنه، وأنه...؟ ألم يُكبِّروه جداً أمام الناس؟ كبَّروه جداً. إذاً كان مِن المحتمل لو أن المسألة على هذا النحو: يشكل خطورة بالغة عليهم، وقائد إسلامي صحيح، مخلِّص للأمة، ويحمل رؤية صحيحة في مواجهة أعداء الله لكان تعاملهم معه تعاملاً آخر، ولَمَا احتاجوا إلى أن يُحرِّكوا ولا قطعة واحدة؛ فالمخابرات الأمريكية واسعة جداً تستطيع أن تضربه أينما كان.

تعرض السعودية في التلفزيون عن وزير سوداني بأن (كلنتون) رفض عرضاً بتسليم أسامة بن لادن. ألم يقل الأمريكيون لـ(طالبان) في أفغانستان: إنها لا بُد أن تسلّمه وإلاّ فسيضربون أفغانستان؟ قال: هم رفضوا عرضاً أيام (كلنتون) الذي تولى قبل الرئيس هذا (بوش) - وأمريكا مِن زمان تُرمِّز أسامة هذا - بأنه رفض عرضاً بتسليم أسامة، أي: أنه كان بالإمكان أن يسلّموا أسامة لأمريكا ولكن كلنتون رفض، لا نُريد أن تسلّمه، نحن نريد أن نرمِّزه فنجعله عَلَماً نخدع به هؤلاء المساكين من المسلمين، أليس هذا لَبْساً للحق بالباطل؟ أليس هذا صنع ولاءات يجعلك تتولى أشخاصاً وهميين، أشخاصاً لا يشكّلون أيّ خطورة على أعدائك، أشخاصاً يكون ولاؤك لهم ولاءً لا يُسْمِنُ ولا يغني من جوع، يكون اهتمامك بأمرهم اهتماماً ليس في محله، اهتماماً يتبخر في الأخير، تنطلق حتى تُقتَل بين يديه ولا يصبح لدمك أيّ قيمة، حتى لو بذلت أموالك إليه لا يصبح لمالك أيّ قيمة في الأخير، خداع رهيب، تزييف رهيب، يجعل كل شيء

لا قيمة له، حماسُك كله يوجهونه إلى حيث يتبخر فلا يصل إليهم حتى ولا رذاذ من ذلك البخار.

هنا تبدو القضية مهمة إذا لم نتولَّ عليًّا (عليه السلام) ثم نسير في الخط المرسوم لنا أن نتولّى أعلامه فسنصبح عرضة لأن يصنع لنا الآخرون أعلاماً وهمية نتولاها، أعلاماً للباطل وتساند الباطل وتضع الباطل وتصرف عن الحق، نتولاها. أنت قد تقول: ربما فلان عالِم؛ لأنه عالِم فالله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾[التوبة:٣٤] هذا يُبيِّن بأن المسألة حتى غير متروكة لك فتتأثر بهذا أو بهذا دون مقاييس إلهية وأنت تتولى الأعلام الذين الله سبحانه وتعالى هو الذي اختارهم وعيَّنهم وحددهم حتى تتولاهم فتسلَم من أن تكون عرضة لزيف الولاءات وصنع أعلام هي في الواقع تضر القضية التي أنت تتولاه من أجلها، أمَّا هنا فالتولي صحيح حيث تكون الولاية للأعلام الذين رسمهم الله للأمة ونصبهم للأمة؛ فإن الولاية تعطي ثمرتها، ألم يقل هنا: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾؟ [المائدة:٥٦] طالبان ماذا عملوا؟ ألم ينسحبوا من المدن ويتبخروا، ولم ندرِ أين ذهبوا؟ هل غَلبُوا أم غُلِبُوا؟ غُلبُوا أو تَغَالبوا؛ لأن القضية هي كلها خداعٌ ووهمٌ، كلها تزييفٌ وتضليل، حتى لا يبقى منفذ للآخرين لأن يضعوا هنا أو هنا مِن جانبهم شخصاً آخر وهميًّا عَلَماً من أعلام الباطل؛ لأن الآخرين (شغالين) حتى وإن كان الله قد وضع فهم يحاولون أن ينصبوا، ألم يختر عليًّا ليكون عَلَماً للأمة فنصبوا لنا آخرين؟ ألم يختر الزهراء لتكون عَلَماً بالنسبة للنساء وقدوة للنساء سيدة نساء العالمين فنصبوا أخرى؟ هكذا يعمل بَدْوُ أهل الضلال ناهيك عن الخبثاء والمحنكين والدهاة منهم. إذاً فالمسألة مهمة.

وهذه الآيات يجب أن ننظر إليها نظرة جادة فعلاً، قد تقدَّم مقاييس مُعيَّنة هي في الواقع مغلوطة، لكن القرآن الكريم هو نفسه أيضاً إذا اهتديت به وسرت على ولاء صحيح لِمَنْ نصَبَهم لك مِن أعلام الهدى لتهتدي بهم فهو الكفيل بأن يفضح أمامك الآخرين، هو الكفيل بأن يُعَرِّفك الله من خلاله وبتوفيقه، فيكشف ويفضح لك الآخرين الذين هم وهميُّون عندما تراهم ينتصبون هنا أو هناك تصيح منهم جهة هنا وهناك، القرآن الكريم لم يغفل أيّ شيء، في الوقت الذي هو يوجهك هو يُبيِّن لك أيضاً كيف تكون طريق الباطل، ألم يقل الله ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[البلد:١٠]؟ بيَّن لك، وضح لك كيف طريق الحق، ثم بيَّن لك أيضاً كيف طريق الباطل.

الاختيار الإلهي وفق مبدأ الكمال يشكل حماية لهذا الموقع الهام

يقول السيد حسين رضوان الله عليه في المائدة الدرس الثاني:

بالطبع مَن يضعهم الله أعلاماً لأمته إنما يضعهم كاملين ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[القصص:٦٨] هو الذي يختار وليس لنا نحن أن نختار، هو الذي إذا آمنا بهذا المبدأ – مبدأ الكمال فارتبطنا بالله الكامل الكمال المطلق وارتبطنا برسوله الذي اصطفاه واختاره فأصبح كاملاً وارتبطنا على وفق هذا النهج بالكامل – فالله سبحانه وتعالى هو الذي سيُقدِّم لنا الكامل بدءًا مِن علي (عليه السلام).

حتى مقاييس الكمال هي دقيقة جداً جداً، ليس حتى في صلاحيتي أنا أن أقول: إذاً الكمال هو كذا كذا كذا...إلخ، سيأتي آخرون يقولون: لا، الكمال كذا هو كذا وكذا... إلخ. نثق بالله ونثق برسوله ثم نمشي على ما يهدينا إليه،

والله سبحانه وتعالى هو مَن سيضع للأمة أعلاماً يختارُهم ويؤهِّلُهم ليكونوا جديرين بهداية الأمة وجديرين بقيادتها.

ألم يكن عليٌّ (عليه السلام) هو الرمز الواحد مِن بين كل تلك المجاميع الكثيرة التي كانت تقف أمام النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فبرز هو علَماً حتى أصبح كل شخص من أولئك ملزماً بأن يتمسَّك بذلك العَلَم ويتولاه ويهتدي بهديه ويسير على نهجه؟

هذه المسألة في حد ذاتها (الارتباط بمبدأ الكمال) هو وحده الذي يعطي الضمانة بالنسبة لنا أن تبقى المسألة بيد الله سبحانه وتعالى، أن تبقى مسألة (من هو الجدير بأن يهدينا، من هو الجدير بأن يَلِيَ أمرنا) مرتبطة بالله سبحانه وتعالى، كما قال الإمام الهادي (عليه السلام): (إن الله هو الذي يختار، هو الذي يُؤهِّل).

إذا لم نعمل على مراعاة الارتباط بهذا المبدأ العظيم الذي عمل القرآن الكريم على ترسيخه في أذهاننا فسيُقدَّم لنا أشخاصٌ كثيرون، ويُقدَّم رموز كثير وهميُّون لا يعتبَرون كاملين ممن اختارهم الله سبحانه وتعالى، وليسوا جديرين باختياره.

عندما تتحدث الزيدية في كتبهم عن شروط الإمام أليسوا يضعون شروط كمال؟ (أن يكون عالِماً، وأن يكون مدبِّراً، وأن يكون سليماً، وأن يكون سخياً، وأن يكون شجاعاً، تقياً، ورعاً، زاهداً، رحيماً بالأمة، وعادلاً... إلخ) ألم يضعوا شروط كمال؟ لماذا الكمال؟ ومِن أين مصدر الكمال؟ لأن الكمال هو يأتي من قبل الله سبحانه وتعالى هو الذي يختار، هو الذي يصطفي ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر:٣٢] الاصطفاء الإلهي يأتي دائماً في كل مقام يرتبط به سبحانه وتعالى بالنسبة لعباده. فإذا أصبحت المسألة لدينا

هي على هذا النحو فمعنى ذلك أن هذا هو الضمان الذي يجعل القضية بيد الله، هو الذي يُؤهِّل، هو الذي يكمل، هو الذي يختار، فإذا نسفنا مبدأ الكمال هذا بكله ظهر على السطح الكثيرون الكثيرون جداً.

لاحظوا في قضية الإمامة، عندما يحاربون الإمامة هل تظنون بأنهم يحاربون اسم (إمامة) هذا واحد من مقاصد الصهيونية في محاربة العناوين والمفردات - مع أن كلمة (إمام) أطلقت في القرآن الكريم على البَرِّ والفاجر ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[القصص:٤١] وهناك ﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[السجدة:٢٤] - هم حاربوا مبدأ كمال ألاّ يترسَّخ في أذهان الناس، لماذا؟ لأنه متى نسفنا هذا الكمال الذي لا بُد منه فسنصل إلى أن نحكم الناس، سأصل أنا إلى أن أحكم الناس متى ما نسفت شروط الكمال، أليس هذا هو الذي حصل؟ أليس هذا الذي يُقدَّم في كل دساتير البلدان الإسلامية: لا يُشترط في زعيم البلد الفلاني إلاّ أن يكون من الوطن نفسه، وأن يكون عمره كذا، وألاّ يكون قد صدر بحقه حكمٌ شرعيٌّ يخل بالشرف ما لم يُرَد إليه اعتباره. هذه هي الشروط فقط، أليس الكثير سيكون على هذا النحو وإن كان من الشارع، وإن كان ممن لا يهمه إلاّ مصلحة نفسه، وإن كان ممن لا يعرف كيف يدير شؤون أمة، بل ممن لا يعرف كيف يدير شؤون أسرة؟

أليست الدساتير فتحت المجال أمامهم؟ وعن أيِّ طريق؟ عن طريق نسف الكمال الذي لا بُد منه، عندما يقولون: يجب أن يكون كذا وأن يكون وأن يكون، أليست هذه معايير دينية معايير إلهية؟ لماذا نجعل المعايير إلهية؟ لنربط المسألة بالله سبحانه وتعالى وهو الذي سيصنع، هو الذي سيُؤهِّل، هو الذي سيكمل، هو الذي سيختار كما نص الإمام الهادي (عليه السلام).

بل تأثرت الزيدية نفسها عندما غابت عن المعايير التي وضعها الإمام الهادي باعتبارها معايير إلهية في بداية كتاب (الأحكام) فظهر لنا أئمة حتى داخل الزيدية ليسوا جديرين بأن يحكموا الأمة، وصُدّروا في تاريخنا كأئمة مِن أهل البيت وليسوا كاملين ولا مُؤهَّلين، فعلاً وهم لا يزالون كثيرين في سلسلة أئمة الزيدية في كتب تاريخنا، لكن جاؤوا هم فيما بعد يجعلون مقاييس مغلوطة للكمال هذا نفسه (أن يكون عالِماً، أي: أن يكون مجتهداً، ومعنى أن يكون مجتهداً أن يكون قد قرأ كذا، كذا، كذا... إلخ) ألم تصبح المقاييس مادية في الأخير؟ بينما الإمام الهادي قدَّم نحو صفحة وهو يتحدّث عن مواصفات مَن هو الأولى بولاية أمر المسلمين، صفحة كاملة، وقال في الأخير: إن الله هو الذي يؤهل على هذا النحو، إذا ارتبط الناس بالله مِن هذا المنطلق فهو الذي سيؤهل، لكن جئنا فيما بعد وقدَّمنا معايير مادية لنسف المعايير الإلهية؛ فانحَطَطْنا، فظهر لنا أئمة - فعلاً - كانوا ممن رسَّخ مبادئ الاختلاف داخل هذه الطائفة نفسها، وبدلاً من أن يُقدِّموا لنا علوم أهل البيت وَحْدَهم أضافوا لنا رُكاماً وركاماً من علوم الطوائف التي هي طوائف ضالة؛ فشغلوا أوقاتنا، وشغلوا بيوتنا بركام الكتب التي مِن هذا القبيل بدل أن ينتقوا لنا علوم القرآن الكريم وعلوم العترة الطاهرة، ركام من أقوال الآخرين تُضيع عليك سنين من عمرك، تُضيع حياتك، تُضيع وقتك، تُضيع الكثير من أعمالك[1].

يقول الإمام الهادي (عليه السلام) في مقدمة كتاب الأحكام بعد حديثه عن ولاية الحسن والحسين (عليهما السلام):

(وأن الامام من بعدهما من ذريتهما من سار بسيرتهما، وكان مثلهما، واحتذا

(١) آيات من سورة المائدة الدرس الثاني.

بحذوهما فكان ورعا تقياً، صحيحاً نقياً، وفي أمر الله سبحانه جاهداً، وفي حطام الدنيا زاهداً، وكان فهما بما يحتاج إليه، شجاعاً كمياً، بذولاً سخياً، رؤوفاً بالرعية رحيماً، متعطفاً متحنناً حليماً، مواسياً لهم بنفسه، مشركاً لهم في أمره، غير مستأثر عليهم، ولا حاكم بغير حكم الله فيهم، قائماً شاهراً لسيفه، داعياً إلى ربه، رافعاً لرايته، مجتهداً في دعوته، مفرقاً للدعاة في البلاد، غير مقصر في تألف العباد، مخيفا للظالمين، ومؤمنا للمؤمنين، لا يأمن الفاسقين ولا يأمنونه، بل يطلبهم ويطلبونه، قد باينهم وباينوه، وناصبهم وناصبوه، فهم له خائفون، وعلى إهلاكه جاهدون.

يبغيهم الغوائل، ويدعو إلى جهادهم القبائل، متشرداً عنهم، خائفاً منهم، لا يردعه عن أمر الله رادع، ولا تهوله الأخواف، ولا يمنعه عن الجهاد عليهم كثرة الإرجاف، شمري مشمر [1]، مجتهد غير مقصر.

فمن كان كذلك من ذرية السبطين الحسن والحسين، فهو الامام المفترضة طاعته، الواجبة على الامة نصرته، ومن قصر عن ذلك ولم ينصب نفسه لله، ويشهر سيفه له، ويباين الظالمين ويباينوه، ويبين أمره، ويرفع رايته، ليكمل الحجة لربه على جميع بريته، بما يظهر لهم من حسن سيرته، وظاهر ما يبدو لهم من سريرته، فتجب طاعته على الامة والمهاجرة إليه والمصابرة معه ولديه، فمن فعل ذلك من الأمة معه من بعد أن قد أبان لهم صاحبهم نفسه، وقصد ربه وشهر سيفه، وكشف بالمباينة للظالمين رأسه، فقد أدى إلى الله فرضه، ومن قصر في ذلك كانت الحجة عليه لله قائمة ساطعة منيرة بينه قاطعة ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢].

(١) شمري مشمر (بتشديد الميم): جاد تحرير ماض في الأمور.

إلى أن يقول:

فمن كان كذلك من ذرية الحسن والحسين، فهو إمام لجميع المسلمين لا يسعهم عصيانه، ولا يحل لهم خذلانه، بل يجب عليهم طاعته وموالاته، ويعذب الله من خذله، ويثيب من نصره، ويتولى من تولاه، ويعادي من عاداه.

ثم يتحدث عمن يدعون بالزور والبهتان أنهم القادة والأعلام وورثة الكتاب وهو من القاعدين النيام فيقول:

فأما من عبث بنفسه وتمنى، وإقام في أهله وولده وتلهى، وساير الظالمين وداجاهم، وقضوا حوائجه، وقضى حوائجهم، وعاشروه، وعاشرهم، وأمنوه وأمنهم، وكفوا عنه وكف عنهم، وغمد سيفه وطوى رايته، وستر منهم نفسه، وموه على الجهال، وأهل الغفلة من الضلال،

وادعى الامامة، ووهمهم أنه يريد القيام، وهو عند الله من القاعدين النيام، ذوي الفترة والوناء، طلاب الراحة والرخاء.

وهو يظهر للرعية ويعرض لهم، ويدخل قلوبهم أنه قائم غير قاعد، وأنه مباين للظالمين مجاهد، يوهمهم ذلك ويعرض لهم أنه كذلك، ليحتلب من درهم حلباً وخيماً دوياً، ويأكل بذلك من أموالهم حراماً دنياً، قد لبس عليهم أمورهم بتمويهه عليهم، وقعد لهم بطريق رشدهم، يصدهم

فهو دائب في التحيل لأكل أموالهم بما يلبس عليهم من أحوالهم، وتمويهه لجاهلهم أنه قائم غير قاعد، وأنه أحد يوميه ناهض على الظالمين مجاهد، والله يعلم من سرائره وباطن أمره غير ما يوهم الجاهلين، ويكتبه بذلك عنده أنه من الصادين عن سبيله، الذين يبغونها عوجا، فهو يهلك نفسه عند ربه بفعله وفعل

غيـره، ويفرق عن الحق والمحقيـن الأنام، ويجمع بذلك عليـه الآثام، ويمكن بذلك دعوة الظالمين، ويقيم عمد ملك الفاسقين ويوهن دعوة الحق والمحقين بما يموه به على الجاهلين للترؤس عليهم، ولأكل أوساخ أيديهم.

يأكل سـحتاً تافهاً حرامـاً، ويجترم العظائم بالصد عـن الله العظيم اجتراماً، يفرق كلمة المؤمنين ويشتت رأي المسلمين، ولا يألوا الحق خبالاً.

يتـأول فـي ذلك التأويلات, ويتقحم على الله فيـه بالقحمَّات[1]، ضميره إذا رجع إلى نفسـه، وناقشـها في كل فعله، وأوقفها على على خفي سره، مخالف لظاهره وفعاله في باطنه فغير ما يبديه الناس في ظاهره، يخادع الله والذين آمنوا ومـا يخادع إلا نفسـه، كما قال الله تعالـى، ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِيـنَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ • فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:٩ - ١٠].

كأن لم يسمع الله عز وجل يقول: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[الملك:١٣] فهـو يمكر بالله وبالمؤمنيـن، والله يمكر به وهو خير الماكرين.

فهو في بلية من نفسـه، من تحيله لديناره ودرهمه، والاستدامة لما هو فيه من تافـه نعمته، يلبس الحرير والديباج والقز، ويلتحف ويفترش السـمور والفتك والخـز، لا يرتمـض[2] فـي أمور الله ، ولا يصلح شـأن عبـاد الله، فأين من كان كذلـك، فقـط من الامامـة. كلا لعمره إنـه عنها لبعيـد مجنب، ومنهـا غير دان ولا مقـرب، وإن لعب بنفسـه، وخدع من كان من شـكله بزخـرف قوله وكذبه

(١) القحمَّات: المهالك.
(٢) لا يشتدُّ .

واجترائه على الله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا • يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨- ٦٩]. فلعمري إن من كان كذلك فقط لبعيد عما يدعي وينتحل مما لم يجعله الله له أهلاً، ولم يشرع له إليه سبيلاً.

ويقول (عليه السلام) في كتاب القياس متحدثاً عن من يصطفيهم الله ويؤهلهم ليكونوا هم مصادر الهداية لعباده:

(ثم اعلم أيها السائل علماً يقيناً، وافهم فهماً ثابتاً مبيناً، أن العلماء تتفاضل في علمها، وتتفاوت في قياسها وفهمها، وفيما قلنا به من ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف: ٧٦]، وأنه ليس أحد من المخلوقين أولى بفهم أحكام رب العالمين، ممن اختاره الله واصطفاه وانتجبه وارتضاه، فجعله مؤديًا لدينه، قائماً بحكمه، داعياً لبريته، حائطاً لخليقته، منفذاً لإرادته، داعياً إلى حجته، مبيناً لشريعته، آمراً بأمره، ناهياً عن نهيه، مقدماً لطاعته، راضياً لرضاه، ساخطاً لسخطه، إمامًا لخليقته، هاديًا لها إلى سبيله، داعياً لها إلى نجاتها، مخرجًا لها من عمايتها، مثبتاً لها على رشدها، مقيماً لها على جواد سبلها، ناصحاً لله فيها، قائماً بحقه سبحانه عليها.

وذلك وأولئك فهم صفوة الله من خلقه، وخيرته من بريته، وخلفاؤه في أرضه، الأئمة الهادون، والقادة المرشدون، من أهل بيت محمد المصطفى، وعترة المرتضى، ونخبة العلي الأعلى، مجاهدون للظالمين، والمنابذون للفاسقين، والمقربون للمؤمنين، والمباعدون للعاصين، ثمال كل ثمال[1]، وتمام كل حال، الوسيلة إلى الجنان، والسبب إلى الرضاء من الله والرضوان،

(١) الثمال (بكسر الثاء): الغياث. وفلان ثمال قومه: أي غياث لهم يقوم بأمرهم.

بذلوا أنفسهم للرحمن، وأحيوا شرائع الدين والإيمان، لم يهنوا ولم يفتروا، ولم يقصروا في طلب ثأر الإسلام ولم يغفلوا، نصحوا المسلمين، وأحبوا المؤمنين، وقتلوا الفاسقين، ونابذوا العاصين، وبينوا حجج رب العالمين على جميع المربوبين.

إلى أن يقول:

(وكل ذلك أمرٌ من الله سبحانه للأمة برشدها، ودلالةٌ منه على أفضل أبواب نجاتها؛ فإن اتبعت أمره رشدت، وإن قبلت دلالته اهتدت، وإن خالفت عن ذلك غوت، ثم ضلت وأضلت، وهلكت وأهلكت، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيَّ عن بينة، وإن الله لسميع عليم.

وفي أمر الأمة باتباع ذرية المصطفى، ما يقول النبي المرتضى: **«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا، حتى يردا علي الحوض»**.

ويقول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في تفضيلهم، والدلالة على اتباعهم، وما فضلهم الله به على غيرهم: **«النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم من السماء أتى أهل السماء ما يوعدون، وإذا ذهب أهل بيتي من الأرض، أتى أهل الأرض ما يوعدون»**.

وفيما ذكرنا من أمرهم ما يقول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى».

وهذا ومثله فكثير عنه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فيهم يفهمه من روى عنه ‹عليه السلام› ونحن نستغني بقليل ذكره عن كثيره).

ومما قال الإمام الهادي ‹عليه السلام› في كتاب القياس:

(ثم اعلم من بعد كل علم ومن قبله، وعند استعمالك لعقلك في فهمه، أن الذين أمرنا باتباعهم من آل رسول الله، وحُضضنا على التعلم منهم، وذُكرنا ما ذكرنا من أمر الله برد الأمور اليهم، هم الذين احتذوا بكتاب الله من آل رسول الله، واقتدوا بسنة رسول الله، الذين اقتبسوا علمهم من علم آبائهم وأجدادهم، جداً عن جد، وأباً عن أب، حتى انتهوا إلى مدينة العلم، وحصن الحلم، الصادق المصدَّق، الأمين الموفق، الطاهر المطهر، المطاع عند الله المقدر، محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

فمن كان علمه من آل رسول الله على ما ذكرنا، منقولاً إلى آبائه مقتبساً من أجداده، لم يزغ عنهم، ولم يقصد إلى غيرهم، ولم يتعلم من سواهم؛ فعلمه ثابت صحيح، لا يدخله فساد ولا زيغ، ولا يحول أبداً عن الهدى والرشاد، ولا يدخله اختلاف، ولا يفارق الصحة والائتلاف.

فإن قلت: أيها السائل قد نجد علماء كثيراً منهم ممن ينسب إليه علمهم، مختلفين في بعض أقاويلهم، مفترقين في بعض مذاهبهم، فكيف العمل في افتراقهم، وإلى من يلجأ منهم؟ وكيف نعمل باختلافهم وقد حضضتنا عليهم، وأعلمتنا أن كل خير لديهم، وإن الفرقة التي وقعت بين الأمة هي من أجل مفارقة الأئمة من آل رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟

قلنا لك: قد تقدم بعض ما ذكرنا لك في أول هذا الكلام، ونحن نشرح لك ذلك بأتم التمام.

إن اختلاف آل الرسول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› – أيها السائل عن أخبارهم

- لم يقع ولا يقع أبداً إلا من وجهين: فأما أحدهما: فمن طريق النسيان للشيء بعد الشيء، والغلط في الرواية والنقل، وهذا أمر يسير حقير قليل، يرجع الناسي منهم عن نسيانه، إلى القول الثابت المذكور له عند الملاقاة والمناظرة.

والمعنى الثاني: فهو أكبر الأمرين وأعظمهما، وأجلهما خطراً وأصعبهما، وهو أن يكون بعض من يؤثر عنه العلم تعلم من غير علم آبائه، واقتبس علمه من غير أجداده، ولم يستنر بنور الحكمة من علمهم، ولم يستضيء عند إظلام الأقاويل بنورهم، ولم يعتمد عند تشابه الأمور على فقههم، بل جنب منهم إلى غيرهم، واقتبس ما هو في يده من علمه من أضدادهم، فصار علمه لعلم غيرهم مشابهاً، وصار قوله لقولهم ‹صلوات الله عليهم› مجانباً، إذ علمه من غيرهم اقتبسه، وفهمه من غير زنادهم ازدنده، فاشتبه أمره وأمر غيرهم، وكان علمه كعلم الذين تعلم من علمهم، وقوله كقول من نظر في قوله، وضوء نوره كضوء العلم الذي في يده، وكان هو ومن اقتبس منه سواءً في المخالفة لأهل بيت رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› والاقتداء، وإن كان منهم في نَسَبِه فليس علمهم كعلمه، ولا رأيهم فيما اختلف فيه الحكم كرأيه.

والحجة على من خالف الأصل من آل رسول الله، كالحجة على غيرهم من سائر عباد الله، ممن خالف الأصول المؤصلة، وجنب عنها.

والأصل الذي يثبت علم من اتبعه، ويبين قول من قال به، ويصح قياس من قاس عليه، ويجوز الاقتداء لمن اقتدى به؛ فهو كتاب الله تبارك وتعالى المحكم، وسنة رسول الله، اللذان جُعلا لكل قول ميزاناً، ولكل نور وحق برهاناً، لا يضل من اتبعهما، ولا يغوى من قصدهما، حجة الله القائمة، ونعمته الدائمة. فمن اتبعهما في حكمهما، واقتدى في كل أمر بقدوهما، وكان قوله بقولهما،

وحكمه في كل نازلة بهما، دون غيرهما فهو المصيب في قوله، المعتمد عليه في علمه، القاهر لغيره في قوله، الواجب على جميع المسلمين من آل رسول الله ومن غيرهم أن يرجعوا إلى قوله، ويتبعوا من كان كذلك في علمه؛ لأنه على الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا دخل، ولله الحمد عليه.

فمن كان على ما ذكرنا، وكان فيه ما شرحنا، من الاعتماد على الكتاب والسنة، والاقتباس منهما والاحتجاج بهما، وكانا شاهدين له على قوله، ناطقين بصوابه، حجة له في مذهبه، فواجب على كل أحد أن يقتدي به، ويرجع إلى حكمه.

فإذا جاء شيء مما يختلف فيه آل رسول الله صلى الله عليه وآله، ميَّز الناظر المميز السامع لذلك بين أقاويلهم؛ فمن وجد قوله متبعاً للكتاب والسنة، وكان الكتاب والسنة شاهدين له بالتصديق؛ فهو على الحق دون غيره، وهو المتبع لا سواه، الناطق بالصواب، المتبع لعلم آبائه في كل الأسباب.

وإن ادّعى أحد من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه على علم رسول الله، وأنه مقتد بأمير المؤمنين، والحسن والحسين ‹صلوات الله عليهم›، فاعلم هديت أن علم آل رسول الله لا يخالف علم رسول الله، وأن علم رسول الله لا يخالف أمر الله ووحيه، فاعرض قول من ادّعى ذلك على الكتاب والسنة؛ فإن وافقهما ووافقاه فهو من رسول الله، وإن خالفهما وخالفاه فليس منه ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم›، وكما قال فيما روينا عنه، حين يقول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› قال: **«إنه سيكذب علي كما قد كذب على الأنبياء من قبلي؛ فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فهو مني وأنا قلته، وما خالف كتاب الله فليس مني ولم أقله»**.

وهـذا أصـل في اختلاف آل رسـول الله ثابـت، ودليل علـى الحق صحيح، فاعتمد فيما اختلفوا فيه عليه، واستعمله في ذلك يبن لك الحق حيث هو، ويصح لـك المقتبـس من علم آبائه ‹صلوات الله عليهم›، والمقتبس من غيرهم، وتصح لك الحجـة في جميـع أقوالهم، وتهتدي به إلـى موضع نجاتك، وتسـتدل به على مكان حياتك، وتقف به على الذين أمرناك باتباعهم بأعيانهم، فقد شـرحنا لك شـرحاً واضحـاً، وبيناهم لك تبيانـاً صحيحاً، حتى عرفتهم إن اسـتعملت لبك بـما بينا لك من صفاتهم، كما تعرفهم بالرؤية بأعيانهم، وتقف عليهم بأسـاميهم وأنسابهم.

مـن هـو الذي ولايتـه امتـداد لولايـة اللّه حتى من داخـل أهل البيت أنفسهم؟

يقول السيد حسين (رضوان الله عليه) في الدرس الثالث والعشرين رمضان:

الولايـة في الإسـلام، السـلطة في الإسـلام هي أرقـى بكثير مـما عليه واقع البشـر، أرقى بكثيـر في مهام من يلي أمر الأمة. تجد أنـه عندما تتأمل ولاية الله سـبحانه وتعالى لشـؤون عباده فولاية من يلي أمر الأمة هـي امتداد لولاية الله، يجـب أن يكون عنده رحمة، يجـب أن يكون عارفاً كيف يربي الأمة، يجب أن يكـون عارفاً كيف يبني الأمة، كيف يطـور حياتها، كيف ينمي اقتصادها، كيف يزكي أنفسها، كيف يواجه أعداءها، أشياء واسعة جداً، جداً.

تجـد هـذه ألم تكن هي أبرز الأشـياء بالنسـبة للرسـول (صلـوات الله عليه وعلى آلـه) والإمام علي؟ ما الذي كان بارزاً بالنسـبة لشـخصيتهم كأولياء لأمر الأمة؟ هل كان البارز موضوع التسـلط والقهر، أو هـذا الجانب الآخر، جانب الرعاية

والتعليم والتزكية؟ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[البقرة من الآية: ١٢٩] جانب تربيتهم؛ لينشئوا أمة على مستوى عالي، هذه المهمة هي التي كانت بارزة في شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في ممارساته وسلوكه مع الناس الذين هو أولى بهم من أنفسهم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: من الآية: ٦] ولهذا قال الله عنه: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة من الآية: ١٢٨] يعز عليه ويؤلمه أي مشقة تلحقكم، هذه صفة هامة جداً ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي مشقة تلحقكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ بكل ما تعنيه الكلمة، حريص عليكم بأن تنشؤوا أمة مستقيمة، بأن تكونوا أمة قوية، بأن تنشؤوا رجالاً حكماء، أصحاب نفوس زاكية، أصحاب نفوس عالية، حريص ألا يلحقكم أي ضر مهما كان ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

إذاً عندما ترجع تتصفح القرآن الكريم بالنسبة لله سبحانه وتعالى أليس هذا ظاهراً، وليس فقط نقول: ملموس، ظاهر من خلال القرآن الكريم مظاهر رحمته، رأفته، رعايته، أنه فعلاً بالنسبة لعباده هم محط عناية كبيرة جداً تساوي ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ ما نمتلك عبارة بالنسبة لله نقول: هكذا، لكن مثلما قرأنا في الآية السابقة ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة من الآية: ٣٣] وكثير من الآيات غيرها، هذه الجوانب الهامة جداً هي الجوانب التي يحتاج إليها الناس، وهذه هي الجوانب التي لا يمكن أطرف الناس أن يعملها، أما الجانب الآخر فبإمكان أي شخص يفوز بانتخابات، أو بانقلاب عسكري، أو عن طريق وراثة، أو بأي طريقة كان فيصل إلى الحكم، ويمارس الحكم، ويجلس ولو أربعين سنة، ولكن هل تجد له أثراً في تربية الأمة، رعايتها، تنشئتها، بناءها بناءً صحيحاً، لا تجد إلا العكس....

في القرآن قدمت المسألة فيما يتعلق بولاية الأمر، وفي منهم الذين يمكن أن يخلفوا رسول الله في أمته، قدمت بالشكل الذي لا يحصل التباس فيها على الإطلاق، ولا يحصل اختلاف؛ ولهذا كان الإمام الهادي يقول: (لن يشتبه اثنان» نهائياً عندما قالوا: (فإن كان ذلك عالم والثاني عالم وهذا كذا) في الأخير قال: (هذه مجاراة وإلا لن يلتبس اثنان في المسألة) لكن يكون تميزاً واضحاً، اختياراً إلهياً، اصطفاءً إلهياً، وليست مسألة تأهيلية، كل واحد من عنده، بالاسم، أو بالتأهيل، أو بشهادة جامعية، أو بشهادة أزهر، وأشياء من هذه، فيكونون متنافسين على من الأعلم، من الأورع، من الأزهد، من الأكبر من الأصغر، وهكذا.

لاحظ كيف ضرب مثلاً لبني إسرائيل أنفسهم، ومثل للأمة كلها، أليس عيسى بن مريم بعدما ولدته أمه ذهبت به إلى قومها طفلاً بين يديها، طفلاً، والكنائس مليئة بالحاخامات حقهم، وربما كل واحد منهم عنده أنه لو ينزل وحي من السماء لما نزل إلا عليه، والثاني مثله، وهكذا، يأتي طفل تقدمه أمه: أن هذا هو الذي سيكون رسولاً، سيكون رسولاً، وينتظرون حتى يكلم الناس كهلاً، كلمهم في المهد بقي طفلاً إلى أن أصبح شاباً، ثم أوحي إليه بتبليغ الرسالة، والنهوض بالرسالة.

ولأن القضية هي بيد الله - كما قلنا أكثر من مرة - أن موضوع إقامة دين الله، موضوع قيادة الأمة، وتربيتها لتكون على مستوى عالي في النهوض بمسؤوليتها، أنها قضية تختص بالله، وأنها القضية التي لا يمكن للناس أن يختلفوا فيها إذا فهموها؛ لأن بقاءها بيد الله يشكل ضمانة للأمة، تبعدهم عن التزييف، تبعدهم عن الادعاءات الكثيرة، تبعدهم عن التضليل، تبعدهم عن القهر والتسلط والإذلال، تبقى القضية بيد الله، وهذه هي سنة الله، أنه هو الذي

يصطفي ويختار ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص من الآية: ٦٨] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر من الآية: ٣٢].

ولاحظ هنا في القرآن الكريم، ألم يقدم موضوع ولاية الأمر قضية تتركز بشكل أساسي على موضوع الكتاب، على موضوع الهداية، والتربية، وبناء الأمة، ليست الأشياء التي يسمونها الآن سلطة تنفيذية إلا جوانب قد تكون ربما لا تمثل إلا عشرة في المائة، قد لا تمثل فعلاً باعتبارها تنفيذية، إلا عشرة في المائة من مهام ولاية الأمر، في الإسلام، وأن هذا الجانب هو الجانب الذي سيخفق فيه أي شخص ليس ممن اختاره الله كائناً من كان، سواءً من داخل أهل البيت، أو من خارجهم، سيخفق فيه، الجانب الآخر هذا مهما كان، أما الجانب الثاني: السلطة التنفيذية فيمكن أي واحد [يديول] لكن في الأخير انظر كيف آثار الديولة هذه في تاريخ الأمة من ذلك الزمن إلى الآن، كيف أصبحت الأمة هذه!؟.[1]

وهذه القضية كانت من الثوابت لدى أهل البيت (عليهم السلام) وعلى رأسهم الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله).

ذكر السيد مجد الدين المؤيدي (رحمة الله عليه) في الجزء الأول من لوامع الأنوار مجموعة أحاديث حول هذا الموضوع منها:

قول النبي (صلوات الله عليه وعلى آله): «**يحل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم**» إلى قوله: «**فيبعث الله رجلا من عترتي من أهل بيتي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، يحبه ساكن السماء وساكن الأرض**» إلى آخره. انتهى.

وفي التحف ذكر قول الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) «**من أمر بالمعروف**

(١) الدرس الثالث والعشرون من دروس رمضان، للسيد حسين بدر الدين الحوثي.

ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله في أرضه وخليفة كتابه وخليفة رسوله».

الصلاة على محمد وعلى آل محمد توحي بالدور المنوط بهم

عندما يأمرنا الله ورسوله أن نصلي على أهل البيت في صلاتنا فنقول: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) يدل ذلك على أن أمر الأمة أمر الدين وراثة الكتاب، الهداية إلى الحق إقامة العدل والقسط في الناس هو منوط بمحمد وآل محمد (صلواتُ الله عليه وعليهم).

فالصلاة على محمد وعلى آل محمد (صلواتُ الله عليه وعلى آله) جاءت بلفظ الدعاء، أن ندعو نحن، نقول: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) أن تأتي الصلاة على محمد وعلى آل محمد بلفظ أن ندعو نحن لهم بأن الله يصلي عليهم، هذه لها وحدها دلالة مهمة، هي تقررنا، وألسنتنا تنطق بأننا في واقعنا مسلِّمين بقضية محمد وآل محمد: أنهم هداة الأمة وقادتها، أنهم أعلام الدين، وورثة نبي الله، وورثة كتابه الذي جاء به من عند الله، فنحن مسلِّمون بهذه المسألة أساساً، وإنما لأن هذه قضية مهمة، نحن ندعو لهم.

مسؤولية هداية الأمة ليست سهلة مسؤولية تحتاج إلى مؤهلات

أعباء الرسالة، أعباء وراثة الكتاب، أعمال ومسؤولية هداية الأمة، مسؤولية كبيرة جداً ليست سهلة، مسؤولية مهمة جداً، ألسنا نجد أننا نعجز عن هداية أسرنا؟ أسرة، أسرتك قد تكون ثمانية أو عشرة أشخاص فيتعبونك، أليس هذا هو ما يحصل؟ تتعب وأنت تريد أن تهدي أسرتك، وأن تجعلهم أسرة مستقيمة وهم عشرة، أو اثنا عشر شخصاً، لكن من حُمِّل رسالة إلى البشرية كلها إنه

حمل كبير كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل:٥] من جعلهم الله ورثة للكتاب، وجعلهم أعلاماً للدِّين، وأناط بهم مسؤولية هداية الأمة، إقامة الحق في الأمة، أيضاً مسؤولية كبيرة جداً: تحتاج إلى أخلاق عالية، تحتاج إلى صدر فسيح، تحتاج إلى تحمُّل، تحتاج إلى صبر، إلى حلم، إلى كظم غيظ، إلى عفو، إلى أشياء كثيرة جداً.

نحن ندعوا في صلاتنا دائماً لمحمد وآل محمد بالمجد والرفعة والمكانة ليؤدوا دورهم على أكمل وجه

فنحن كأننا نقول: يا إلهي نحن نؤمن بأن محمداً هو رسولك، ونؤمن بأن آل محمد هم ورثة كتابك، ونحن نعرف أيضاً أن مهمتهم كبيرة، فنحن نطلب منك أن تمنحهم من الرعاية والحظوَة لديك والمكانة والمجد والرفعة ما منحتَه إبراهيم وآل إبراهيم.

ثم نرجع إلى القرآن الكريم فنجد الذي منح الله إبراهيم وآل إبراهيم الشيء الكثير، المكانة العظيمة الرفعة العظيمة: الكتاب والحكم والنبوة، وكما قال الله عنهم: ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[النساء:٥٤] جعلهم ورثة الكتاب، جعل فيهم الحكمة، جعل منهم النبوة، وَحَظَوا برعاية عظيمة من الله سبحانه وتعالى، لم يَحْظَ بها أحد من الأمم في عصورهم أبداً، حتى في الأوقات التي كانوا فيها بشكل عاصين أو مُهملِين، كانوا لا يزالون أيضاً يَحْظَون برعاية الله سبحانه وتعالى بشكل عجيب، عندما كتب الله عليهم التيه فتاهوا أربعين سنة في صحراء سيناء؛ لأنهم رفضوا أن يدخلوا المدينة المقدسة ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٦] ألم يقل فاسقين؟ ومع هذا ماذا عمل لهم؟ عمل لهم أعمالاً كثيرة جداً.

حَجَر تنبع منها اثنتا عشرة عيناً، حجر (عاديَّة) يحملها الحمار، تُضرَب بالعصا فتنفجر اثنتا عشرة عيناً ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة:٦٠] أنزل عليهم (المنَّ والسَّلوى) المنّ ينزل شبيهاً بالثلج عندما ينزل فيتجمع بكميات كبيرة فيكون عبارة عن غذاء وحلوى؛ لأن شكله يكون أبيضَ وحلواً يتجمع. و(السلوى) طائر يتوافد بأعداد كبيرة، أليست هذه رعاية من الله سبحانه وتعالى؟

شق لهم البحر وهم في طريقهم عندما أمرهم الله هم ونبيه موسى بالخروج من مصر ولحقهم فرعون وجنوده ﴿فَأَوْحَيْنا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[الشعراء:٦٣] كالجبل من هنا ومن هنا، ومشوا في طريق يابسة ليس فيها ولا حتى وَحْل، طريق يابسة مشوا فيها، في لحظة. عندما حصل منهم تخاذل، تكاسل عن الالتزام بالتوراة جاء تهديد إلهي لهم: ﴿وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾[الأعراف:١٧١] هدَّدهم بالجبل، ثم أعاد الجبل إلى موقعه، وهكذا حَظَوا برعاية كبيرة كما قال لهم موسى (عليه السلام): ﴿وَآتَاكُم مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة:٢٠] في القرآن الكريم تتعجب مما عدَّده الله سبحانه وتعالى من النعم العظيمة عليهم، ومما حظوا به من عناية ورعاية إلهية متميزة.

نبي الله إبراهيم (عليه السلام) أيضاً، أثنى الله عليه في القرآن الكريم ثناءً عظيماً ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[النساء:١٢٥] مكانة عجيبة وقرب عجيب من الله سبحانه وتعالى أن يقول هكذا: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ رفع لإبراهيم ذكره أيضاً، جعله أباً للأنبياء جميعاً، الأنبياء كلهم من بعده من بني إسرائيل كلهم من أولاده من ذريته، حظي بتكريم إلهي عظيم، ورفع الله له ذكره.

نحن ندعوا الله أن يمنح محمداً وآل محمد ما منحه إبراهيم وآل إبراهيم من الرفعة، من الثناء، من المجد، من الرعاية، والمكانة

مهمة إبراهيم وآل إبراهيم هي مهمة مرتبطة بالأمة ومرتبطة بالدِّين، مهمة حَمْل الدِّين، حَمْل الرسالة، هداية الأمة كما قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[الأعراف:١٨١] فنحن في الصلاة نقول: (اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم) أي: امنحْ محمداً وآل محمد ما منحتَه إبراهيم وآل إبراهيم، من الرفعة، من الثناء، من المجد، من الرعاية، والمكانة، أشياء كثيرة منحها إبراهيم وآل إبراهيم.

ونحن نقول في الأخير - وهذا مما يدل على أن تفسير دعاء ما ذكرناه أو أن الذكر كما جاء من عند رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) - في آخره: (إنك حميد مجيد) حميد، فأنت مصدر الحمد. الحمد هو: الثناء. مجيد، فمِنك المجد وأنت مصدر المجد، امنحهم من المجد وامنحهم من الثناء فأنت الحميد، وأنت المجيد.

تتكرر على ألسنة المسلمين كل يوم؛ كي تترسَّخ في نفوسهم أهمية ارتباطهم بمحمد وآل محمد، ولكننا نصلي وننسى، بل بعضهم يصلي ويخرج يلعن آل محمد، وهو قبل قليل يقول: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد! لكن إمَّا أن تكون صلاة لا يدري ماذا يقول، أو يدري ما يقول ولا يعي معنى ما يقول.

ولهذا لا أحد - فيما نعلم - من المسلمين يصلي إلاّ وهو يصلي على محمد وعلى آل محمد، وبهذا الشكل الذي لا زيادة فيه ولا نقصان، لاحِظوا، هل أدخل في الصلاة عليهم أحداً من الآخرين؟ لم يُدخِل الصحابة أبداً، ولم يُدخِل أحداً من الأولياء؛ لأن هذه الصلاة هي لها دلالة خاصة، هي مرتبطة

بمهمة محمد وآل محمد، مرتبطة بمهمتهم، بمسؤوليتهم في الأمة، مرتبطة بعلاقة الأمة الخاصة بهم.

ما الفرق بين علاقتي بأعلام الهدى من أهل البيت وبين علاقتي ببقية المؤمنين

بقية المؤمنين هناك ارتباطات أخرى، قد أتولاك باعتبارك مؤمناً، وأحبك باعتبارك مؤمناً، لكن هل أنت ممن يجب عليَّ اتباعهم؟ هذا شيء آخر. ألسنا مُلزمين بمحبة المؤمنين؟ نحن نحب رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ونحب الإمام علياً، ونحب المؤمنين أيضاً، لكن هل حبي لعمار بن ياسر - مثلاً - وحبي لعلي بن أبي طالب، هل هو مستوٍ؟ في علاقتي بعلي بن أبي طالب وعلاقتي بعمار هل هي مستوية؟ لا، أنا أحبُ عمار بن ياسر كمؤمن، كولي من أولياء الله. علي بن أبي طالب علاقتي به علاقة أخرى، أنا أحبه أيضاً كمؤمن، هو أيضاً يجب عليَّ اتباعه، ويجب عليَّ الاقتداء به، الارتباط به، السير على نهجه. عمار بن ياسر الذي أنا أحبه هو يُحب علياً على هذا النحو، فيفرِّق في نظرته نحو علي، وفي علاقته بعلي، وفي ارتباطه بعلي يفرِّق بينها وبين ارتباطه بـ(المقداد) أو بـ(سلمان) أو بأيِّ شخص آخر من المؤمنين.

فعندما نزلت الآية: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦] قالوا إنهم سألوا رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فقالوا: قد عرفنا السلام عليك، فكيف نصلي عليك؟ فجاء بهذا اللفظ: قولوا: (اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد). ولم يُضِفْ أحداً في هذه الصلاة.

الصلاة على محمد وعلى آل محمد في صلاتنا هو أبلغ وأصدق تعبير عن ولائنا لهم

النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) هو حكيم، الصلاة ذُكِرت داخل الصلاة التي هي أفضل الأعمال في الإسلام، أليس الأذان شرع فيه: (حي على خير العمل)؟ الصلاة خير الأعمال، و هي فعلاً من خير الأعمال ومن أهم الأعمال، لو أننا ننتبه للصلاة وما تعطيه الصلاة من دلالات وما لها من قيمة في النفوس، لكُنّا على وضعية أفضل مما نحن عليه، ولَمَا تساءل أحد عن شيء: من هم أهل الحق؟ لا أدري كيف يمكن نعرف أهل الحق؟ أو لم نعد نعرف كذا...!

فنحن ندعو بهذا – أن تصبح المسألة كما قلت سابقاً لدينا هو: أن ندعو الله – أن يصلي عليهم على هذا النحو ماذا تعني؟ لم تأتِ الصلاة على محمد وآل محمد بلفظ خبر هكذا (إخبار) أن نقول: وصلاتنا وسلامنا على محمد وعلى آل محمد، هل جاءت بهذا الشكل؟ بل نحن ندعو، أن أدعو الله لك، أي: أنني مهتم بقضيتك، أليس كذلك؟ فمعنى ذلك أننا في واقعنا لا نشك في ضرورة ارتباطنا بمحمد وآل محمد، وأننا في واقعنا نعرف أهمية هذه القضية، فنحن لشدة حرصنا على أن يقوم محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وآله بالمهمة التي أنيطت بهم، ونحن في ولائنا الشديد لهم نريد منك يا الله أن تمنحهم كذا، وكذا، وكذا... الذي منحتَه إبراهيم وآل إبراهيم، أليس هذا هو تعبير عن الولاء؟ ففي لفظ الصلاة كتعبير عن ولائنا، تعبير عن ارتباطنا، ذلك الولاء القوي الذي يجعلني أندفع نحو أن أسأل الله أن يمنحهم ما منح آل إبراهيم.

ووجدنا في (سورة البقرة) وبقية سور القرآن كلاماً كثيراً عن آل إبراهيم.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:٤٧] يا بني إسرائيل، يا بني إسرائيل، كم ورد في القرآن كثير من أخبارهم!

الصلاة عليهم هي شهادة تدل على أن هداية الأمة، وقيادة الأمة، والقيام بأمر الأمة والدين هو منوط بمحمد وآل محمد

هي في الوقت نفسه شهادة تدل على أن هداية الأمة، وقيادة الأمة، والقيام بأمر الأمة والدِّين هو منوط بمحمد وآل محمد، منوط بهم، وإلاّ فلماذا نصلي عليهم وحدهم؟ على محمد وآل محمد، على هذا النحو؟ وأن تكون الصلاة عليهم كالصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

من الممكن أن أصلي عليك، ممكن، الله يقول: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ أليس كذلك؟ بمعنى: أن يحوطكم بعناية ورعاية منه؛ ولهذا قال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[الأحزاب:٤٣] أليست هذه عناية ورعاية؟ لكننا نريد منك يا الله أن تصلي على محمد وآل محمد مثل الصلاة التي صليتها على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، أليس كذلك؟ وهو متكرر، فمعنى هذا أننا نريد منك أن تعطيهم - لأننا يهمنا أمرهم، ونحن نحبهم ونحن نرتبط بهم، ونحن على يقين بأن أمر ديننا وأمرنا مرتبط بهم - نريد منك أن تمنحهم أحسن ما يمكن أن تمنح أحداً من عبادك الصالحين فيما له علاقة بأداء مهمتهم.

أهل البيت في التاريخ حظوا بعناية إلهية كبيرة بالرغم مما واجهوه نتيجة دعاء المسلمين لهم

فعلاً في التاريخ وفي الواقع تجد أن آل محمد حَظَوا بعناية إلهية عجيبة، لو لم يكن هناك رعاية من الله لَمَا بقي منهم أحد، في القرن الأول وحده خلِّ عنك إلى الآن، تعرَّضوا للسجون، وتعرَّضوا للقتل، وتعرَّضوا للتشريد، وقامت الدولة الأموية كلها همها الكبير هو مطاردة آل محمد ومحاربة آل محمد، محاربتهم شخصياً، ومحاربة فضائلهم، ومحاربة ذكرهم، وتنصيب آخرين بدلاً عنهم، أعلاماً آخرين، عقائدَ أخرى، تاريخاً آخر، فضائل أخرى، عملوا كل شيء بديل. في كربلاء يصل الأمر إلى ألاّ يَسْلَم من أولاد الإمام الحسين إلاّ واحد هو زين العابدين.

تأتي الدولة العباسية وتسير على هذا النحو في محاربة آل محمد، وتجد ماذا؟ أليس آل محمد الآن أصبحوا أكثر انتشاراً في الدنيا، ذرية الحسن والحسين ملؤوا الدنيا؟ أين هم ذرية عمر بن الخطاب؟ أين ذرية أبي بكر؟ أين ذرية معاوية؟ أين ذرية عبد الله بن عباس؟ أين ذرية فلان؟ كيف؟ ما الذي حصل؟ (وبارك على محمد وعلى آل محمد) بركة إلهية، على الرغم مما حصل لهم من تشريد وتقتيل وطرد يبارك فيهم ويبارك عليهم، ويرعاهم فيتكاثرون يتكاثرون ويُحفظون؛ لأنه كما قال الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في حديث الثقلين: «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

هذه الرعاية تدل على أن لأهل البيت دوراً مهما في هذه الأمة

هذه آية إلهية تدل فعلاً على أن لأهل البيت دوراً مهماً في هذه الأمة، وأنهم مرتبطون بالقرآن الكريم، وأنهم حَظَوا برعاية إلهية، وحفظ إلهي في بقاء

وجودهم، وإلاّ فهم تعرضوا لاستئصال عرقي فعلاً؟ حُفِظوا كما حُفِظ القرآن الكريم، ألم يُحفظ القرآن الكريم؟ لم يستطع أحد أن يُغيِّر أو يبدل أو يقضي عليه، آل محمد قرناء القرآن حُفظوا. حاول الطغاة بكل الوسائل القضاء على آل محمد فقتلوا وشردوا، حتى كان البعض منهم يبنون عليه عموداً وهو لا يزال حياً فيموت داخل ذلك العمود، ومع هذا لم يستطيعوا أن يقضوا عليهم.

ذرية معاوية أين هم؟ ذرية هارون الرشيد أين هم؟ ذرية أناس قريبين منذ أربعمائة سنة أو خمسمائة سنة أين هم؟ إذا كان هناك وجود لهم فقد يكون بأعداد نادرة جداً.

كذلك في المكانة في الدِّين الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) قال: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي**» أليست هذه المهمة كبيرة وفي الوقت نفسه فضل كبير لأهل البيت؟ أن يُقرَنوا بالقرآن في ضرورة التمسك بهم لتنجو الأمة من الضلال، هذه هي وراثة الكتاب التي أعطاها بني إسرائيل والتي تحدَّث عنها في القرآن كثيراً[1].

لو تمسكت الأمة بأهل البيت لأمنت من الاختلاف والضلال والضياع

المسألة هذه كانت كفيلة، كما أنه في عصر الرسول (صلواتَ الله عليه وعلى آله) كان الوضع هادئاً، كان هناك استقرار تشريعي، الوضع هادئ، ما هناك اختلاف في الأحكام، في الشرائع، في عصر الرسول (صلواتَ الله عليه وعلى آله) بين الناس، الكثير من أصحابه لم يكن هناك اختلاف؛ لأنه ماذا؟ نتبع هذا الشخص، انطلقوا يجاهدون، وانطلقوا على أعمالهم، وانطلقوا في أن يستمعوا من يتقبل ومن لا يتقبل، درجات التقبل كانت متفاوتة لديهم.

(١) معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد.

كانت نموذجاً يكشف عن الواقع الصحيح بالنسبة للسنة الإلهية في الهداية هي على هذا النمط، قال للناس أن يتمسكوا بأهل البيت على هذا النحو، الإمام علي، الحسن والحسين موجودون، وبعد ما توفي كانوا موجودين، لو أن الناس الموجودين في عصر رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) استجابوا للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فانطلقوا بعد ما توفي يتعاملون كما أمرهم مع أهل البيت، مع الإمام علي، مع الحسن، مع الحسين، لما كان سيحصل اختلاف، ولا يحصل قتال، ولا يحصل تضارب، ولا تحصل الآراء الكثيرة.. حتى حول القرآن نفسه، أشياء كثيرة حصلت، لكن لا، مات رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وأقصي الإمام علي وبالتالي أقصي معه القرآن وقدمت البدائل المغلوطة .. وكل واحد منهم تحرك من عنده، كل قفز من عنده، يستنبط ويجتهد، ويشرع، واختلفوا اختلافاً رهيباً.

من بعدها سارت المسيرة التابعين على نفس النمط، اختلاف واجتهادات واستنباطات، طلّعوا لنا الأقوال الغريبة، الأحكام الغريبة، الأشياء العجيبة، ويمشي الزمن تكون الخلاصة أن ينتج دين ثاني، تكون نتيجة الاختلاف ينتج دين ثاني ويسود هو.

الأمة عندما ضيعت الأعلام ضاع الكتاب

﴿وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ﴾ هذه آيات الله هي قائمة فينا، لكن عندما فُقدت الأعلام ألم يَضِع الكتاب نفسه؟ - نضيعُه نحن ولم يَضِعْ هو - ألم تضيِّع الأمة الكتاب عندما أضاعت الأعلام، أم أنه ليس هناك إشكالية؟ هذه نقطة مهمة أن من قوله: ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ بعد قوله: ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ﴾ إذا قلنا وأنتم تتلى عليكم آيات الله (حسبُنا كتابُ الله) ألم يقلها عُمر؟ (حسبنا كتاب

الله) لكـن كتاب اللهِ الأمةُ تحتاج إلى من يهديها به، تحتاج إلى من يجسِّـد قِيَمَه، تحتاج إلى من يفهم آياته فيرشدها بهديه وإرشاده، الأمة تحتاج إلى هذا.

فعندمـا رأت نفسـها مسـتغنية ما الذي حصـل؟ هل اهتدت فعـلاً بالقرآن؟ لا. بل ضلت ولم تهتد بالقرآن، وبدلاً من أعلام الحق يصعد لها أعلام سـوء، وأعـلام شـر، وأعلام باطل، هذا الـذي حصل؛ فضلت عن القـرآن، وبدلاً من أن يكـون لها أعـلام حق وأعلام هدى يبرز لها أعلام شـر وضلال على امتداد تاريخها، وتتعبَّد الله بولائهم. وما أسوأ أن يتعبَّد الإنسان ربَّه بالضلال! ما أسوأ أن تتعبـد الله بضلال! لأنك ضللْت ثم رأيـت الضلال حقاً فأصبحت تتعبد الله بضـلال، والله هو المنزه عـن أن تُقَصِّر في طاعته بالحق الذي هو حق، متنزه، لا يليق بك أن تُقَصِّر في طاعته بالحق الذي هو حق صريح، أما أن تتعبَّده بضلال فهذا شيء لا يليق بالله إطلاقاً، لا يليق بكماله إطلاقاً[1].

وهكـذا ضعنـا وضيعنا الدين وضيعنـا خلافة الله في الأرض؛ لأننا انشـغلنا بـما لا يعنينا فتفرقنـا، فتعادينا، فضعفنا، فضعفت كل مواهبنا، كل موهبة لم يعد لها ميدان تنشـأ فيه فغاب الإبداع من داخلنا، أصبحنا أمة لا تصنِّع أي شيء، لا تصنع أي شـيء. الغربيون كانوا على هـذا النحو الذي نحن عليه: الاختلافات الدينية، كانوا يعيشون الحالة التي نحن فيها في العصور التي يسمونها العصور المظلمـة بالنسـبة لأوروبا، بالنسـبة لغيرها، بعد ما جاءت ثـورة على الدين، في الأخير ثاروا على الدين بكله لكن بإفراط، ثاروا على الدين بكله وقالوا يكفينا (بابا) واحد هناك، رمز مسيحي فقط، اتجهوا إلى التصنيع، إلى الإبداع فأبدعوا وصنَّعوا وانتجوا وأذهلوا وبهروا في الجوانب هذه، ونحن لا شيء.

---

(١) الدرس الأول من دروس آل عمران.

هذه من العوامل الأساسية في تخلف الأمة أنها لم تصبح أمة منتجة مبدعة، من يوم ما كان المطلوب هو أن يكون لنا هداة نأخذ ديننا منهم وننطلق في أعمالنا، يكون توجيهنا واحد، ثقافتنا واحدة، ليس هناك ما نختلف عليه، هداة، خط واحد نأخذ ديننا منهم وننطلق على أعمالنا، حينها سنبدع، ستنشأ الأمة هذه أمة قوية، أمة تبدع في مجالات الحياة، في مجال التصنيع، في مجال تسخير كل ما خلقه الله وسخره للإنسان.

الآن مثلاً أي شيء يمكن أن تقول هذا تصنيع إسلامي، أو إبداع إسلامي، كل ما بين أيدينا من أجهزة الكترونية، ووسائل النقل، ووسائل الاتصال، والأشياء الكثيرة المذهلة، طيب ما الذي نتج في الأخير؟ نتج أننا أصبحنا أمة ذليلة مستضعفة في أزهى عصور الدنيا، وأكثر عصور الدنيا إمكانيات، أضعنا خلافة الله لنا في الأرض.

استخلاف الله للإنسان في الأرض ليس فقط ليعبده على النمط الذي يعبده الملائكة، عندما قال للملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ عبادة تسبيح وتقديس موجود إذا كان هذا هو المطلوب ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

الإنسان له دور آخر، وكان هذا الدور مناط بأولياء الله، بمن يمشون على نهجه، هم المراد لهم أن يستغلوا خيرات الدنيا، هم المراد لهم أن يبدعوا، هم المراد لهم أن تتجلى على أيديهم كل دلائل قدرة الله وعظمته وحكمته؛ لأن كل شيء تراه أمامك من إبداعات الإنسان هي كلها في الأخير دليل على الله، على حكمته، على سعة علمه، على عظمته على جلاله، على قدرته[1].

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان (سنة الله في الهداية).

ارتباط القرآن الكريم بأهل البيت (عليهم السلام)

متى نكون متبعين للقرآن؟

﴿وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام١٥٥] عندما يأتي يقول لك: صحيح فاتبعوه، لكن ما فصل كذا، ولا تناول كذا، ولا قال كذا، ولا، ولا.. أنت لم تتبعه هنا، لأنه يقول لك له طريقة، وله ورثة، له ورثة وهم يعرفون كيف يتعاملون معه، وبين لك هو في داخله بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾[فاطر: من الآية٣٢] وبين لك هو بأسلوبه وهو يتنزل على محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) قل كذا، بيِّن كذا، أليس هذا توجيهاً إلى شخص واحد، لا أتصور بأنني متتبع للقرآن، إذا لم أكن مؤمناً بالطريقة هذه، في الأخير سيبدو القرآن أمامي ناقصاً (لم يبين كذا، ذكر الصلوات ولم يعددها، ذكر كذا ولم يبينه، ذكر كذا وما بينه) وهو يقول: ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[الأنعام: من الآية١٥٤] إذاً له طريقة، ليس المعنى تفصيلاً لكل شيء، لكل من فتحه سيرى تفصيلات كل شيء.

أنت عندما تكون على هذا النحو أنت جاهل لقاعدة هامة القرآن يبتني عليها بكله، وأنه كتاب لبناء أمة، ليس كتاباً فردياً، كل واحد يريد أن يتناول منه الذي يريد ويمشي مع السلامة، هو كتاب قائم على أساس بناء أمة، تصور أنت كيف بناء الأمة، كيف يمكن بناء قبيلة واحدة؟ هل يمكن تتصورها بدون أن يكون هناك قيادة لها، دون أن يكون هناك مرجعية لها؟ هو مبني على هذه، في الأخير يقولون: (لا بأس القرآن، لكن وجدنا ما فيه كذا، ولا قال كذا، ولا فصل كذا) وهو يقول: ﴿وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[الأنعام: من الآية١٥٤] في آيات أخرى يقول: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾[الإسراء: من الآية١٢]، لكن يأتي كل واحد يريد هو يعرف كل التفصيلات، أليس هذا جهلاً بالقرآن نفسه؟ عندما يقول:

﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾، أن تعرف كيف اتباعه، كيف اتباعه، أسس اتباعه، وسترى كل شيء واضحاً، وترى صراطاً مستقيماً.

إذا ما هناك رؤية على هذه ستراه ناقصاً، وترى حتى الذي يقول: (مازال الرسول مبيناً)، وعاد إلى الرسول، ورأى أشياء ليست كاملة، رأى أشياء تحتاج إلى ترجيحات، ورأى أشياء تحتاج إلى كذا، أيضاً احتاجوا إلى استنباطات، وتفريعات، واجتهادات، وأشياء من هذه، وأخيراً ضاعت الأمة بكلها. أليس هو في الوقت الذي يقول: فاتبعوه يقول: اتبعوا محمداً (صلوات الله عليه وعلى آله)، ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[النساء: من الآية ٥٩]، أليس هو يقول هكذا، أليس هو يربط موضوع أن يكون القرآن تفصيلاً لكل شيء بالنسبة لهم مرتبطاً بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)؟. وبعد أن مات رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، قالوا: مات، لم يبق شيء إلا أن كل واحد يبحث هو! ورأى القرآن ليس فيه تفصيل لكل شيء، (إذاً نحتاج إلى كذا، ونحتاج، ...) وبحثوا، (وأخذ ورد) إلى أن ضاع.

إذاً هل يمكن أن نجهل بأن الله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾[فاطر: من الآية ٣٢] أنه يعلم أن أنبياءه سيموتون، وقال هو: أن الرسل سيموتون، ويموت الناس جميعاً، أنه هو يورث؛ لأنه كتاب لله الحي القيوم، ليس كتاباً مثل الكتب الأخرى التي نقرأها، ونقول: قال رحمه الله تعالى[1].

من التبيين القرآني، ما يهدي إليه القرآن بالنسبة لأعلام دين الله

القرآن الكريم يشهد على أنه كامل، عندما ترى أنه ليس هناك شيء أغفله

(١) مديح القرآن الدرس الأول.

نهائياً. فإذا افترضنا شيئاً من القرآن نقص، هو لا يعني شيئًا، يعني لا يوجد شيء يتناوله، لا يوجد حاجة إليه. كل أمر، كل أمر مثلما قال: ﴿تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل ٨٩].

استعرض الأشياء في الحياة، افترض حتى أشياء، تجد القرآن تبياناً فيها، أي: لم يغفل أيّ مجال على الإطلاق. إذاً فما نقص منه شيء. لو نقص منه شيء لكنت ستلقى هوة وأنت تقرأ القرآن. لا، هذا شيء معروف.

ومن التبيين القرآني، ما يهدي إليه القرآن بالنسبة لأعلام دين الله؛ فيكونون هم وسيلة تبيين، هم أنفسهم، ولن يكونوا عبارة عن رقم ثانٍ، وإنما في إطار القرآن الكريم.[1]

ولن يكون ظاهر القرآن متناقضاً مع ما يقدم من قرناء القرآن

ولن يكون ظاهر القرآن متناقضاً مع ما يقدم من قرناء القرآن، مهما كانت القضية ذات عمق، فيعتبر ما يفهم الإنسان من ظاهر سماعه للتلاوة يعتبر ماذا؟ يعتبر أساساً يجعله يقبل ما يقدم له، ولن تكون القضية متباينة إلا إذا كان من يقدمون القرآن ليسوا من قرناء القرآن. وعندما نقول: قرناء القرآن لا يعني فقط أن يكون أي شخص من أهل البيت؛ لأنه وإن كانوا من أهل البيت قد يكون الكثير منهم ليسوا قرناء قرآن، أن يكون هو بخصوصه، كل واحد يدعي أنه بخصوصه قرين قرآن الله يختار ويصطفي من داخل هذه الدائرة من يكون قرينا للقرآن.[2]

●●●

(١) مديح القرآن الدرس الأول

(٢) الدرس السادس والعشرون من دروس رمضان.

صور مشرقة من مواقف أهل البيت (عليهم السلام)

امتاز تاريخ أهل البيت (عليهم السلام) بالجهاد في سبيل الله من أجل الحق والعدل، وامتازوا بالصمود في وجه الطغيان، والتصدي لكل محاولات التزييف والتحريف، ابتداء من الكلمة، ومروراً بالجهاد والكفاح المسلح، فحافظوا فعلاً على جوهر الدين عقيدة وفكراً ورؤية أمام محاولات التحريف والتزييف الرهيبة التي تعرض لها.

فإذا نظرنا نظرة فاحصة إلى آثار أهل البيت في هذه الأمة، وجدنا ميراثاً ثقافياً وافراً في مختلف جوانب المعرفة، ووجدنا آثاراً بارزة لمظاهر الإعمار والبناء في سائر البلدان التي كان لهم فيها وجود، ولمسنا آثاراً حسنة لنمط الحكم الذي مضوا على نهجه، ووجدنا أنهاراً من الدماء التي سالت دفاعاً عن الحق وحفاظاً عليه.

وبسبب تلك المميزات، والسيرة الحسنة كان ملوك البلدان ورؤساء العشائر يستقدمون بعض الأئمة إلى بلدانهم ويتنحون لهم عن مناصبهم ويرضون بأن يكونوا من جملة رعاياهم.

ومن هنالك استطاعوا إدخال الدعوة الإسلامية إلى بلدان نائية كبلاد الجيل والديلم وطبرستان وأطراف خراسان شرقاً، وبلاد البربر وأدغال أفريقيا غرباً، فقد ذكر المؤرخون أنَّه أسلم على يد الإمام الناصر الأطروش ألف ألف إنسان من أهالي الجيل والديلم ونواحيهما، واستطاع أن يخلِّصهم من الحكم الإقطاعي الجائر الذي كان يتحكم في معظم تلك البلاد.

واستطاع الإمام إدريس بن عبد اللّه وولده إدريس بن إدريس أن يُكوِّنا من

قبائل البربر جيشاً إسلامياً يعمل على تبليغ ونشر الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وجنوب وغرب أوربا.

كما استطاع الإمام الهادي وأولاده أن يخلصوا بلاد اليمن من فتن جائرة كانت قد استفحلت فيه ومزقته كل ممزق، وترك فيه آثاراً عظيمة ما زال اليمنيون يفخرون بها إلى اليوم.

أهل البيت من أعظم النعم على هذه الأمة

أهل البيت (عليهم السلام) لا شك بأنهم من أعظم النعم على هذه الأمة، فهم لها سفينة النجاة يواجهون أمواجاً من الضلال والفساد والمؤامرات كالجبال، ويوصلون الأمة إلى بر الأمان، وهم للأمة الأمان من الضلال والتَّيه.

والتاريخ والحاضر خير شاهد على دورهم العظيم والمهم في حفظ الإسلام من مؤامرات الأعداء ومن علماء السوء الذين يشوهون الدين ويقدمون له أبشع صورة وأقبحها.

وسنقدم عدة صور من الماضي تبين لنا عظمة أهل البيت النبوي الشريف، أما الحاضر فإن خير شاهد لعظمة أهل بيت النبوة هنا في اليمن يتمثل وبشكل خاص في قيادة هذه المسيرة القرآنية.

ونحن هنا سنورد عدة مواقف من المواقف التي تدل على مكانة أهل البيت وعظمتهم ودورهم في الحفاظ على قيم الدين ومبادئه وجاذبيته وتقديم الشهادة الحية على عظمته وحبهم للناس وحرصهم على رفع المعاناة عنهم.

مما خلده الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾

ما ورد في سورة (الإنسان) ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ قدم فيها صورة من صور الرحمة لأهل بيت النبوة، فقد ذكر لنا القرآن الكريم وسجل موقفاً يدلل على مدى رحمة أهل البيت (عليهم السلام) وإيثارهم وعطفهم وحنانهم المتميز سجله في سورة الإنسان في موقف مشهورٍ معروف لهم، تلك الأسرة النبوية الكريمة العظيمة فيما تحمله من قِيَم في صيامهم ومع غروب الشمس ودخول الليل وحان وقت الإفطار وأتى وقت العشاء بجوعهم ولديهم القليل من الطعام، في وضعٍ اقتصاديٍ صعب عاشوه في تلك المرحلة يأتي إليهم ذووا الحاجة من الناس، المسكين واليتيم والأسير فكان الموقف الذي سجله لهم القرآن الكريم: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً • إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً﴾ [الإنسان:٨ ـ ٩].

بكل رحمة بكل عاطفة بكل محبة ومن واقعٍ إيمانيٍ قائمٍ على الخوف من الله وعلى ابتغاء مرضاته وعلى السعي للحصول على رحمته يقدمون طعامهم وهم في أشد الحاجة إليه ويصبرون على جوعهم ويؤثرون أولئك ذووا الحاجة والفقر والشدة، المسكين واليتيم والأسير على أنفسهم هكذا يبرزون.

ويقول السيد حسين بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه) حول ما حصل في قضية الإطعام في الدرس الثاني من دروس المائدة عند قول الله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ هي حادثة إطعام علي (عليه السلام)) وأهل بيته (عليهم السلام) للمسكين واليتيم والأسير على مدى ثلاثة أيام وإيثارهم لهم على أنفسهم واكتفائهم بالماء وهم في أيام صوم متتالية تنزلت آيات الله

تعالى مسجلة أعظم مآثر علي (عليه السلام) في ضمير الوجود حيث ستبقى ترددها الآفاق والألسنة وصفحات المجد ما شاء الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا • إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا • إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا • فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا • وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[الإنسان:٨-١٢] وليس المهم في الأمر حجم ما قدمه الإمام علي (عليه السلام) لأولئك المحتاجين فإن الكثير من الناس يبذلون أضعاف ذلك ولكن شتان بين من ينفق لوجه الله خالصًا دون شائبة وبين من ينفق من أجل غرض دنيوي أو جاه أو ذكر يشاع بين الناس كما أنه شتان بين من ينفق كل ما لديه وهو أحوج ما يكون إليه وبين من ينفق بعض ما لديه وهكذا يختلف التقويم عند الله تعالى بين ذا وذاك.

انظروا ماذا عمل سبحانه وتعالى لأولئك من أهل البيت الإمام علي (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) عندما تصدقوا بشيء بسيط لكنه انطلق منهم على هذا النحو: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا • إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[الإنسان:٩،١٠]. هذه الروحية، هذه النية، تلك المقاصد هي التي جعلت حفنةً من الشعير، أقراصًا معدودة تخلِّد ذكر أولئك الذين قدّموها لمسكين واحد، وأسير واحد، ويتيم واحد، تخلد تلك الفضيلة وتلك العطية العظيمة البسيطة في القرآن الكريم، فنحن نقرَؤُها.

تكشف لنا هذه القصة واقعه في نفسه مما لا بد منه بالنسبة لنا ونحن في أمس الحاجة إلى أن يكون من يلي أمرنا على هذا النحو ويأتي من قبل الله ما يدلنا ويرشدنا إلى أنه على هذا النحو، وتتجلى أحيانًا الأشياء بمظاهر معينة صادقة

حيث قد لا تكون عادة مظاهر جذابة كما حصل من علي وفاطمة (عليهما السلام) في هذه الحادثة في إطعامهم المسكين واليتيم والأسير.

ألم يكشف هناك أيضًا كيف أنهم يُؤْثِرُون الآخرين، وكيف أنهم ينطلقون في إطعام الآخرين والاهتمام بهم وإيثارهم على أنفسهم من منطلق ابتغاء وجه الله، وإن كان هذا الشيء الذي أعطوه وقدموه هم في أمس الحاجة إليه.

ويقول (رضوان الله عليه) حول قول الله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨] لاحظوا حتى التقليل في العبارة هنا: مسكين واحد أول ليلة، يتيم واحد ثاني ليلة، أسير واحد ثالث ليلة، أليسوا هنا ثلاثة أشخاص؟ فقط ثلاثة أشخاص؟! هل يستحق لأنه أعطى ثلاثة أشخاص؟! أي: أعطى كذا، كذا... وهذا أعطى مئات الناس، لكن عطاء مئات الناس - أحياناً - لا يكون له قيمة، يُصَفّر عليه عند الله سبحانه وتعالى، ولا قيمة حتى عند الإنسان نفسه الذي بذله؛ لأن العطاء إذا لم يكن مِنْ داخل، وتبتغي به وجه الله، وإن كان لفرد واحد، العطاء إذا لم يكن على هذا النحو تبتغي به وجه الله ومن أعماق نفسك يكون له أثره في تزكية نفسك أنت، لكن متى ما أعطيت مُرَاءاة لو تعطي مليوناً فلن يصنع في نفسك أثراً أبداً ولن يزكّي نفسك، مهما عملته مراءاةً أو لأيّ غرض آخر ليس على هذا النحو: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا﴾ [الإنسان:٩] ولا من الآخرين أن يثنوا ولا أن يمدحوا، لأنه بالطبع من الذي سيُثني على أننا أطعمنا يتيماً، يتيماً واحداً لا يبدو جذاباً، أليس كذلك؟ لكن ألف شخص يعمل لهم وليمة يبدو هذا جذاباً، أليس كذلك؟ القضية ليست على هذا النحو، يكشف لنا أعماق نفسيات هؤلاء الذين يشدّنا إليهم كأعلام.

أطعم مسكيناً ويتيماً وأسيراً، فقط ثلاثة؟! ليس المهم هو العدد فقط ثلاثة، المهم أجواء العطاء والنفوس التي انبعث منها، الدوافع نحو العطاء هي التي أردنا أن نكشفها لك، فتعرف مَن هم هؤلاء، الذين يعطون على هذا النحو سيعطون الأمة كلها كل ما يملكون، أليس هذا هو المهم؟[1]

ويقول العلامة المجاهد بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه):

ذكر الإمام الهادي (عليه السلام) في كتاب (الأحكام) في أوله، وفي (التفسير) أن هذه الآيات من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿..فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ نزلت في رسول اللّه (صلوات الله عليه وعلى آله)، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين (عليهما السلام).

وفي (الدر المنثور) للسيوطي ـ من كبار علماء أهل السنة ـ عند ذكر هذه الآيات: (وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ..﴾ الآية. قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب، وفاطمة بنت محمد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم) انتهى.

وفي (شواهد التنزيل) رواية نحو هذا عن ابن عباس من طرق، وعن علي (عليه السلام)، وعن زيد بن أرقم فطالعه، وفي كتاب (مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام)» لمحمد بن سليمان الكوفي رواية ذلك عن علي (عليه السلام) من طريق زيد بن أرقم (ج١/ ص١٦٤).[2]

(١) سورة المائدة ـ الدرس الثاني .

(٢) التفسير الميسر للعلامة المجاهد بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه.

حادثة المباهلة

بعد أن تحقّق النصر للدعوة ونبيّها الكريم محمّد (صلوات الله عليه وعلى آله) في أرجاء الجزيرة، وتمّ فتح مكّة والطائف ودُمِّرَت معاقل الشِّرك والوثنيّة وظهر الاسلام كقوّة عقيدية وسياسية وعسكرية ؛ أخذت وفود العرب تَفِدُ على رسول الله لِتُعْلِنَ إسلامها وولاءها، فوفد على رسول الله ثلاثة وثلاثون وفداً يمثّلون قبائلهم، وأخذ رسول الله يوجِّه كتبه ورسله إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الاسلام من منطق القوّة والوثوق بالوعد الإلهي بالنصر المؤزر، وكان ممن وجّه إليهم كتبه، هم أساقِفَةُ نجران يدعوهم إلى الاسلام ويعرّفهم بدعوته . ونصّ كتابه المبارك هو:

(بسم الله، من محمّد رسول الله إلى أساقفة نجران: بسم الله فإنِّي أحمدُ إليكم إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، أمّا بعد ذلكم فإنِّي أدعوكم إلى عبادة الله مِن عبادةِ العِبادِ، وأدعوكم إلى ولاية الله مِن وِلايةِ العِبادِ، فإنْ أبيتم فالجزية، وإنْ أبيتم آذَنتكم بحرب، والسلام[1].

حلّ هذا الكتاب الّذي خاطب زعماء النصارى في نجران في بلاد اليمن، مثل انطلاقة جديدة تستهدف إحلال الدين الاسلامي وفق السنن الإلهيّة محلّ الديانة المسيحية بعد أن حُرِّفَتْ وبعد أنْ قَضَى الله سبحانه نَسْخها، وإن كانت صحيحة، وفي الرِّسالة نُلاحظ أنّ الرّسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) حاول أن يُرْجِعَهُم إلى أصول العقيدة التوحيدية الّتي بشّر بها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب لاتفاقهم معه، أنّ هؤلاء هم رسل الله، ولِيُثْبِتَ لهم أنّه نبيٌّ يدعو بدعوة الأنبياء .

---

(١) اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي / ج ٢ / ص ٨١ .

ثمّ إنّنا نشاهد في هذه الرِّسالة منطق القوّة الّتي يُخاطَبُ بها المُعانِدون، إنْ لم يستجيبوا لمنطق الحق، ودعوة العقل السليم .

لقد أحدثَ هذا الكتاب هزّة عنيفة في كيان النصارى في بلاد اليمن، ورأوا أنْ يَقدموا على رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بوفد يخوض حواراً عقيديّاً وفكريّاً، توجّه الوفد برئاسة أبي حارثة الأسقُف ومعه العاقِب والسيِّد وعبدالمسيح وكوز وقيس والأيهم، فوصلوا المدينة ودخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في مسجده الشريف وهم متباهون بزينتهم وحُلِيِّهِم ظانِّين أنّ ذلك يؤثِّر على موقف رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) النفسيّ. وحين رآهم رسول الله متظاهرين بمظاهر العظمة المزيّفة قال لأصحابه: (دعوهم). ثمّ التقوا رسولَ الله، وبدأ الحوار والمساءلة طوال ذلك اليوم . ثمّ سأل أبو حارثة رسولَ الله: (يا محمّد ! ما تقول في المسيح؟ قال: هو عبد الله ورسوله . فقال أبو حارثة: تعالَى الله عمّا قلت).

وكان يظنُّ في المسيح ظنّ الرّبوبية، وحين اشتدّ إصرارهم على القوّة من عقيدة الشِّرْك وتأليه المسيح ورفض نبوّة محمّد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، أراد الله سبحانه أن يُظْهِر لهم نبوّة محمّد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بإجابة دعوته وبطلان عقيدتهم ودعواهم، فأنزل الله على نبيِّه آية المباهلة، قال تعالى:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ ا لْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[آل عمران/٦١].

استمع الرّسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إلى البيان الإلهي . فَأَصْغَى إلى كلمة الفصل والنص السماوي له. إنّهُ حجّة إعجازيّة تُضاف إلى حجّته الفكرية والمبدئية،

وإذن توجّه الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بالخطاب إلى وفد النصارى:

«إن لم تؤمنوا بي وتصدقوني، فتعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذب وننتظر من سيقع عليه العذاب والعقاب الإلهي فهو على باطل، فقالوا للنبي: نباهلك غداً».

ثمّ اجتمعوا فتحاوروا وتشاوروا بينهم، فقال أبو حارثة لوفده: (أُنْظُروا مَنْ جاءَ معه، وغدا رسول الله آخذاً بيد الحسن والحسينِ تتبعُهُ فاطمةُ، وعليّ بن أبي طالب بين يديه، وغدا العاقِبُ والسيِّدُ بِابْنَيْنِ لهما عليهما الدُّرُّ والحُلِيُّ، وقد حَفّوا بأبي حارثة، فقال أبو حارثة: مَنْ هؤلاءِ مَعَه؟ قالوا: هذا ابن عمِّه، وهذهِ ابنتُهُ، وهذانِ ابناها، فجثا رسولُ الله على ركبتيه ثمّ رَكَعَ، فقال أبو حارثة: جثا واللهِ كما يجثو النبيّونَ للمباهلة).

وحين شاهد الوفدُ ورئيسُهُ ذلك المنظَر النبويَّ المجَلَّلَ بالصِّدْق والخُشوع والثِّقَةِ بنتائج المباهلة دخلَ الرُّعب إلى نفوسهم، فقال السيِّد رئيس الوفد: (أُدْنُ يا أبا حارثة للمباهلة، فقال: عندما شاهد أهل البيت (عليهم السلام) والله إني لأرى وجوهاً لو سألت الله أن يزيل هذا الجبل من مكانه لأزاله) إنّي أرى رجلاً حَرِيّاً على المباهلة وإنّي أخاف أن يكون صادقاً، فإنْ كان صادقاً لم يَحُلِ الحولُ وفي الدُّنيا نصرانيّ يُطعَمُ الطّعامَ. قال أبو حارثة: يا أبا القاسم لا نباهلك، ولكنّا نعطيك الجزية، فصالحهم رسول الله على ألفي حُلَّة مِنْ حُلَلِ الأواقي، قيمة كلّ حلّة أربعون درهماً، فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك)[1].

وقد دلّت حادثة المباهلة على صدق دعوة الرّسول (صلواتُ الله عليه وعلى آله) وثباته، كما أنّ في تعبير الآية المباركة عن الحسن والحسين (عليهما السلام) بـ

(١) اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي / ج ٢ / ص ٨٢.

(أبناءنا) أي أبناء الرّسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، وعن فاطمة (عليها السلام) بـ(نساءنا)، وعن عليّ (عليه السلام) بـ(أنفسنا) نسبة لهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، دلالة بالغة على مكانة أهل البيت (عليهم السلام) وأن دورهم سيكون امتداد لدور النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)

قال الزمخشري في سياق تفسير آية المباهلة:

(وقدّمهم في الذِّكر عَلَى الانْفُس لِيُنَبِّهَ على لُطف مَكانِهِم وقُرْبِ مَنْزِلَتِهِم، ولِيُؤْذِنَ بأنّهم مُقدّمونَ علَى الانْفُس مُفْدَوْنَ بها ... وفيه دليلٌ لا شيءَ أقوى منه علَى فَضْلِ أصحابِ الكساء).

ومن الصور المشرقة والتي سطرها التاريخ من حياة أهل البيت (عليهم السلام)

الإمام الحسين (عليه السلام) أمام الوليد

من الصور التاريخية المشرقة التي احتفظ بها تاريخ أهل البيت (عليهم السلام) هو موقف الإمام الحسين (عليه السلام) أمام أمير بني أمية في المدينة الوليد بن عقبة يذكر التاريخ أنه:

لما هلك معاوية لعنه الله وذلك للنصف من شهر رجب سنة ستين من الهجرة كتب يزيد بن معاوية لعنه الله إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان على المدينة من قبل معاوية أن يأخذ الحسين (عليه السلام) بالبيعة له ولا يرخص له في التأخير عن ذلك، فأنفذ الوليد إلى الحسين في الليل فاستدعاه فعرف الحسين (عليه السلام) الذي أراد، فدعا جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: إن الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفني فيه أمراً لا

أجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب، فان سمعتم صوتي قد علا فادخلوا.

فصار الحسين (عليه السلام) إلى الوليد بن عتبة فوجد عنده مروان بن الحكم فنعى إليه الوليد معاوية فاسترجع الحسين ثم قرأ عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه له، فقال الحسين (عليه السلام): إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سراً حتى أبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس، فقال له الوليد: أجل فقال الحسين: فتصبح وترى رأيك في ذلك، فقال له الوليد: انصرف على اسم الله تعالى حتى تأتينا مع جماعة الناس. فقال له مروان: والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب الحسين (عليه السلام) عند ذلك وقال: أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت ثم أقبل على الوليد فقال: أيها الأمير! إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينا أحق بالبيعة والخلافة، ثم خرج (عليه السلام).

من حياة الإمام زيد بن علي (عليه السلام)

ومن الصورة المشرقة ما روي من مواقف الإمام زيد بن علي (عليه السلام)

فقد دخل الإمام زيد بن علي (عليه السلام) على الطاغية المجرم هشام بن عبد الملك وقد سمع بأن هشام بن عبد الملك قد أعلن على رؤوس الملأ في يوم حج

وأقسم أن لا يأمره أحد بتقوى الله إلا ليقطعن رأسه. فلما دخل عليه الإمام زيد (عليه السلام) قال له: اتق الله يا هشام! فقال: أو مثلك يأمرني بتقوى الله؟ فقال: نعم ! إن الله لم يرفع أحداً فوق أن يؤمر بتقوى الله ولم يضع أحداً دون أن يأمر بتقوى الله.

فقال هشام هذا تحقيق لما رفع إلي عنك، ومن أمرك أن تضع نفسك في غير موضعها وتراها فوق مكانها؟ فترفع على نفسك واعرف قدرك ولا تشاور سلطانك ولا تخالف على إمامك.

فقال الإمام زيد (عليه السلام): من وضع نفسه في غير موضعها أثم بربه ومن رفع نفسه عن مكانها خسر نفسه، ومن لم يعرف قدره ضل عن سبيل ربه، ومن شاور سلطانه وخالف إمامه هلك أفتدري يا هشام من ذلك؟ ذلك من عصى ربه وتكبر على خالقه وتسمى باسم ليس له، وأما الذي أمرك بتقوى الله فقد أدى إلى الله النصيحة فيك ودلك على رشدك.

فوثب هشام من مجلسه وقام قائلاً: أخرجوه من مجلسي ولا يبيتن في معسكري.

فخرج الإمام زيد وهو يقول: سأخرج ولن تجدني والله إلا حيث تكره.

وخرج وهو يقول: والله ما كره قوم قط حر السيوف إلا ذلوا.

ـ واستدعاه هشام مرة أخرى فجاء وفي مجلسه يهودي يسب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فانتهره زيد (عليه السلام) وقال: يا كافر أما والله لئن تمكنت منك لأختطفن روحك.

فقال هشام: مه يا زيد لا تؤذي جليسنا فخرج زيد (عليه السلام) وهو يقول: من استشعر حب البقاء استدثر الذل إلى الفناء.

وقال: والله إني لأعلم بأنه ما أحب الحياة قط أحد إلا ذل.

الإمام علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن (عليهم السلام)

ـ ما روي عن الإمام علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن والذي كان يقال لـه علي الخير، وعلي الأغر، وعلي العابـد، وكان يقال له ولزوجته زينب بنت عبد الله بن الحسن: الزوج الصالح

فقد سـطر التاريخ بعضاً من الحياة المشـرقة لهذا الرجل العظيم والتي منها عبادتـه لله وقربـه مـن الله فمن ذلك مـا ذكره أبو الفـرج الأصبهاني فـي مقاتل الطالبيين:

١ـ حدثني أبو حذافة السـهمي قال: حدثني مولى لآل طلحة: أنه رأى علي بن الحسـن قائـماً يصلي في طريق مكة، فدخلت أفعى فـي ثيابه من تحت ذيله، حتى خرجت من زيقته، فصاح به الناس: الأفعى في ثيابك، وهو مقبل على صلاته، ثم انسـابت فمـرت فما قطع صلاته، ولا تحـرك، ولا رؤى أثر ذلك في وجهه.

٢ـ حدثنـا محمد بن إسـماعيل قال: سـمعت جدي موسـى بن عبـد الله يقول: حبسـنا أبو جعفـر المنصور في [المطبـق] فما كنا نعرف أوقـات الصلوات إلا بأجزاء يقرأها علي بن الحسن بن الحسن.

٣ـ أخبرني سليمان بن داود بن الحسن والحسن بن جعفر قالا:

لما حبسنا كان معنا علي بن الحسن وكانت حلق أقيادنا قد اتسعت فكنا إذا أردنا صـلاة أو نوماً أبعدناها عنا فإذا خفنا دخول الحراس أعدناها وكان علي بن الحسـن لا يفعل ذلك فقال له عمه: يا بني ما يمنعك أن تفعل؟ قال: لا والله لا أخلعه أبداً حتى أجتمع أنا وأبو جعفر عند الله فيسأله لم قيدني به.

٤ـ وقال: ضجر عبد الله ضجرة فقال: يا علي ألا ترى ما نحن فيه من البلاء؟ ألا تطلب إلى ربك عز وجل أن يخرجنا من هذا الضيق والبلاء ؟ قال.

فسكت عنه طويلاً ثم قال: يا عم إن لنا في الجنة درجة لم نكن لنبلغها إلا بهذه البلية أو بما هو أعظم منها، وإن لأبي جعفر في النار موضعاً لم يكن ليبلغه حتى يبلغ منا مثل هذه البلية أو أعظم منها فإن تشأ أن تصبر فما أوشك فيما أصبنا أن نموت فنستريح من هذا الغم كأن لم يكن منه شيء وإن تشأ أن ندعو ربنا عز وجل أن يخرجك من هذا الغم

ويقصر بأبي جعفر غايته التي له في النار فعلنا.

قال: لا، بل أصبر. فما مكثوا إلا ثلاثاً حتى قبضهم الله إليه.

٥ـ أخبرني احمد بن سعيد قال: حدثنا يحيى بن الحسن قال: حدثنا موسى ابن عبد الله بن موسى قال: توفى علي بن الحسن وهو ساجد في حبس أبي جعفر فقال عبد الله.

أيقظوا ابن أخي فإني أراه قد نام في سجوده.

قال: فحركوه فإذا هو قد فارق الدنيا.

وتوفى علي بن الحسن وهو ابن خمس وأربعين سنة لسبع بقين من المحرم سنة ست وأربعين ومائة.

محمد بن إبراهيم طباطبا (عليه السلام)

صورة من الصور المشرقة التي تبين الروحية التي كان يحملها أهل البيت (عليهم السلام) ما روي أن محمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشِّبْه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) وافى الكوفة يسأل عن أخبار الناس فبينا هو في بعض الأيام يمشي في بعض طريق

الكوفة إذ نظر إلى عجوز تتبع أحمال الرطب، فتلقط ما يسقط منها فتجمعه في كساء عليها رث، فسألها عما تصنع بذلك.

فقالت: إني امرأة لا رجل لي يقوم بمؤنتي ولي بنات لا يعدن على أنفسهن بشيء، فأنا أتتبع هذا من الطريق وأتقوته أنا وولدي.

فبكى بكاء شديداً، وقال: أنت والله وأشباهك تخرجونني غداً حتى يسفك دمي.

صورة من حياة الإمام القاسم بن إبراهيم (عليه السلام)

فقد حكى الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (عليه السلام) عن أبيه أن المأمون كلف بعض العلوية أن يتوسط بينه وبين القاسم (عليه السلام)، ويصل ما بينهما على أن يبذل له مالاً عظيماً، فخاطبه في أن يبدأه بكتاب أو يجيب عن كتابه، فقال (عليه السلام): لا يراني اللّه تعالى أفعل ذلك أبدا!!

وحمل إلى القاسم سبعة أبغل عليها دنانير فردها وقال والله لأن يبيت الظالم ليلة واحدة وهو خائف مني أحب إلي من الدنيا وما فيها.

فلامه أهله على ذلك فقال:

تقول التي أنا رِدْءٌ لها ... وقاءَ الحوادثِ دُوْنَ الردا
ألست ترى المال منْهَلةً ... مخارمُ أفواهها باللُّهى
فقلت لها وهي لَوَّامة ... وَفي عيشها لو صَحَتْ ما كفى
كفافَ امرءٍ قانع قوتُه ... ومن يرض بالعيش نال الغنى
فإني وما رمتِ في نيله ... وقبلك حبُ الغنى ما ازْدَهَا
كذي الداء هاجت له شهوةٌ ... فخاف عواقبها فاحتمى

صورة من حياة الإمام عيسى بن زيد (عليه السلام)

صورة أخرى من الصور المشرقة التي تبين بأن أهل البيت (عليهم السلام) لم يكونوا عشاق سلطة وإنما كانوا عشاق حق ما رواه صبَّاح الزعفراني وكان ممن يقوم بأمر الإمام عيسى بن زيد، قال: لما بذل المهدي العباسي لعيسى بن زيد من جهة يعقوب بن داود ما بذل له من المال والصلة نودي بذلك في الأمصار ليبلغ عيسى بن زيد فيأمن، فقال عيسى لجعفر الأحمر وصباح: قد بذل لي من المال ما بذل ووالله ما أردت حين أتيت الكوفة الخروج عليه، ولأن يبيت الظالم خائفا ليلة واحدة أحب إلي من جميع ما بذل لي ومن الدنيا بأسرها.

أخبرني عبد الله بن زيد، قال: حدثني أبي قال: حدثني سعيد بن عمر ابن جنادة البجلي قال: حج عيسى بن زيد والحسن بن صالح فسمعنا مناديا ينادي ليبلغ الشاهد الغائب أن عيسى بن زيد آمن في ظهوره وتواريه، فرأى عيسى بن زيد الحسن بن صالح قد ظهر فيه سرور بذلك فقال: كأنك قد سررت بما سمعت فقال: نعم.

فقال له عيسى: والله لإخافتي إياهم ساعة أحب إلي من كذا وكذا.[1]

صور من حياة الإمام الهادي (عليه السلام)

ـ ومن الصور العظيمة لأهل البيت (عليهم السلام) ما أثر عن الإمام الهادي (عليه السلام) حيث قال مؤلف سيرته وأحد تلاميذه: كان الإمام الهادي (عليه السلام) يقول لغلامه الذي يقف على بابه: (أوصل إلي كل ضعيف ولا تحرقني

(١) مقاتل الطالبيين .

وتحرق نفسك بالنار فقد فسحت الأمر من عنقي إليك)[1] .

ـ ورأيته ليلة وقد جاءه رجل ضعيف في السحر يستعدي على قوم فدق الباب فقال: من هذا الذي يدق الباب في هذا الوقت؟ فقال له رجل كان على الباب: هذا رجل يستعدي، فقال: أدخله، فاستعدى، فوجه معه في ذلك الوقت ثلاثة رجال يحضرون معه خصماءه، ثم قال: يا أبا جعفر الحمد لله الذي خصنا بنعمته وجعلنا رحمة على خلقه، هذا رجل يستعدي إلينا في هذا الوقت لو كان واحداً من هؤلاء الظلمة ما دنا إلى بابه في هذا الوقت مستعد، ثم قال: ليس الإمام منا من احتجب عن الضعيف في وقت حاجة ملظة[2].

ـ ويقول: ورأيته يوماً وقد أخذ المصحف ثم قال للناس: (بيني وبينكم هذا، آية آية فإن خالفت ما فيه بحرفٍ فلا طاعة لي عليكم بل عليكم أن تقاتلوني أنا)[3] .

ـ قال أبو العباس الحسني رحمه الله: وسمعت علي بن العباس يقول: كنا عنده يوماً وقد حمي النهار وتعالا وهو يخفق برأسه فقمنا، فقال: سأدخل وأغفي غفوة. وخرجت لحاجتي وانصرفت سريعاً وكان اجتيازي على الموضع الذي يجلس فيه للناس فإذا أنا به في ذلك الموضع، فقلت له في ذلك، فقال: لم أجسر على أن أنام وقلت: عسى أن ينتاب الباب مظلوم فيؤاخذني الله بحقه ووليت راجعاً كما دخلت.[4]

وحدثني أبو العباس رحمه اللّه قال: حدثني أبو العباس الفضل بن العباس

---

(١) العلوي ص ٥٦.

(٢) ملظة: ملحة.
العلوي ص ٦٢.

(٣) العلوي ص ٥١.

(٤) الإفادة ١٤٢.

رحمه اللّه، أنَّه قال: حدثني سليم مولى فلان وسماه لي وكان يلي خدمة الهادي (عليه السلام) في داره. قال: كنت أتبعه ـ حين يأخذ النَّاس فراشهم ـ في أكثر لياليه بالمصباح إلى بيت صغير في الدار كان يأوي إليه، فإذا دخله صرفني فأنصرف، فهجس ليلة بقلبي أن أحتبس، وأتيت على باب المسجد أنظر ما يصنع. قال: فسهر (عليه السلام) الليل أجمع ركوعاً وسجوداً، وكنت أسمع وقع دموعه صلى اللّه عليه ونشيجاً في حلقه، فلما كان الصبح قمت فسمع حسي، فقال: من هذا؟ فقلت: أنا. فقال: سليم ما عجل بك في غير حينك ؟! قلت : ما برحت البارحة جعلت فداك. قال: فرأيته اشتد ذلك عليه وحَرَّج عليَّ أن لا أحدث به في حياته أحدا. قال: فما حَدَّثَنَا به سليم إلا بعد وفاة الهادي إلى الحق (عليه السلام) أيام المرتضى.[1]

حدثني أبو العباس الحسني رحمه اللّه، عن عمه محمد بن الحسن رحمه اللّه، قال: سمعت علي بن العباس رحمه اللّه يقول: ركب يحيى بن الحسين (عليه السلام) إلى موضع هو مجمع يعظ النَّاس ويذكرهم، فبلغ أبا القاسم ابنه ركوبه فأسرج وركب وأسرع نحوه فعرض له في الطريق بعض الطبرية وحال بينه وبين الهادي فأهوى إليه بسوطه ينحيه وكانت من الهادي التفاتة إليه فلم يزل يقطع مسيره في تقريعه وعذله. ويقول: أبا القاسم، مؤمنٌ وليُّ لله تعالى تكلمه بالسوط؟!

السيد حسين والسيد عبد الملك (رضوان الله عليهما) هما الامتداد الحقيقي لأهل البيت عليهم السلام

لا شك بأن السيد حسين بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه هو الامتداد الحقيقي والطبيعي لأعلام الهدى من أهل البيت عليهم السلام في المنهج والدور والمسؤولية, جسد بالقول وبالفعل مسيرة أعلام الهدى من الأنبياء

(١) الافادة ٨٩.

وورثتهم الحقيقيين, عمل على تصحيح واقع الأمة وإصلاح وضعها ومواجهة الأخطار المحدقة بها بعد أن تفاقمت مشاكل البشرية بفعل قوى الطاغوت والاستكبار الظلامية الظالمة التي سعت في الأرض فساداً وظلماً وجوراً, وفي الوقت نفسه عمل على تصحيح المفاهيم الظلامية التي هي نتاج طبيعي للتحريف والانحراف من مسيرة الأمة.

لقد تحرك الشهيد القائد رضوان الله عليه أمام كل هذا الجبروت العالمي، أمام كل هذا الطغيان بكل إمكاناته الهائلة، وبحقده وبنزعته الإستكبارية والإجرامية والعدوانية، وأمام العمالة الرهيبة والتواطؤ والتعاون والعمالة، العمالة غير المسبوقة من الحكومات والأنظمة والجيوش والزعماء والتحاقها بركب تلك القوى الإجرامية العالمية.

أمام هذه الحالة الفظيعة والرهيبة والخطرة تحرك هذا الرجل العظيم وأنعم الله به على الأمة ليتحرك وفعلاً يحقق في واقع الأمة الحديث النبوي الشريف «**أهل بيتي أمان لأهل الأرض**» فعلاً تحقق من خلاله هذا في واقع الأمة، تحرك غيوراً على أمته، غيوراً عليها من الضلال، غيوراً عليها من الظلم والضيم والقهر، يريد لها العزة، يريد لها أن لا تضام، وأن لا تقهر.

لم ير لنفسه مثل ما رأى الآخرون لأنفسهم أن يسكت أو يصمت أو يتفرج أو يتهاون أو ينتظر بواقع الأمة أن يتحقق فيه للطغاة والمستكبرين العالميين كل ما يريدون، لم يسكت، ولم يتجاهل، ولم يتهاون، ولم يغفل، بل تحرك بحمية الإيمان وعزة الإيمان ورحمة الرسول محمد صلوات الله عليه وعلى آله، غيوراً على أمته أن تستباح، أن يستباح دمها، أن يستباح عرضها، أن يستباح شرفها.

غيورًا على أمته أن تُذل وتُسحق وتُقهر وتُستعبد من دون الله، ورحيماً

بالمستضعفين، يعز عليه أوجاع هذه الأمة في كل قطر من أقطارها، في كل بلد من بلدانها، يعز عليه أن يرى دماء هذه الأمة تسفك وتسيل في الشوارع والطرقات، يعز عليه أن يسمع آهات وتأوهات وصراخ نساء هذه الأمة وهنّ يستنجدن في فلسطين وفي العراق وفي أفغانستان وفي بلدان متعددة ولا من مجيب.

يعز عليه أن يرى دموع الأطفال على وجوههم بكل براءتها، يعز عليه أن يرى دموع الثكالى والنساء المقهورات جارية بكل حرقة وبكل ألم وبكل ضيم وبكل قهر فيتجاهل هذا الواقع، يعز عليه أن يرى الأمريكيين وهم يسحقون بأرجلهم وأحذيتهم رؤوس وجباه ووجوه أبناء هذه الأمة، يعز عليه كل ذلك؛ لأنه حمل روحية الإسلام، روحية الإيمان.

يعز عليه كل ذلك؛ لأنه حمل روحية القرآن، روحية الإسلام، روحية الأنبياء ورحمة الأنبياء والشعور بالمسئولية، نهض قائمًا بالمسئولية بعد أن أعطاه الله المؤهلات العالية للقيام بدور عظيم وعظيم وبمسئولية كبيرة وكبيرة.

تحرك في كل هذا الواقع، في كل هذه المأساة، في ذلك الظرف بكل ما فيه، تحرك صادعًا بالحق، عزيزاً بعزة الله، بعزة الرسول، بعزة الإيمان، بعزة القرآن، أبياً يأبى الضيم ويأبى الظلم ويأبى الذل ويأبى الهوان، تحرك بكل عزة في مواجهة أولئك المستكبرين بكلهم، بكل جبروتهم، بكل طغيانهم، بأئمة الكفر أمريكا وإسرائيل، متحديًا لهم.

وحنوناً حانياً على أمته، يريد أن ينهض بها، يستنهضها وينهض بها لدفع الخطر الحقيقي عليها، الخطر الذي لا يماثله خطر، والشر الذي لا يماثله شر، والإجرام الذي لا يساويه إجرام، والعدوان الذي لم يصل إلى مثله عدوان.

فكان بحقٍ رجل المرحلة، يعي هذه المرحلة التي يمر بها شعبه، وتمر بها أمته

عموماً، يعيها جيداً، يعي خطورتها، يعي ما تتطلبه هذه المرحلة، يعي تداعياتها، ويعي ما يجب أن تكون عليه الأمة في مواجهة هذا الواقع، وفي الخروج منه، وفي مواجهة تلك التداعيات، وكان بحق رجل المسئولية، يعي مسئوليته ومسئولية الأمة من حوله، تجاه هذا الواقع المرير، تجاه هذه المرحلة الخطرة، ويحمل روح المسؤولية بما تحتاج إليه من عزم ومن إرادة، ومن صدق، ومن جد، ومن اهتمام، ومن وعي، ومن إيمان، ومن عزيمة.

وكان واسع الأفق، كان عالمي الرؤية، والنظرة والاهتمام، فلم ينحصر أبداً اهتمامه أو نظرته أو توجهه في محيطه، لا محيطه المذهبي، ولا محيطه الجغرافي، ولا محيطه العشائري، ولا بأي مقياس من المقاييس المحدودة والصغيرة؛ لأنه استنار بالقرآن الكريم، فكان فعلاً عالمياً بعالمية القرآن، في رؤيته الواسعة، اهتمامه الواسع، في نظرته الواسعة، وفي أفقه الواسع.

كان أمةً من الأخلاق والقيم، رجلاً متكاملاً في إيمانه، في وعيه، في أخلاقه، في سؤدده، في قيمه، وأدرك الواقع، أدرك الواقع على المستوى العالمي وعلى مستوى واقع الأمة، وأدرك بعمق حجم المأساة التي تعيشها أمته ويعيشها شعبه، وخطورة الوضع، وخطورة المرحلة، شَّخص المشكلة وقدم الحل في زمن لم نسمع فيه من يُقدِّم الحل، ومرحلة غلب عليها حالة اليأس، تغلبت عليها حالة اليأس وغلب فيها الإحباط والحيرة.

فاستنهض الأمة، وصدع فيها بصوت الحق، ناداها بالقرآن، دعاها بدعوة الله العزيز، وعمل على إنقاذها، على تبصيرها، على إيقاظها من غفلتها، عمل على معالجة دائها بالدواء الناجح النافع، تحرك بعزة الإيمان، وبرحمة رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نادى في الأمة بنداء الحرية بنداء العزة، واستنهضها يتلو

عليها آيات ربها ويدعوها إلى كتاب الله، يدعوها إلى العودة إلى الله من خلال العودة إلى كتاب الله، العودة العملية، العودة الواعية، العودة القائمة على الاهتداء والإتباع والتمسك، العودة إلى منبع عزها وخلاصها هدى الله، الهدى الذي أنقذ الأمة هذه بدءاً يوم تحرك به محمد (صلواتُ الله عليهِ وعلى آله).

هذا الهدى الذي تحرك به السيد حسين رضوان الله عليه لاستنقاذ الأمة في هذا العصر كما استنقذها رسول الله (صلواتُ الله عليهِ وعلى آله) في ذلك العصر.

تحرك في أوساط هذه الأمة يدعوها بدعوة الله يتلو عليها آيات الله، يرشدها ويبصرها ويستنهضها ويذكرها ويربيها ويسمو بها ويعمل على تزكيتها بهذا الكتاب وتبصيرها بهذا النور، يضيء لها الطريق، ويوضح لها المخاطر، ويقدم لها الحلول، ويعمل على أن يخلصها من واقعها المرير ويستنقذها منه، تحرك وصدع بالحق وصرخ في وجوه الطواغيت وعلى رأسهم أئمة الكفر أمريكا وإسرائيل.

كلنا يعرف تلك المرحلة التي بدأ بالتحرك فيها، مرحلة قائمة على الصمت والإستسلام والعجز والخضوع والحيرة والارتباك، تحرك وصدع بالحق ونادى في أوساط الأمة وبذل جهده ليلاً ونهارا، ليلاً ونهاراً وهو يبصر الناس بهدى الله، وأطلق مشروعه العظيم، المشروع الموفق والمسدد، المشروع الذي من تأمله عرف فيه من الأسرار ومن الأهمية ومن الفاعلية ومن التأثير ما يشهد له على أنه مشروع مسدد من الله، وأنه كان بتوفيق الله، وأنه كان بهداية الله، وبتسديد من الله؛ لأن الله رحيم بعباده، وتجسدت مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى في هذا الرجل العظيم وفي المشروع العظيم الذي أتى به في أخطر مرحلة على الأمة.

وبذل السيد حسين (رضوان الله عليه) جهداً كبيراً لتصحيح المفاهيم الثقافية

المغلوطة، التي ساهمت بشكل كبير في ضرب الأمة، وجعلها أسيرة قناعاتها الثقافية مفاهيمها المغلوطة بأي شكل كان، سواءً رؤية تقدم رؤية مغلوطة أو ثقافة مغلوطة أو قناعة مغلوطة أُكْتُسِبَت من كتاب أو من مُعلِّم أو من مدرسة دينية أو نظامية أو أي شيء، الأمة أسيرة ورهينة لثقافاتها وقناعاتها.

والإنسان لا يتحرك أتوماتيكياً بدون شعور، الإنسان يتحرك بشعوره، وشعوره تصنعه قناعة، وقناعته تصنعها ثقافة، وبالتالي تلعب الرؤى والمفاهيم المغلوطة في واقع الأمة دوراً أساسياً في الواقع السيئ والمظلم للأمة، وكلما تصحح مفهوم كلما تصحح وراءه سلوك، وتصحح وراءه عمل، وتصحح وراءه موقف، وبالتالي يصنع نتيجةً صحيحةً وسليمة[1].

وكما تحرك السيد حسين رضوان الله عليه فإن السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي حفظه الله بما منحه الله من صفات الكمال التي تؤهله للقيام بهذه المهمة واصل هذا التحرك بهذه المسيرة الإلهية المقدسة بالمنهجية نفسها وبالدور نفسه قولاً وفعلاً وموقفاً حتى وفقه الله وتحقق على يديه ما لم يتحقق لأحد ممن سبقه من أعلام الهدى ومصادر الهداية, وها هو اليوم بفضل الله وقوته يواجه قوى الطاغوت في العالم بكله, ويخوض في مواجهتهم أكبر معركة على مستوى الدنيا بكلها, وسيتحقق على يديه بعون الله وقوته سقوط الجاهلية الأخرى وإنقاذ المستضعفين من عباد الله, حتى تُملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلأت جوراً وظلماً بقوة الله وعزته وغلبته وقهره ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠].

●●●

(١) من خطاب السيد عبد الملك في ذكرى الشهيد القائد لعام ١٤٣٤هـ بتصرف.

دورنا وواجبنا تجاه أهل البيت (عليهم السلام) هو الاتباع

من نعم الله سبحانه وتعالى علينا أنه يتولى هو اختيار المنهج والقيادة للبشرية على امتداد التاريخ وأن دورنا يتمثل في الاتباع لهذه القيادة والسير على هذا المنهج.

وهنا يقول السيد حسين (رضوان الله عليه):

الاتباع هو القضية التي رُبي عليها النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) فيما يتعلق بالله، ورُبي عليها الناس فيما يتعلق بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وفيما يتعلق بالقرآن. كيف صور لنا تربية الصحابة؟ كانت على ماذا؟ ألم تكن كلها قائمة على أن يطيعوه ويتبعوه؟. إذاً فهذه هي سنة.. فعندما يأمر الناس بالتمسك بأهل البيت **«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي»** ماذا يعني التمسك؟ اتباع، أن نتبعه... اتباع للرسول وللقرآن، ثم اتباع للقرآن ولأهل البيت.[1]

الاتباع لأهل البيت يعني التأهيل الحقيقي

هناك أمر بالاتباع، الاتباع للرسول وللقرآن، ثم اتباع للقرآن ولأهل البيت.

طيب الاتباع هل يعني ـ لأن هذا هو من الجهالة، من الجهالة بكتاب الله، ومن الجهالة برسول الله، ومن الجهالة بدور الهداة ـ يتصور هذا بعض الناس، أن معنى أن أتبع أن أبقى ثور! لا أفهم شي!. الله وجهنا أن نتبع الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ماذا قال عن رسوله؟ وهنا بيجي الفارق الكبير. قال عندما

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان (مبدأ الكمال).

أمرهم بأن يتبعوه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[آل عمران: ١٦٤] الرسول هذا ماذا يعمل؟ ما هو عمله؟ يتلو عليهم الكتاب، يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، يزكيهم، يطهرهم يعلمهم يفهمهم يجعلهم شخصيات كبيرة، معارفهم واسعة، أفهامهم واسعة، رؤيتهم واسعة، يجعلهم على أرقى مستوى.

أليس معناه هذا؟ ما معناه بأنك عندما تسلِّم نفسك لأعلام الهدى أنهم يخلوك ثور، لا.. بل العكس أنك حينئذ عندما يوجهك الله أن اتبع هذا؛ لأن هذا هو سيصنعك أكثر مما تصنع أنت نفسك، هذا سيعلمك وسيزكيك وسيجعلك إنساناً كاملاً، مداركك واسعة، معارفك واسعة، زكيّ النفس، ﴿يعلمهم﴾ ما هو قال هكذا: ويعلمهم ويزكيهم؟ وأن هذه هي مهمته، هو يشتغل هو، ما قال: ليتعلموا وليتزكوا، هو سيتولى المسألة هذه هو، رسول الله، فمن كانوا في أيامه يسلمون أنفسهم له، الاتباع المطلق طلعوا عظماء. أليس هذا الذي حصل؟ طلعوا رجالاً عظماء، علوم، فهم، وعي، كمال، طلعوا على أرقى مستوى مثل الإمام علي وأبو ذر وعمار ونحوه من الشخصيات، ما هم طلعوا على أرقى مستوى؟.

ما الذي جعلهم على أرقى مستوى؟ هو أنهم ذابوا في الاتباع، وعندما تذوب في الاتباع للهداة معنى هذا بالتأكيد هو أنهم سيصنعونك على أرقى مما تصنع أنت نفسك عليه، وأنك لا تستطيع، لا تستطيع أن تصنع نفسك لتصل إلى ما يمكن أن يوصلوك هم إليه.

عندما كان عمر يرى بأنه كبير، هو ما ذاب في الاتباع مثل ما كان علي... طلع جاهل، وجهالات، وضرب الأمة بجهالته، عمر نفسه فعلاً؛ لأنك تتصور أنه كان هناك فارق كبير بين علي وعمر في نظرتهم من النبي، هذا كان يذوب

في النبي ذوبان اتباع، يعني يسلّم قلبه ومشاعره للنبي، يسلم نفسيته. ما هو قال يزكيهم؟ تفضل نفسي زكيها، ما معناه هكذا؟ تفضل نفسي زكيها، علمها، خليها على أحسن ما يكون.

والثاني عنده أنه ندٌّ للنبي، وقريب منه، ويصدر توجيهات للنبي ونفسيته كبيرة. هي نفس النفسية هذه، من ينشأ على هذا النحو ينشأ جاهلاً، من يحاول أن يقول بأنه يستطيع أن يصنع نفسه أكثر مما يصنعه الهداة الذين أمره الله باتباعهم فهو سينشأ جاهلاً ولو عنده ركام من الكتب، لو عنده حملة (ناقلة) كتب أنه سينشأ جاهلاً؛ لأن الله هو أعلم بك من نفسك، وعن طريق هداته ستكون تزكيته لنفسك على أرقى مما يمكن أن تصل إليه. فالذين كانوا أتباع لرسول الله هل كانوا جهلة أو طلّعهم أثوار؟.

الذين ذابوا في اتباع الإمام علي هم طلعوا بقر والاّ طلعوا عباقرة؟ تجد هكذا من ذابوا في اتباع أهل البيت كان يطلعوا أشخاص عباقرة، والذي ينكع هناك يطلع ثور حقيقة، ولو عنده ركام من الكتب، تجده إشكاليات كله من رأسه إلى أخمص قدميه، إشكاليات كله، ولا يمتلك حلاً للأمة، ولا يمتلك رؤية، ولا يمتلك شيئاً. هذه هي الغلطة: أن يفهموا بأن معنى اتباع أهل البيت هو أننا سنتحول إلى بقر، ما نفهم شيء ما بلا يريدوا هم يكونوا فاهمين ومتعلمين!.[1]

في مسيرة القرآن ليس بمعزل عن قيومية اللّه على خلقه

يقول السيد حسين (رضوان الله عليه):

هذا كتاب الله، والله هو حي قيوم، فالقرآن نفسه في مسيرة القرآن هو

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان (مبدأ الكمال).

ليس بمعزل عن قيومية الله على خلقه، على طول تاريخ الأمة هذه، إذاً قاموا يشتغلوا، لكن هل شكلوا وقاية أو رحمة؟ أبداً، الأمة الآن وضعيتها سيئة؛ لهذا لاحظ أنه يأتي توجيهات، ويأتي بعدها في: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً﴾[الأنعام: من الآية ١٥٩] متى لم يحصل اتباع، وبرؤية حقيقية، وصحيحة بهذا المعنى، معنى الاتباع، وهي قضايا بسيطة، نفس أسس الاتباع، أن تفهم أنه قرآن يحتاج إلى وارث، علم بالنسبة للناس، يحتاجون هم إلى وارث له، متى ما توفر القرآن مع وارث له يمكن يمشي كل شيء، ويحصل تفصيلاً لكل شيء، ويتناول كل شيء.

أليس القرآن هو من عند الله؟ أليس الله هو الذي يخلق؟ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[القصص: من الآية ٦٨]، ما القضية أنه قد توقف المصنع حقه، لم يعد هناك مصنع إنما فقط ذلك الزمن وانتهى، هو يخلق رسل، وبعد الرسل يخلق ورثة للرسل، وورثة لكتبه[١].

أعلام الهدى دورهم هو دور النبي صلوات الله عليه وعلى آله

أنت عندما تتبع أهل البيت هم دورهم هو دور النبي صلوات الله عليه وعلى آله أن يزكوك، أن يعلموك، أن يجعلوك على أرقى مستوى. هذا معنى اتباع أهل البيت، هذا هو من الخطأ في فهم المسألة، أن يتصور أن الاتباع يكون معناه أن أبقى جاهلاً.. ما بلا هم، يحتكروا العلم والمعرفة، ولن يعطونا شيئاً! هل الإمام علي كان يحتكر المعرفة أم كان يعلم أصحابه؟ بل كان يتأسف أنه لم يجد من يفهم (إن هاهنا لعلماً جماً لو وجدت له حملة) يضيق صدره، يبحث عن حملة.

(١) الدرس السادس والعشرون من درس رمضان.

وهكـذا تجد أصحاب الأئمـة من بعد، وكل من ذابوا في هـذا المبدأ هم من طلعـوا عظـماء، طلعـت عندهم معرفة واسـعة. ومن قفـزوا هناك وعنـده إنه.. اتجه إلى نفسـه هو، تصور بأنه يسـتطيع أن يصنع نفسـه، لم يأخذ عبرة من قول الله تعالـى: يعلمهـم يزكيهـم، أليسـت هذه هي مهمة الرسـول (صلـوات الله عليه وعلـى آلـه)؟ لم يقل: هذا هو الكتـاب تفضلوا، بل هو يتلوه عليهـم، يتلو عليهم الكتاب، يعلمهم الكتاب، يعلمهم الحكمة، يزكيهم. أليسـت هذه يسندها إلى النبي نفسـه؟ مـا المطلوب منك؟ أن تتبـع هذا النبي، ما المطلـوب منك؟ هو أن تسلِّم نفسك له من أجل يعلمها الكتاب، يعلمها الحكمة، يزكيها، تطلع مثل ما طلع علي ابن أبي طالب، مثل ما طلع العظماء ممن ذابوا في الاتباع.

وهكذا هي نفس المسـألة باتبـاع الهداة. وأن دور الذي يهـدي الناس هو أن يهديهم يبين لهم حتى قبل أن يسألوا، قبل أن يستفسروا، يوصل إليهم المعارف على أوسـع ما يمكن ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّـاسِ﴾ وكفاك علماً وحكمة وتزكية لنفسـك تبيين كتاب الله لـك ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾ أليس تبيين الكتاب يعني حكمـة وعلم وتزكية لك.. أليس يعني معارف؟[1].

أهل البيت وحدهم هم من عملوا على تربية الأمة تربية ترقى بها إلى أعلى درجات الإيمان

عندمـا تعـود إلى كتابـه الكريم يهديـك هو إلـى المقامات التي مـن خلالها تحصـل علـى كمال الإيمان، يهديـك إلى من يمكن أن تحصل بواسـطتهم على كـمال الإيمان، وفيـما يتعلق بهذا الموضوع الـذي يحتاج إلى أن يكـون هناك في

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان (مبدأ الكمال).

الأمة من يعمل على تربية الأمة ليصل بها إلى كمال الإيمان، أو ليترقى بها في درجات كمال الإيمان.

إلى أن يقول:

بينما نجد أهل البيت (عليهم السلام) كالإمام علي (عليه السلام) ومن بعده من أئمة أهل البيت هم من عملوا على تربية الأمة تلك التربية التي ترقى بها في درجات كمال الإيمان.

فالذي اتضح جلياً أن الكثير من حكام المسلمين بما فيهم حكام هذا العصر لا يمكن - بواسطتهم ومن خلالهم - أن يقوموا بتربية الأمة تربية إيمانية تترقى بهم في درجات كمال الإيمان، ونحن نجد أنفسنا، وكل واحد منكم شاهد على ذلك، بل ربما كل مواطن عربي في أي منطقة في البلاد العربية شاهد على ذلك: أن الناس متى ما انطلقوا ليربوا أنفسهم تربية إيمانية من خلال القرآن الكريم بما في ذلك الحديث عن الجهاد في سبيل الله، وعن مباينة أعداء الله، وعن إعداد أنفسهم للوقوف في وجوه أعداء الله فإنهم كلهم يحسون بخوف من سلاطينهم ومن زعمائهم.

أليس الجهاد في سبيل الله هو سنام الإسلام كما قال الإمام علي (عليه السلام)؟ أليس الجهاد في سبيل الله شرطاً أساسياً من شروط كمال الإيمان؟ هذا هو ما أضاعه سلاطين المسلمين في هذا العصر، وإلغاؤه هو ما كان ضمن مواثيق (منظمة المؤتمر الإسلامي) ألاّ يكون هناك حديث عن الجهاد، وهم من استبدلوا بكلمة (جهاد) كلمة: نضال، ومناضل، ومقاومة، وانتفاضة، وعناوين أخرى من هذه المفردات التي تساعد على إلغاء كلمة (الجهاد) التي هي كلمة قرآنية، كلمة إسلامية.

أيُّ إنسان يمكنه أن يقول: إن بإمكانه أن يكون مؤمناً دون أن يكون إيمانه على أساس مواصفات المؤمنين في القرآن الكريم؟ لا يستطيع أحدٌ أن يدَّعي ذلك.

إذاً فهل هؤلاء يسعون إلى أن يُرَبُّوا الأمة تربية إيمانية؟ لا. التربية الإيمانية لا تكون إلاّ في ظل أهل بيت رسول الله، لا تكون إلاّ على يد أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هذا ما شهد به التاريخ،)[1]

من الثوابت عند أهل البيت أنه يجب أن لا يكون للسلطة عندك قيمة

إن من يتأمل تاريخ أهل البيت سيجد أنه ليس فقط مجرد حالة بل مبدأ، بل مبدأ لديهم ثابت أنه يجب ألاَّ يكون للسلطة عندك قيمة تساوي شراك نعلك، لماذا؟ هل لأنك تبدو زاهداً، أن هذا هو مظهرٌ من مظاهر الزهد، وأنه لا يهمك أمر الأمة أن يحكمها من يحكمها؟ لا.

إن عليًّا (عليه السلام) يوم قال هذه العبارة لا يعني أنه لا يهمه أمر الأمة (فليحكمها من يحكمها، وأنا لا أرغب أن أحكمكم، أنا زاهد متقشف، أنا لا أرغب أن أحكمكم حتى وإن استطعت أن أحيي الحق وأميت الباطل) ليس هذا منطق علي (عليه السلام) إن عليًّا يقول لا يجوز أن يحكم المسلمين بحال من يعشق السلطة، من يعشق المنصب.

والذي فهم هذا الإمام الخميني - رحمة الله عليه - يوم قال لابنه وهو يوصيه: (لا يجوز أن تبحث عن منصب، لا يجوز أن تجري وراء الحصول على المنصب حتى وإن كان منصبًا دينيًّا). أنت تريد أن تصل إلى أن تصبح

(١) مكارم الأخلاق الدرس الثاني.

(آية الله العظمى) أو أن تصل إلى لقب (حُجة الإسلام والمسلمين) أو عناوين من هذه، إن عشق المناصب هو ما يمكن أن يضحي بالدِّين، ويضحي بالأمة، ويضحي بكل شيء.

إن عليًّا (عليه السلام) ترك شاهدًا حيًّا على أنه فعلاً لم يكن يعشق السلطة لهذا الاعتبار، لهذا الاعتبار الذي ذكرناه، يوم أن رفض أن يبقي معاوية، واسأل أي زعيم من هؤلاء الزعماء، واسأل أي خليفة من أولئك الخلفاء. أليس أي واحد منهم سيرى أن من مصلحته، ولا يرى في ذلك ضيرًا، بل يراه من الحكمة، ويراه من السياسة، أن يبقي مثل معاوية، وأسوأ من معاوية، أن يبقيه والياً ولو إلى الأبد، من أجل أن يبقى له منصبه، ويحتفظ له كرسي سلطته.

الإمام علي (عليه السلام) ترك مثالاً حيًّا لنا، ونحن - أيها الإخوة - بحاجة إلى أن نعرف تاريخ أئمة أهل البيت لنستطيع أن نفضح كل من يقول: إنهم كانوا يلهثون وراء السلطة. الكل يلهثون وراء أن يقوم حكم الله في أرضه على عباده، أن تقوم شريعته فتكون هي التي تحكم عباده، أن يسود هديه كل المعمورة التي يعيش عليها عباده، هذا مبدأ إسلامي: أن الدولة الإسلامية، أن الحكومة الإسلامية هي جزء لا يتجزأ من هذا الدِّين. ولكنهم يرون أنه لا يجوز بحال أن يكون لدى حتى علي أو الحسن أو الحسين أو زيد أو الهادي أو أي شخص من تلك النوعية أن يكون لديه عشق للسلطة، عشق للمنصب.

ألسنا نرى أننا أصبحنا نُواجَه، تُواجَه الأمة بكلها بأن يضحى بها على يد زعمائها؟ أليس هذا ما هو حاصل؟ وكل ما نسمعه من أجل الحفاظ على المصلحة وعناوين أخرى، إن السر الحقيقي هو أن أولئك يعشقون السلطة، يجب أن نفهم هذا حتى نميز بين أساليب من يعشق السلطة، وكيف ستكون

العواقب الوخيمة حتى ولو انطلق باسم الإسلام، حتى ولو حكم تحت عنوان إسلامي، حتى ولو حمل لقب (خليفة، أو أمير المؤمنين) أو غير ذلك. ألم ينهزم (أمير المؤمنين محمد بن عمر) في أفغانستان وهو باسم خليفة المسلمين؟ هل انهزم علي أو انهزم الحسن أو انهزم الحسين أو انهزم زيد؟ أو انهزم الهادي أو انهزم قبلهم محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟ لا. لا يجوز لأمير المؤمنين أن ينهزم، إذا انهزم فإنه من يعشق السلطة، من يعشق الحياة، من يعشق المنصب، هو يريد أن يتمتع أياماً متتالية بلقب (أمير المؤمنين) ونحوه من الألقاب.

عودوا - أيها الإخوة - إلى تاريخ أهل البيت، ادرسوه دراسة حقيقية واقعية حتى تجدوا أنه ليس هناك مكان لتلك المقولة: بأنهم كانوا إنما يثورون من أجل أن يصلوا إلى السلطة، وأنهم كانوا عشاق سلطة. هم عشاق حق، هم من قال لهم جدهم (عليه السلام) وهو يوصي الحسن (عليه السلام): (وخُضِ الغمرات للحق حيث كان). خُضْ غمرات الموت من أجل الحق حيث كان، هذه هي طريقتهم.[1]

ما هو الدور المنوط بأهل البيت في هذه المرحلة؟

يقول السيد حسين بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه) عن مسؤولية أهل البيت بأنها:

مسئولية كبيرة، وشرف عظيم جاء في آية مباركة هي نزلت في أهل البيت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٧-٧٨] يوم قال نبي الله إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا

(١) دروس من وحي عاشوراء للسيد حسين رضوان الله عليه.

﴿أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾[البقرة: من الآية ١٢٨] ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[الحج: من الآية ٧٨] يقول للناس جميعاً: جاهدوا في سبيل الله لكنه يقول لأهل البيت: جاهدوا في الله حق جهاده[١].

في أوضاع كهذه يجب أن يكون أهل البيت هم أول من يدرك خطورتها

في أوضاع كهذه يجب أن يكون أهل البيت هم أول من يدرك خطورتها، هم أول من يتحرك في مواجهتها، أن يكونوا هم أول المجاهدين، أن يكونوا هم أول الشهداء، أن يكونوا هم أول من يبذلون دماءهم وأموالهم في سبيل الله، والمستضعفين.

المواجهة الآن مكشوفة مع اليهود، مواجهة علنية، وصريحة، ومكشوفة مع اليهود، واليهود هم أعداء للمؤمنين جميعاً، وأعداء لمحمد وآل محمد بالخصوص، أعداء لمحمد وآل محمد بالخصوص، من العار الكبير على أهل البيت، على أبناء محمد أن توكل إليهم المسئولية العظيمة، مسئولية أعظم مما أوكل إلى بني إسرائيل.

إن القرآن الكريم هو خاتم الكتب الإلهية، وجدهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو خاتم الرسل، والإسلام هو خاتم الرسالات، وهو دين لهذه العصور كلها إلى آخر أيام الدنيا، هو دين لهذا العصر الذي هو أوسع عصور الدنيا، اتسعت

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان: (مسؤولية أهل البيت).

فيه مجالات الحياة، وشئونها بشكل ربما لم يحدث مثله أبداً في تاريخ الدنيا كلها.

من العار عليهم أن يشاهدوا الإسلام تطمس أعلامه، وتنتهك حرماته، وتداس حرمة مقدساته، وتضيع أحكامه، وتحرف مبادؤه، من العار عليهم أن يكون أولئك اليهود الذين ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، وسحب البساط من تحت أقدامهم ليضعه تحت أقدام محمد وآل محمد، نزع الملك، نزع الملك منهم ليعطيه لمحمد وآل محمد، نزع النبوة، والحكمة منهم ليعطيها لمحمد ولآل محمد، من العار على آل محمد أن يعيشوا أغبياء أمام مكر اليهود، وخبثهم، وتخطيطهم، وذكائهم، سنكون حينئذ من يسيء إلى مقام الله سبحانه وتعالى في حكمته لدرجة أنه يمكن أن يقال: لقد ترك أمر هذا الدين إلى آل محمد، وهاهم ظهروا أغبياء، لم يستطيعوا أن يقفوا في مواجهة خبث اليهود، وحنكتهم، ودهائهم، ومكرهم.

هل آل محمد أغبياء؟ ليسوا أغبياء، إنما يتغابون، يهملون، ويقصرون، ويفرطون فيبتعد الله عنهم؛ فلا توفيق، ولا ألطاف، ولا رعاية، ولا هداية[1].

يجب أن يكون أهل البيت هم أكثر جداً واهتماماً من اليهود

اليهود معروفون بذكائهم، وخبثهم، ومكرهم، وخططهم، واهتمامهم، وجدهم، ونشاطهم.. لماذا لا يكون أهل البيت هم أكثر وأكثر جداً، واهتماماً من أجل هذا الدين، ومن أجل عباد الله، ومن أجل إبطال كيد وخبث أولئك الذين قد ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، إن هذا يمس بحكمة الله، إذ يمكن أن يقال: إن كان أهل البيت هكذا هم أغبياء فلماذا توكل إليهم مسئولية وراثة الكتاب، وحمل الدين، وهداية الأمة، وقيادتها، وهاهم يبدون أغبياء أمام ما

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان: مسؤولية أهل البيت.

يعمل اليهود؟ يبدون مهملين، مضيعين، مقصرين أمام جد واهتمام اليهود في إفساد عباد الله، في محاربة دين الله؟.

أليس هذا عاراً؟ أليس هذا عيباً؟ أليس هذا أيضاً جريمة كبيرة نقترفها نحن؟ فنلقى الله سبحانه وتعالى - ونعوذ بالله - نلقى الله ونحن فرطنا في دينه، فرطنا في كتابه، فرطنا في مقام رسوله فرطنا في أمته التي جعلها أمانة في أعناق أهل بيت نبيه، فرطنا في البشرية كلها.

هل تتوقع بأنك ستدخل مع جدك، مع محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) ومع علي، ومع فاطمة، مع الحسن والحسين وأنت من أضعت كل تلك الجهود التي بذلوها، وأنت من أضعت كل تلك الدماء التي سفكت، وأنت من أهدرت كل تلك الحكم التي كانت تنطلق من أفواههم، وعلى ألسنة أقلامهم، وأنت من أضعت ذلك الهدى الذي كان يتفجر على ألسنتهم.

إن الإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) يقول لابنه الحسن في وصيته الخالدة: (ولا تأخذك في الله لومة لائم، وخض الغمرات للحق حيث كان) وخض غمرات الموت للحق حيث كان يقول لأبنائه:(كونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا) هكذا يقول لأبنائه: (كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا) يقول في وصيته قبيل وفاته، وصية من أجمل الوصايا: (الله الله في نظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإني سمعت جدكما رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول: «**صلاح ذات البين أفضل من عامة الصيام والصلاة**» ويقول في تلك الوصية:(الله الله في كتاب ربكم لا يسبقنكم إلى العمل به غيركم).[1]

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان: مسؤولية أهل البيت.

إذا فرط أهل البيت فسيكون الغضب الإلهي عليهم أشد

إذا ما فرط أهل البيت فسيكون الغضب الإلهي عليهم أشد، وستكون الذلة عليهم أعظم وأسوء، وسيعذبهم اليهود بأيديهم .. سيرون الفساد، ويعيشون الذل، ويعيشون الإهانة والقهر والمسكنة تحت أقدام اليهود أسوأ وأفظع مما هو حاصل الآن.

والله إنه ليكفي الموجودين من آل محمد ومن التف حولهم من شيعتهم المؤمنين إذا ما توحدت كلمتهم ووقفوا بصدق؛ إنهم لقادرون على أن يحولوا بين أمريكا وبين دخولها اليمن، وإذا ما دخلت فإنهم سيستطيعون أن يخرجوها من اليمن كما أخرجها (حزب الله) من لبنان.

عندما يقول الله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[الحج: من الآية٧٨] منا من هو تاجر، ومنا من هو فلاح، من العيب عليك أن تحتاج إلى كلام كثير حتى تخرج مبلغاً من مالك في سبيل الله، وفي سبيل المستضعفين من عباده. إن المستضعفين من عباد الله، إن الأمة كلها هي أمانة في أعناق أهل البيت. الإمام علي هكذا يقول لأبنائه: (الله الله في أمة جدكم رسول الله (صلواتُ الله عليه وعلى آله).

أن تكون أنت من تبخل وأنت من يريد الله منك أن تجاهد فيه حق جهاده، أرقى درجات الجهاد، أن تنتظر أنت من الآخرين أن يكونوا هم أول من يتحرك، ولا تتحرك إلا في الأخير، وجدك رسول الله (صلواتُ الله عليه وعلى آله) هو الذي قال له الله: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾[النساء: من الآية٨٤] قاتل أنت حتى لو لم يقاتل معك أحد. إن عليك أن تخرج إلى ميدان المواجهة بمفردك ﴿لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء: من الآية٨٤].(١)

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان: مسؤولية أهل البيت.

اليهود يعرفون أن أخطر الأمة عليهم هم آل محمد، وشيعتهم

اليهود يعرفون أن أخطر الأمة عليهم هم آل محمد، وشيعتهم، وأنه لن ينتصر عليهم إلا آل محمد وشيعتهم، والواقع يشهد بذلك: أبو بكر انهزم في خيبر، هزمه اليهود، وهزموا عمر، وهزموا شيعتهم في هذا العصر، وهم يمتلكون أفتك الأسلحة، هزموهم وهم قلة من اليهود، وهزموا زعماءهم نفسياً وعسكرياً، هزموهم عسكرياً واقتصادياً وسياسياً وثقافياً.

إن القرآن الكريم يوحي أنه في ميدان المواجهة مع اليهود، مع أهل الكتاب لا تنتصر الأمة إلا بتولي علي ابن أبي طالب، ولن تنتصر الأمة إلا تحت قيادة أبناء محمد وعلي ابن أبي طالب (صلوات الله عليهم)...

إن علينا إذاً أن نكون في مقدمة من يجندون أنفسهم في مواجهة اليهود والنصارى وإذا كان أهل البيت أفراداً منهم يواجهون الظلم، والطغيان، وكانوا يقيمون حكم الله سبحانه وتعالى، ويحيون كتابه في أوساط عباده، ويطبقون شريعته على أرضه، وهم أفراد قليلون فإن آل محمد الآن أصبحوا آلافاً مؤلفة، إذا لم تجتمع كلمتهم فلا لوم على الآخرين إن لم يتوحدوا، إذا لم تتوحد كلمتهم هم فلا حق لهم أن يعاتبوا الآخرين على أنهم لماذا لم يتوحدوا.

إن الله أمر المؤمنين بالتوحد، وكل أمر إلهي، كل أمرٍ إلهي هو يتوجه تطبيقه إلى أهل البيت بالأولوية، والأولية. إذ ليس من الصحيح: أن يكون هداة الناس، وقادة الناس مقصرون، مفرطون، معرضون، متوانون.

وحينما ينهض أهل البيت بمسئوليتهم حينئذ ستلتف حولهم الأفئدة التي دعا نبي الله إبراهيم الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[ابراهيم: من الآية ٣٧] وفي هؤلاء الكفاية في ميدان المواجهة في سبيل الله.

أن يقف آل محمد وشيعتهم في ميدان المواجهة سيحضون بتأييد الله بنصره، سيكونون هم حزب الله الذي وعده الله سبحانه وتعالى بالغلبة، ووعده بالفلاح.

لا تتوقع من الآخرين ممن هم مبغضون لأهل البيت، أو ممن يتثقفون بثقافة غير ثقافة أهل البيت أن ينتصروا في ميدان المواجهة مع اليهود، ألم نر نحن بعد أن بلغ الوهابيون ذروتهم في أفغانستان، وفي اليمن، وفي الجزائر، وفي مناطق أخرى، وأصبحوا يمتلكون الإمكانيات الكبيرة، ويمتلكون الجامعات، والمعاهد، والمساجد، والمدارس، والمطابع، ويمتلكون آلافاً مؤلفة من الشباب، ألم يتلاش هؤلاء أمام هبة ريح من أمريكا؟ ألم يعودوا صفراً؟ ألم يصبح موقفهم موقفاً يشوه الإسلام؟.

ألم يكن هؤلاء هم قمة المتمسكين بمبادئ السنية، وها نحن نراهم يتحولون إلى لا شيء وأصبحوا يهربون من ظلهم بعد أن فتحت أمريكا أعينها عليهم، لا تتوقع من أمثال هؤلاء أن ينصروا الإسلام، ولا تتوقع من أمثال هؤلاء أن ينقذوا الأمة، وينقذوا المستضعفين من عباد الله[1].

نصر الإسلام، وإنقاذ المستضعفين من عباد الله لا يكون إلا على يد أعلام دين الله

إن نصر الإسلام، وإنقاذ المستضعفين من عباد الله لا يكون إلا على يد أعلام دين الله، وهذه سنة إلهية أن إنقاذ عباده لا يكون إلا على أيدي الأعلام الذين اصطفاهم لنبوته أو وراثة كتابه. إنها سنن إلهية ثابتة، وإن الله ضرب في القرآن الكريم مثلاً واضحاً جلياً فيما حصل لبني إسرائيل على يد موسى (صلوات الله

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان: مسؤولية أهل البيت.

عليه) عندما أوحى الله إليه أن يسري ببني إسرائيل، وأن يتجهوا باتجاه البحر، أن يخرج هو وقومه من مصر، اتجه هو وبنوا إسرائيل إلى قرب البحر، وفرعون وهامان وجنودهم والآلاف المؤلفة من ورائهم ماذا حصل؟ عندما بدا طلائع جيش فرعون ورءاهم بنو إسرائيل ماذا قالوا؟ ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[الشعراء: من الآية٦١] يا موسى إنا لمدركون، هاهم كادوا أن يدركونا ماذا نصنع؟

﴿قَالَ كَلَّا - كلا - إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[الشعراء:٦٢].

لأن النصر والفرج لا يكون إلا من قبل الله سبحانه وتعالى، ولا يكون إلا على يد أعلام من عباده هم عظيموا الثقة به، قوية معرفتهم به سبحانه وتعالى.

لاحظ كيف قال موسى (صلوات الله عليه): ﴿كلا﴾ لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[الشعراء: من الآية٦٢] وهو يرى نفسه متجهاً إلى البحر، ومعه الآلاف من بني إسرائيل، وها هم جيش فرعون، وفرعون على مرأى من بني إسرائيل.

هل انفلق البحر لبني إسرائيل تلقائياً؟ لا، كان لا بد أن يتم على يد موسى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾[الشعراء: من الآية٦٣] هل أن عصى موسى هي التي شقت البحر؟ هل أن ضربة عصا ستشق البحر؟ لا، إن الله هو الذي شق البحر، ولكن لابد أن يتم على يد موسى بضربة عصى؛ ليقول لهؤلاء ولكل الناس من بعد: إن الفرج لن يتم إلا على يد أعلام، هو الذي اصطفاهم، على يد أعلام دينه، لن يتم فرج أبداً إلا على يد أعلام دينه، لابد من أن يضرب موسى بعصاه البحر ليربط الله تعالى بني إسرائيل بموسى كما ربط العرب بمحمد وآل محمد.

عندما كانوا بحاجة إلى الماء في الصحراء، في مرحلة التيه كان لابد من عصى موسى أن يضرب موسى بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لماذا؟

ليعلم هؤلاء بأن الفرج من العدو، وأن تحقيق الخير أيضاً لهم لن يتم إلا على يد أعلام دينه، وإلا فلا عصا موسى سحرية هي التي تستطيع أن تشق البحر، ولا عصى موسى هي التي تستطيع أن تحول الحجر إلى حجر يتفجر منها الماء، إنه الله سبحانه وتعالى الذي فجر منها الماء.

هو الله سبحانه وتعالى الذي شق البحر، وشق لهم في البحر طريقاً يابساً لكن لابد أن يتم على يد أعلام دينه، على يد موسى.. كنا نقول: أبداً، وكان كثير منا نحن (الزيدية) شيعة أهل البيت الذين لا نفهم النصوص في أهل البيت، لا نفهم السنن الإلهية.

كان البعض ينشدون إلى أسامة، ويصفقون إذا ما ظهرت صورته على شاشة التلفزيون، ويترضُّون عليه، وهو وهابي! كنا نقول: مهما كان هذا الشخص لن يتم إنقاذ الأمة على يديه، هذه سنة إلهية، لو أن هناك شيء آخر يمكن أن يتحقق للأمة النجاة به خارج إطار (الثقلين) لما كان هناك معنى (لحديث الثقلين) فقط اثنين، ثقلين فقط.[1]

كلما وجدنا آية فيها شرف لأهل البيت؛ فإنها مسئولية كبيرة أيضاً

كلما وجدنا آية فيها شرف لأهل البيت؛ فإنها مسئولية كبيرة أيضاً على أهل البيت، كلما سمعنا حديثاً فيه ذكر بالفضل، والشرف لأهل البيت؛ فإنه أيضاً تحميل لمسئولية كبيرة على أهل البيت.

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان: مسؤولية أهل البيت.

إذاً فعندما نتحرك - أيها الإخوة - في هذه الأيام فإن علينا أن نكون، ولو لم يكن إلا قلة قليلة من أهل البيت وشيعتهم، ولو لم يكونوا جميعاً، لا تنتظر أن يتحرك العلماء جميعهم، لا تنتظر أن يتحرك الآخرون جميعاً، إذا ما أصبحت أنت تعرف أن ما تدعى إليه حق، وأن الموقف الذي تدعى لاتخاذه موقف حق فإن هذا هو المطلوب.

ثم اسأل الآخر تجد أنه لا يرى أن موقفه موقف حق، إنما يرى أنه قد يكون - إن شاء الله - معذور، له عذره! ليست المرحلة مرحلة البحث عن الأعذار، والتبريرات، إنها مرحلة البحث عن الإمكانيات، ووسائل الاستطاعة للمواجهة، لمواجهة اليهود والنصارى، لا يجوز لأحد في هذه المرحلة أن يفكر في البحث عن التبريرات والأعذار ليقعد، وليسكت، وليتخلف.[1]

لن تنجح الأمة، ولن تخرج الأمة من أزماتها، ولن تنقذ الأمة من الوضعية المهينة التي تعيشها إلا بالتمسك بأهل البيت

لن تنجح الأمة، ولن تخرج الأمة من أزماتها، ولن تنقذ الأمة من الوضعية المهينة التي تعيشها إلا بالعودة إليهم **«ما إن تمسكتم به لن تضلوا»** فإذا لم تتمسكوا ستضلون، سنن إلهية ثابتة. حينئذ ليتعبد المتعبدون، وليدع الداعون، وليتصدق المتصدقون، وليتركع المتركعون، لن يستجيب لهم إلا بالعودة إلى ما أرشدهم إليهم.

أوليس المسلمون يحجون كل عام؟ ويدعون الله هناك على اليهود والنصارى وعلى إسرائيل؟ أوليسوا في المساجد، في شهر رمضان، وفي غيره يدعون من

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان: مسؤولية أهل البيت.

مكبرات الصوت، على إسرائيل، يدعون على أمريكا، على اليهود والنصارى؛ لم يمسسهم سوء، وإذا ما مسهم شيء هناك فلن يكون ما يمسهم فيه إنقاذ لنا هنا.

إن الله قد هدى الناس، وقد عمل على إنقاذهم، وأرشدهم إلى ما فيه إنقاذهم من قبل أن توجد إسرائيل بمئات السنين عندما قال على لسان نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله): «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا**» والضلال هنا: الضلال عن الهداية، الضلال في الحياة، الضياع، الجهل، التخلف، الذلة، الاستكانة، التفرق، التمزق.

الضلال في اللغة العربية كلمة تعني: الضياع، إذا لم تتمسكوا بالقرآن وبأهل البيت فستضيعون، ستضلون في معتقداتكم، تتيهوا في حياتكم، يتغلب عليكم أعداؤكم، تتفرق كلمتكم، تفسد نفسياتكم، يدوسكم الجبابرة، والطغاة، والظالمون، هذا هو الضلال الذي ما كان يمكن أن تقع الأمة فيه لو تمسكت بالثقلين من بعد موت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).. وأول العترة، وأول الثقل الأصغر هو: علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه).[1]

أهل البيت لا يجوز أن يكونوا من النوع الذي يبحث عن مبررات القعود

إن أهل البيت لا يجوز أن يكونوا من النوع الذي يبحث عن مبررات القعود أبداً، لا يجوز أن يكونوا ممن يبحث عن التخلص من النهوض بمسئوليتهم، إنها جريمة كبيرة. وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد هدد نساء النبي (صلوات

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان: مسؤولية أهل البيت.

الله عليه وعلى آله) ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[الأحزاب: من الآية ٣٠] لأنهن من حاشية أهل البيت؛ فأهل البيت بالأولى إذا ما ضيعوا، وقصروا، وعصوا، ودنسوا ساحتهم فعلاً ستكون جريمتهم أكبر؛ لأنهم هداة، ولأنهم قدوة، يجب أن يكونوا هم بالشكل الذي يشد الأمة إليهم، يجب أن يكونوا هم في واقعهم بالشكل الذي يجعل أفئدة الناس تهوي إليهم، وهذا هو ما ركزت عليه ودارت حوله آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[الأحزاب: من الآية ٣٣].(١)

لا بد أن ننظر النظرة القرآنية الموضوعية لمن يصطفيهم الله

تجد في القرآن الكريم على الرغم مما ذكر داخل بني إسرائيل الصفحات السوداء القاتمة فعلاً في تاريخهم تجد كان هناك - سواء على مستوى أفراد أو أسر أحياناً قد يكونون قليلاً وأحياناً قد يكونون كثيراً - نماذج عالية. في قصة طالوت وجدنا نماذج عالية: تلك المجاميع التي بقيت معه، الذين يقول المفسرون: بأنهم ربما لا يتجاوزون ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر شخصاً قد كانوا نماذج عالية من داخل بني إسرائيل، آل عمران أسرة متميزة داخل بني إسرائيل، داخل آل إبراهيم.

هذه لها قيمتها بالنسبة للناحية العقائدية من ناحية الأمل بأنه تلك الدائرة التي اصطفيت كما قال هنا: (آل إبراهيم) مهما وجدت داخلها من أشياء مهما وجدت لن تعدم داخلها من يكونون هداة كما قال الإمام زيد بن علي (صلوات

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان: مسؤولية أهل البيت.

الله عليه): «إن في أهل بيتي المخطئ والمصيب إلا أنه لا تكون هداة الأمة إلا منهم»[1].

وهذا يعزز الثقة بالله سبحانه وتعالى ويزيح من ذهنية أي شخص مسألة التصنيفات عندما يقول: (لاحظ كيف فيهم وفيهم وفيهم كيف يمكن يأمرنا باتباعهم) أو أشياء من هذه. أليس البعض يقولون هكذا: (فيهم وفيهم وفيهم كيف نتبعهم وهم كذا وكذا)؟ هو قال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾[فاطر: من الآية ٣٢].

ألسنا نجد هنا في داخل بني إسرائيل شخصيات عالية، على مستوى هداة، وأتباع على درجة عالية من الالتزام والمعرفة والحكمة والرؤية؟ لأن ما عرض علينا في قصة طالوت وجنوده تجد فئة متميزة بقوة إيمانها تجد عندها أيضاً رؤية صحيحة، فهماً صحيحاً، هذه تعطي الإنسان أملاً بأنه مهما كانت، مهما وصلت الحالة ما يزال ذلك الاصطفاء الإلهي قائماً، وكما قال الإمام زيد: «إلا أنه لا تكون هداة الأمة إلا منهم».

---

(١) في رسائل الإمام زيد بن علي (عليه السلام):

وكتبت تسألني عن أهل بيتي وعن اختلافهم. فاعلم يرحمك الله تعالى أن أهل بيتي فيهم المصيب وفيهم المخطيء، غير أنه لا تكون هداة الأمة إلا منهم، فلا يصرفك عنهم الجاهلون، ولا يزهدك فيهم الذين لا يعلمون، وإذا رأيت الرجل منصرفاً عن هدينا، زاهداً في علمنا، راغباً عن مودتنا، فقد ضل ولا شك عن الحق، وهو من المبطلين الضالين، وإذا ضل الناس عن الحق، لم تكن الهداة إلا منا، فهذا قولي يرحمك الله تعالى في أهل بيتي.).

لهذا أُمِرَ الناس فيما يتعلق بأهل البيت بمودتهم فيما تعنيه المودة

لهذا أُمِرَ الناس فيما يتعلق بأهل البيت بمودتهم فيما تعنيه المودة، تعني ميل إلى جانبهم نوع من الميل إلى جانبهم على أساس أنه أنت لديك ميل إلى هذه الدائرة وأنت في نفس الوقت تعرف كيف سنة الله داخل هذه الدائرة، وكيف تتعامل مع هذه الدائرة، مع دائرة أهل البيت، وهي نفسها القضية التي كان عليها بنوا إسرائيل أي عندما يأتي في هذه الآية بكلمة: (اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم) وكل ما تقدم من أشياء تلك الصور القاتمة جداً أليست من داخل ناس من آل إبراهيم؟ ما يزال الاصطفاء قائماً في تلك المرحلة التاريخية الطويلة ولم يكن مثلاً ما هناك من صفحات سوداء بالشكل الذي يقفل الباب أمام أن يكون من داخلهم هداة وأن يكون داخلهم أسر متميزة وأتباع متميزون وشخصيات متميزة.[1]

الله يفصل لنا أهل البيت حتى نكون بعيدين عن التصنيفات

فالصلاة في هذه الصلاة: (اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد) التي نقولها هي تدل فعلاً على أن أمر الأمة أمر الدِّين، وراثة الكتاب، الهداية إلى الحق، إقامة العدل والقسط في الناس هو منوط بمحمد وآل محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

قضية أن تأتي الصلاة عليهم على هذا النحو المطلق، هل في تفسير الآية عندما قال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد**» هل أن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لا يعلم أنه سيكون في ذريته من ليسوا بصالحين؟ هو يعلم، فما هو الفارق؟ مثل الآية القرآنية تماماً ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ**﴾ [فاطر:٣٢] عندما يقول في الآية: ﴿**فَمِنْهُم... وَمِنْهُم... وَمِنْهُمْ**﴾ يريد

(١) الدرس الثالث عشر من دروس رمضان.

مِمَّن؟ مِمَّن اصطفاهم بهذا الكلام: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ فمنهم، أي: ممَّن اصطفينا، من هو ﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ ومنهم، أي: ممَّن اصطفينا، من هو ﴿مُقْتَصِدٌ﴾ ومنهم، أي: ممَّن اصطفينا، من هو ﴿سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ أليس كأنه يقول: على الرغم من آنافنا - إن صح التعبير -؟ ألم يُجب الله على أيِّ تساؤل من هذا القبيل؟ لحكمة، ليس لأنه يريد أن يربطك بظالم رغماً عنك أو بفاسق رغماً عنك، لا.

افهم المسألة على هذا النحو: نحن اصطفينا فئة من عبادنا، هذه واحدة، أليس معناها هكذا؟ جعلناهم ورثة للكتاب. أن تأتي أنت وتقول: (لكن فيهم، ولكن فيهم، ولكن فيهم، وكيف نعمل إذا فيهم؟) هو يعلم بكل شيء من قبل أن تعلم أنت، هو يقول لك: هنا وراثة الكتاب هنا، وأنا الذي سأتكفل بوضع الهداة داخل ورثة الكتاب. فأنا يجب عليَّ أن أؤمن بأن هؤلاء هم صفوة، أي: هو اصطفاهم لأن يكونوا ورثة لكتابه، أليس هذا هو الواجب؟ في الآية القرآنية هل بإمكانك أن تقول: إن الظالم لنفسه ليس من الفئة التي اصطفاها؟ هل تستطيع أن تقول ذلك؟ وهو قال في الآية ثلاث مرات: ﴿فَمِنْهُم... وَمِنْهُم... وَمِنْهُمْ...﴾ ألم يقل هكذا؟ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ﴾ ممَّن ماذا؟ ممَّن اصْطَفَيْنَا ﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ هل بإمكاني أن أقول: لا، أو بإمكان أيِّ واحد أن يقول: لا، الظالم أبداً ليس من الفئة التي اصطفاها الله؟ هل بإمكاني أن أقول هكذا؟ سأكون مكذباً بالقرآن، هو مِنهم لكن هو شخصياً لا أتبعه، هو شخصياً لا أتولاه، لا علاقة لي به[1].

●●●

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان: معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد.

أعداء الأمة يحاربون قضية الربط بأهل البيت

أهمية الربط بالأعلام

يقول السيد حسين (رضوان الله عليه) حول هذا الموضوع:

حتى الربط بالأعلام، الربط بالأعلام أيضاً عندهم قضية خطيرة؛ ولهذا رأينا نحن وأنتم جميعاً كيف غُيِّبَ الحديث عن الإمام عليٍّ وأهل البيت في المناهج الدراسية، وغيِّبَ الحديث عنهم في وسائل الإعلام، وغيِّبَ الحديث عن آثارهم عن طريق الثقافة، ولم تُبْدِ وزارة الثقافة في أي بلد - خاصة في اليمن - اهتماماً بالآثار آثار أعلام أهل البيت؛ لأن الربط بالأعلام أيضاً مهم جداً، إذا ما رُسِّخ في أنفسنا عظمة علَم من أعلام الإسلام المتكاملين والكاملين فعلاً، فلو كان مجرد اسم يتردد على ألسنتنا لكن قد يأتي من يجعل هذا الاسم فاعلاً ومؤثراً.

كان الإمام الحسين (عليه السلام) يتردد كثيراً في أيام عاشوراء، وفي غير عاشوراء في أوساط الشيعة الجعفرية كثيراً ويبكون، ويلطمون، لكن كانت كلها مظاهر عاطفية، جاء الإمام الخميني فاستطاع أن يجعلها ذات تأثير كبير، إحياء عاشوراء، الحديث عن الحسين (عليه السلام) لدرجة أنه قال: (كل ما بين أيدينا من بركات الحسين). أو بعبارة تشبه هذه. إذاً ذلك الاسم الذي تردد مئات السنين في أجواء عاطفية بحتة، لم يُرْبَط به جهاد، ولم يُرْبَط به اتخاذ موقف، ولم يُرْبَط به عمل؛ لرفع معنويات الأمة، لاتخاذ موقفٍ ما من أعداء الأمة وأعداء الدِّين، ألم يصبح فاعلاً عندما جاء من يجعل له حيوية في نفوس الناس؟

وهكذا الآن في جنوب لبنان في أوساط (حزب الله) يصرخون باسم الحسين (عليه السلام) بل أصبحوا يتذوَّقون عاشوراء بشكل آخر يختلف عمَّا كانوا عليه يوم كانوا يتحدثون عن عاشوراء من الجانب العاطفي فقط، وأصبحوا يستلهمون من كربلاء ومن عاشوراء، ومن الحسين (عليه السلام) الأشياء الكثيرة جداً جداً، التي تدفع بهم وبشبابهم إلى ميادين الجهاد. الحسين (عليه السلام) الذي عاش مئات السنين داخل الطائفة الاثني عشرية جامداً في نفوسهم، ألم يُفَعَّلْ في مرحلة من التاريخ واستطاع أن يُحرِّك أمة؟ وها نحن نرى إيران، أليست إيران تشكل عقبة أمام الغرب فيما ننظر إليها نحن وفيما نفهم؟ أن الغرب ينظر لإيران شيئاً، ولبقية العرب والمسلمين شيئاً آخر.[1]

لماذا غيب الأعلام في وسائل الإعلام؟

وهكذا رأينا كيف أننا في مناهجنا الدراسية، وعلى شاشات التلفزيون، وفي غيره من وسائل الإعلام، نرى أعلاماً أخرى تقدَّم للأمة، ويتحدّثون عنها كثيراً في المساجد، في المعاهد، في المراكز، في الجامعات، وفي كل مكان. هذه الأعلام عند من يفهم واقع الأمة الآن: أن أمريكا، أن اليهود والنصارى يتحكّمون تقريباً في كل شيء: في الجوانب الإعلامية، الثقافية، التربوية، الاقتصادية، السياسية، في الدول كلها يتحكمون فيها، ويتدخلون في كل صغيرة وكبيرة.

هم يعرفون أن تلك الأعلام لا تصنع شيئاً لأنه لو جُسِّمَ في نفسك على أكبر ما يمكن لما كان باستطاعته أن يُحَرِّكك، ليس فيه ما يُحَرِّكك، إنما هي - كما يقال

(١) معرفة الله ـ وعده ووعيده ـ الدرس الثالث عشر.

-: (نمور من ورق، فلنضع للشباب ولنضع للأجيال نموراً من ورق، أعلاماً وهمية لا تقدِّم ولا تؤخر، ولو تكرر اسمها آلاف السنين لن تعمل شيئاً في النفوس) لأنك عندما تحاول أن تستيقظ وترجع إلى ذلك العلم لتستلهم منه شيئاً تجده فارغاً لا يمكن أن يكون فيه ما يدفعك.

لكن أعلاماً كالإمام علي (عليه السلام) كالحسن، والحسين، والزهراء، كزيد، والهادي، والقاسم، وغيرهم ممن هم على هذا النحو، هم الخطيرون في واقع الحياة، هم من لو التفت الإنسان أو التفتت الأمة لتستلهم منهم شيئاً سترى ما يشدّها، ترى ما يرفع معنوياتها، ترى المواقف المتعددة، ترى التضحية، ترى الاستبسال، ترى الشعور بعظمة الإسلام، ترى الاستهانة بالأنفس والأموال والأولاد في سبيل الإسلام.

لهذا هل نجد عليًّا (عليه السلام) أو نجد الحديث عن أهل البيت في مدارسنا أو مراكزنا أو جامعاتنا؟ لا يوجد، وإذا ما وُجِد كان شيئاً بسيطاً، وإذا ما جاء حديث عن الإمام علي فكُبِّر نوعاً ما يُمْسَخ ذلك التكبير بأن يقال: هو على الرغم مما هو عليه ها هو يبايع أبا بكر، وهو إنما كان جندياً من جنود أبي بكر، يُكبِّرونه قليلاً ثم يجعلونه بكله وسيلة من وسائل تكبير أبي بكر، فيشدونك أكثر إلى أبي بكر، فيما إذا تحدّثوا قليلاً عن علي فهو وسيلة لشدك أكثر إلى أبي بكر، أما أن يقدِّموا عليًّا (عليه السلام) علماً وَحْدَه بعد الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فهذا ما لا يمكن. يشكل خطورة بالغة.

متى رأينا في وسائل إعلامنا حديثاً عن الإمام الهادي (عليه السلام) وعن أثره في اليمن؟ متى سمعنا برامج تتحدث عن أخباره وسيرته الحميدة وما عمله من أعمال عظيمة في اليمن وفي أوساط اليمنيين وفي هدايتهم، وهم من

كان القرامطة قد عبثوا بأفكارهم، والباطنية، وبقايا كثيرة من اليهود كانت لا تزال في مختلف مناطق اليمن؟ لا حديث عنه إلا بما يسيء، لا حديث عنه إلا بتعسُّف، بما يقدمه ناقصاً.(١)

تغييب أعلام الهدى من حياة الأمة ضربها ضربة قاضية

هكذا يفكر أولئك الناس، وهم ينظرون إلى القرآن، أو ينظرون إلى أعلام الإسلام أنه قد يكون هذا الاسم، وقد يكون هذا الكتاب وإن لم يكن له أثر الآن، وإن كنا نرى هذه الأمة قد ضربناها ضربة قاضية، لكن لا يزال هذا يشكل خطورة ولو بعد حين، فيجب أن نعمل على إقصائه بأي وسيلة.(٢)

متى ما غاب أهل البيت غاب القرآن الكريم

أبرز مثال لدينا فيما يتعلق بصدر الإسلام، ألم يغب الإمام علي (عليه السلام) عن الساحة حوالي خمسة وعشرين سنة؟ من بعد موت الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وعلي مع القرآن، والقرآن مع علي! ودائماً دائماً هذا التقارن، متى ما غاب أهل البيت اعتبر أيضاً القرآن غائباً في واقعه عن الأمة، وإذا ما غاب القرآن عن الأمة أيضاً فاعرف أن أهل البيت أيضاً غائبين؛ لأنهم مقترنين مع بعض. فإن كان لأهل البيت وجود فستلمس القرآن موجوداً، وحيّاً.(٣)

---

(١) معرفة الله ـ وعده ووعيده ـ الدرس الثالث عشر.

(٢) معرفة الله ـ وعده ووعيده ـ الدرس الثالث عشر

(٣) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان: الوحدة الإيمانية.

أبرز دور للحركة الوهابية هو فصل الأمة عن أهل البيت (عليهم السلام)

لم يكتف أعداء الإسلام من بني إسرائيل بتغييب الحديث عن أعلام أهل البيت في وسائل الإعلام والمناهج التربوية وغيرها وإنما أنشأوا المذهب الوهابي الذي تقوم ثقافته على فصل الأمة عن أهل البيت (عليهم السلام) تماماً والمنهج الذي ساروا عليه الذي يمثل الامتداد لمنهج رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فعملوا على مسخ هوية الأمة الحقيقية وعملوا على فصل الأمة عن ما يمثل صمام أمان بالنسبة لها وهم الثقلين كتاب الله وعترة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فكتاب الله حولوه إلى ظاهرة صوتيه وفصلوا أتباعهم عن أهل البيت (عليهم السلام) وشدوا الناس إلى رموز تاريخية ممن قتلوا أهل البيت (عليهم السلام) أو كانوا يحملون لهم البغض والكراهية مثل يزيد بن معاوية وطواغيت بني أمية وغيرهم حتى أصبح الحديث عن أهل البيت (عليهم السلام) بالرغم من مكانتهم وفضلهم وما ورد فيهم من الآيات والأحاديث وما تحدث به التاريخ من مواقفهم العظيمة وسيرتهم النقية حديثاً مستنكراً وغريباً.

عمل أعداء الأمة من بني إسرائيل على زرع هذا الفكر التكفيري في قلب المنطقة العربية وكلفوا أدواتهم العميلة من الأنظمة الخليجية على دعم هذا الفكر الوهابي التكفيري الذي يمثل أكبر خطر على الأمة العربية والإسلامية ويستهدف هويتها فعملوا على دعمه بالأموال الطائلة وبنوا له القلاع من مساجد الضرار والمدارس والجامعات والجمعيات وغيرها من المؤسسات التي تخدم مشروعهم التكفيري وفرضوا على الناس هذا الفكر الفتنوي بشتى الطرق والوسائل بالترهيب والترغيب والتضليل والضغط السياسي والاقتصادي على

الحكومات لتترك له المجال في الانتشار والسيطرة على المساجد والمدارس والجامعات والمعاهد وتفتح له المؤسسات الرسمية والعسكرية وغيرها حتى عم الكثير من الدول العربية والإسلامية.

وها هم التكفيريون اليوم يتحركون أدوات رخيصة لضرب أمتهم وشعوبهم وتمزيقها وبعثرتها وإهدار مقدراتها وتركيعها لأعدائها من اليهود والنصارى، ها هم يتحركون وقد مُسخِوا تماماً فلم يعد لديهم هوية لا إسلامية ولا هوية عربية ولا وطنية ولا قبلية بل لم يعودوا حتى على فطرتهم التي فطر الله الناس عليها.

الوهابيون صنيعة استعمارية

يقول السيد حسين رضوان الله تعالى عليه عن المذهب الوهابي ودوره:

هو صنيعة استعمارية من بدايته، له علاقة بالبريطانيين، من أول ما تأسس في السعودية، في نجد، كان له علاقة بالبريطانيين أيام الاستعمار البريطاني لبلادهم. وهي قضية كنا نشك فيها حتى عندما حصل فترات تأملنا فيها نفس كتابات محمد بن عبد الوهاب، كتبه، وإذا هي فعلاً ليست عمل شخص من نجد، كأفكار، كأطروحة، هذا عمل أشخاص باحثين، عمل أشخاص، يعني: مثلما تقول: البريطانيون هم كانوا مهتمين به، وهو يقوم على قضية يمهد للاستعمار؛ لأنه يساعد على تفريغ الهوية، يساعد على نسف بعض المبادئ التي تؤدي إلى أن يبقى المسلمون معتزين بولائهم، معتزين بتاريخهم، معتزين بأعلامهم، تنسف هذه، تقدم كلها باعتبارها بدعة، أو شرك! من عند مولد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وزيارته، والقباب هذه، يقولون: القباب هذه شرك، وأشياء من هذه.

وتركيز عليها بشكل كبير؛ لنسف كل المعالم الإسلامية في المنطقة، المعالم الإسلامية، هم حاولوا في هدم قبة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) قالوا: إنها بدعة، وجودها هذه هو مخالف لسنة النبي! القبة ماذا فيها؟ القبة تشير إلى أن هناك واحد، مثلاً الإمام الفلاني، أو الشخص الفلاني، العالم الفلاني، أليسوا أعلام هكذا من تاريخ الإسلام؟ هم يريدون أن تصبح الأمة لا يوجد معها آثار، ولا أعلام، ولا شيء.... مبدأ التعظيم، التعظيم هذا نفسه يضربونه تماماً، التعظيم على أساس ديني، هذا يضربونه.

أي الفكرة في البداية تقوم على نسف المعالم الإسلامية، ونسف التعظيم على أساس ديني لأي عالم مثلاً لأي أثر إسلامي، (هذا ما يجوز، شرك..!!) عندما يسير واحد يزور رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ويريد يقبِّله، يقبل جدار القبة أو كذا..... هذه وحدة كبيرة عندهم، يركله المطاوعة، يركلون الزوار! وهذه من أسس تهيئة الأمة لقابلية الاستعمار، عندما تكون لم يعد لها علاقة بتاريخها الإسلامي، بماضيها الإسلامي، بأعلامها الإسلاميين، برموزها الدينية. هم كانوا يعتدون حتى على المقابر، مقابر المدن العلمية التي يكون فيها أضرحة، فيها العالم الفلاني، فلان، فلان.. إذا رأى لوحة يسقطها، يكسرون الأضرحة، في صعدة، كسروا كثيراً، كانوا يغزون المقبرة في الليل.

تجد في مواجهة اليهود والنصارى، في مواجهة أمريكا وإسرائيل لا يوجد لهم فاعلية في الموضوع، كان قد أقاموا في أفغانستان خلافة إسلامية، أمير المؤمنين، دولة إسلامية، وخلافة، كانوا أعداداً كبيرة، وفي الأخير تلاشوا، شكلوا هزيمة بشكل غريب في أفغانستان، وكانوا أعداداً كبيرة، ولديهم أسلحة.

في اليمن أيام وجود الاتحاد السوفيتي وروسيا بعد في أفغانستان، حركة هنا، جهاد، ودعوة للجهاد في سبيل الله، وصناديق في المساجد، وتبرعات، ويرسلون الشباب إلى أفغانستان، وفي الأخير اتضح بأنه أمريكا كانت تتبنى هذا، أمريكا نفسها، كانت بتوجيهات أمريكية ويقيمون معسكرات بتمويل أمريكي.... والآن لم يعد هناك جهاد! قد أمريكا موجودة هناك، انتهى الجهاد، غلقوا الصناديق، لم يعد هناك جهاد في سبيل الله![1]

ويقول في الدرس السابع من دروس رمضان:

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: من الآية ١٢٥] أمر من الله لما لهذا من أثر نفسي، ولما لهذا من ربط تاريخي، ربط روحي، هذه قضية هامة، استشعار وحدة المسيرة الإلهية، وأن تبقى آثار من آثار إبراهيم، مقام إبراهيم لا يزال باقياً تصلي بالقرب من ذلك المكان، يربط مشاعرك بإبراهيم، هذا يلهم فيما يتعلق بماذا؟ بالاقتداء، فيما يتعلق بالسلوك؛ لأن قضية الآثار، الآثار الدينية التي تمثل معلَماً من معالم مسيرة الدين يكون لها أثرها الروحي في الناس.

هذا يبين أهمية الآثار، المعالم الدينية فيما تتركه من أثر في النفوس، والأعداء يفهمون هذه؛ لهذا حاولوا في كثير من الآثار الدينية، في مكة والمدينة أن يجردوها تماماً من أي شكلية يجعلها توحي بهذا الشكل، مسجد معين يحولونه، ويغيرونه إلى نمط جديد من البناء فلا تعد ترى فيه أي أثر إلا أنه بني في عام ألف وأربعمائة وكذا! يعني قبل عشر سنين ثمان سنين لم تعد الآثار الإسلامية باقية.

كان المفروض حتى مسجد رسول الله (صلوات الله وعلى آله) يحافظون

(١) من محاضرة للسيد حسين رضوان الله عليه بعنوان: الوحدة الإيمانية.

عليه بشكليته، يحافظون على نمط المدينة بشكليتها يعملون لهم عمراناً خارج محيط هذه، ويجعلونها منطقة غير قابلة إلا فقط للترميم على نفس النمط، كما يعملون هم بماذا؟ بآثارهم هم، آل سعود، قصر (الديرة) في الرياض تراه يملجونه بطين، ويتركون بابه على ما هو عليه، بنفس النمط الذي هو عليه من يوم أن اقتحمه (عبدالعزيز)، لأن عبد العزيز اقتحمه وقتل الأمير الذي كان فيه.

تلاحظ كيف كانت فعلاً قضية تؤكد: بأن الأشياء التي تعتبر من الأساسيات في معتقدات الوهابية: نسف الإلتفاتة الدينية لآثار إسلامية، أو معالم دينية، قالوا: شرك! أن هذه فعلاً عندما تقرأ كتب محمد بن عبد الوهاب، وتنظر فعلاً إلى رؤية المستعمرين، رؤية المحتلين، رؤية الأعداء الذين يحاولون أن يزيلوا الأشياء التي هي آثار تشد الناس إلى تاريخهم الديني إلى بداية حركة الإسلام، آثار الإسلام (شرك شرك، شرك) كلها يحاولون أن يغيروا معالمها مهما أمكن، يغيرون معالمها تماماً، ولا يتركونك ترى الكثير منها ليخلقوا فراغاً روحياً عند الناس، فراغاً روحياً ينسف ذلك التأثر الذي ماذا؟ له قيمة إيجابية، وتربطك بتاريخك الديني.

عندما تدخل المدينة وكأنك عدت إلى القرن الأول ترى مسجد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ترى الأشياء وكأنك سافرت إلى ما وراء ألف وأربعمائة سنة، أليس الأثر سيكون كبيراً في النفس؟ هم يعرفون أهمية التراث؛ ولهذا عندهم قضية هامة موضوع التراث، لكن التراث الجاهلي يهتمون به أما التراث الديني يحاربونه كلهم، يحاربونه كلهم! يحاربونه الأعداء، ومذهب من داخل الأمة تقوم عقائده على نسف معالم الدين، وآثار الدين! حتى أنهم حاولوا في مرحلة من مراحل حركتهم الوهابيين أن يدمروا قبة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)!.

يحاولـون فـي ترتيبات بناء المسـجد، وزيارة قبر رسـول الله (صلـواتُ الله عليهِ وعلى آله) أن تكون بالشـكل الذي لا تتمكن أن تراه، أو تسـتحضر في ذهنيتك: أن هنـاك داخل هذا المبنى رسـول الله (صلواتُ الله عليهِ وعلـى آله) فقط ممر واحد، وممـر ضيق، ومجموعة من المطاوعة، والجنود يدفعونك: (هيا، تحرك!) باب واحد تدخل من باب، وتخرج من باب بسرعة (هيا بسرعة) لا يتركونك تلتفت لشيء، لا يتركونك تبقى تستحضر في ذهنيتك، تعود إلى ما قبل ألف وأربعمائة سـنة أبداً! ألم يكن بالإمكان أن تكون الزيارة ممرين؟ كان بالإمكان أن تكون ممرين، لكن لا، ممر واحد فقط وبسرعة هيا!.

محراب النبي (صلواتُ الله عليهِ وعلى آله) يضعون فيه مجموعة كراسي، يملؤونه بالكراسـي لا يتركونـك تجلـس فيـه، أو تصلـي فيه كل هـذه الأشـياء (بدعة، شـرك، هيا، لا تلمس شـيئاً) عندما تلمس شـيئاً يبدو وكأنك تلمس شـيئاً يعود بذهنيتـك إلـى قرون من تاريخ الأمـة هذه يقول لك: ممنـوع! وبطريقة وقحة، بعـض المطاوعة يركلون الناس بأقدامهم، يركلونهم فعلاً، يدفعونهم، ويركلون بعضهم، ويضربونهم، والبعض يقودونه إلى السجن؛ لأنه حاول أن يلمس قبة رسـول الله (صلـواتُ الله عليهِ وعلى آله) ويقبِّلها! لكن اذهـب لتقبِّل جنب الأمير لا يوجـد مانـع، قبِّل جنبه، قبّل يـده وهو حتى لا يبادلك التقبيـل يبقى واقفاً وهم يقومـون بتقبيله في جنبه، أو يقبلون يده فقط، وهو لا يبادلهم، ويتبركون بهذا، وتراهم يذهبون لهذا! لكن هناك، لا، ممنوع!.[1]

●●●

(١) الدرس السابع من دروس رمضان.

أهل البيت (عليهم السلام) ودورهم في مواجهة التحريف والانحراف

في الوقت الذي كان الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) والمسلمون المخلصون معه يعملون جاهدين على نشر الإسلام وإعلاء راية التوحيد كان بنوا أمية ومن لف لفهم وبدعم خفي من اليهود يخططون لمستقبل الأيام كيف يسيطرون على الدولة الإسلامية التي ظهرت ملامحها بعد أن هزم الشرك وتلاشت أحلام اليهود وانطفأت نار فارس وتهاوت تيجان كسرى.

ولم يكن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) غافلا عن النوايا الخبيثة التي يبيتها بنو أمية وهم أعداء الإسلام الألداء في الجاهلية والإسلام ولقد كان يعرف بأن قلوبهم ما زالت مليئة بالحقد والكراهية على الإسلام وعلى أمة الإسلام فكان يعمل على تحذير الأمة منهم ومما قال:

«يهلك الناس هذا الحي من قريش» قالوا فما تأمرنا؟ قال: **«لو أن الناس اعتزلوهم»**.[1]

وقال (صلوات الله عليه وعلى آله) **«هلاك أمتي على يدي غلمة من قريش»**.[2]

وقال (صلوات الله عليه وعلى آله) **«إذا بلغ بنو أمية أربعين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا»**.[3]

وروي أيضاً أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) قال: **«إني رأيت في منامي**

---

(١) البخاري في علامات النبوة في الإسلام (ج ٢ ص ٤٥٣).
(٢) البخاري (ج٦ ص ٤٥٣).
(٣) الحاكم في المستدرك (ج٤ ص ٤٧٤).

كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة» قال فما رؤي رسول الله (صلواتُ الله عليه وعلى آله) مستجمعا ضاحكا حتى توفي.[1]

وفي نفس الوقت تحصين الأمة وشدها بشكل مستمر إلى أهل بيته كونهم صمام الأمان لها وكثيرا ما كان يقول: **«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»** **«أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وهوى»** ومئات الأحاديث التي تشد الأمة إلى أهل بيت رسول الله (صلواتُ الله عليه وعلى آله).

حتى في آخر أيام حياته وهو على فراش الموت طلب منهم أن يقدموا له كتفاً ودواة ليكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده **«هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده»** وأدرك المتربصون ماذا يريد الرسول أن يكتب في ذلك الكتاب فأثاروا ضجة جعلت النبي يعدل عن كتابة ذلك الكتاب وأن يكتفي بقوله: **«أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»**.

متى تحرك حملة الموروث الجاهلي من بني أمية في مؤامرتهم

ما أن التحق الرسول (صلواتُ الله عليه وعلى آله) بالرفيق الأعلى وعزل الإمام علي (عليه السلام) ومعه عزل القرآن الكريم حتى كشر بنو أمية عن أنيابهم ووقفوا ضد الموروث الرسالي الذي يمثِّل الإسلام الحق الإسلام القرآني الإسلام المحمدي الأصيل.

واستمر تآمرهم بوتيرة عالية وتهيأت لهم الأجواء بحيث لم تمض خمسة

(١) الحاكم في المستدرك (ج٤ ص ٤٧٤).

وعشرون سنة من بعد موت رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) حتى استحكمت قبضتهم على الأمة وحتى قال زعيمهم أبو سفيان بعد أن وصلت الخلافة إلى غلمان بني أمية (تلاقفوها يا بني أمية فوالله ما أدري ما من جنة ولا نار وإنما هو الملك.)

وهكذا تحرك بنو أمية بالموروث الجاهلي ممزوجاً بالتحريف اليهودي فكراً وسلوكاً وأخلاقاً حتى صار الموروث الجاهلي هو المستحكم، وهكذا كل موروثات الجاهلية من مساوئ الأخلاق، من المفاسد والشر والفساد والطغيان، والإجرام، نزعة التسلط كل هذا كان يحمله الطرف الآخر الذي هو الجانب الأموي.

ولقد حصل ما كان يخاف النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) من وقوعه فقد قال أنس بن مالك: ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) . قيل: الصلاة . قال: أليس صنعتم فيها ما صنعتم؟ [1].

أمام هذه المؤامرات لم يقف أهل البيت (عليهم السلام) متفرجين وإنما تصدوا لها بكل وسيلة وطريقة وكان يدرك النظام الأموي بأن العقبة التي ستقف أمامهم وما يشكل صمام أمان للأمة هم أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فوقف بوجههم بكل ما أوتي من قوة وعمل على تحريف الدين ليتلاءم مع مخططاته وقف بوجه الإمام علي والحسن والحسين (عليهم السلام) الذين سيتحركون بالموروث الرسالي الإيماني القرآني المحمدي الذي كانوا يحملونه.

الطرف الأموي الذي كان يُمثِّل الشر والفساد والطغيان والزيف والغرور

(١) البخاري (ج٢ من فتح الباري ص١١).
(تحرير الأفكار للسيد المجاهد بدر الدين الحوثي رحمة الله عليه ص ٢٩٢).

والباطل كان يرى في أهل البيت خطراً على مصالحه، خطراً على نفوذه، خطراً على هيمنته، خطراً على سلطته في الأمة، وفي المقابل كان يرى أهل البيت (عليهم السلام) في بني أمية أكبر خطر على قيم الإسلام وعلى مبادئ الإسلام، وعلى أخلاق الإسلام، خطراً حقيقياً على أمة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) خطراً على الأمة حتى في مستقبلها.

المؤسف بأن النهج الأموي هو الذي استمر في الأمة

وهكذا بمجرد أن ابتعدت الأمة عن أهل البيت (عليهم السلام) والمنهج القرآني كان البديل الذي قدم هم بنو أمية والنهج الأموي الذي هو نهج الاستبداد والملك العضوض والجور والظلم والفساد والطغيان، والتجرد من القيم والإنسانية . وهو - للأسف الشديد - النهج الذي استمر في الأمة، استمر نهجاً واستمر أساساً عقيدةً فكراً منطلقاً لكل الظالمين والجائرين والفاسدين والطغاة في واقع الأمة جيلاً بعد جيل.

وتجلى في واقع الأمة خطرهم الحقيقي من مواجهتهم للإمام علي (عليه السلام) الذي كان الممثل للإسلام المحمدي الأصيل ومن بعده الحسن ثم الحسين ثم خيرة أصحاب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فمن الجمل إلى صفين إلى الحرة وقتل الأنصار والمهاجرين في المدينة إلى استباحة الأعراض والممتلكات إلى ضرب الكعبة بالمنجنيق وإحراقها إلى قتل المسلمين وهم متعلقون بأستار الكعبة إلى عاشوراء بكل ما فيها من المأساة والمحنة، بكل ما تجلّى فيها من حقيقة أولئك الطغاة المجرمين والظالمين فيما هم عليه من شر ووحشية وطغيان وإجرام ضد أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) حتى

قال يزيد بن معاوية بصريح العبارة ورأس الإمام الحسين موضوعاً أمامه وهو يضرب ثناياه بكل حقد وتوحش وهو يردد[1]:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحا ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل

وحصل ما كان يخشاه رسول الله من بني أمية

لم تكن هذه الأحداث والمآسي وليدة يومها، فمنذ أن استحكمت قبضة الأمويين على العالم الإسلامي وحكموا العالم الإسلامي «**اتخذوا دين الله دغلا، وعباده خولا، وماله دولا**»، وهذا ما كان الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) . أخبر به وتحدث عنه، أنهم حينما يتمكنون من الهيمنة على الأمة، والسيطرة على مقاليد أمر الأمة فالنتيجة هي هذه: يتخذون دين الله دَغلاً. وهذه جناية كبيرة جداً جنوها في واقع الأمة نفسها.

عندما أفسدوا على الأمة دينها بتحريف مفاهيمه، ونزع جوهره ولُبِّه، ومسخ حقائقه، وحينما جعلوا من الأمة «**خولا**» يعني: خدماً، حولوا الأمة إلى أمة مستعبدة تخدمهم، حولوها إلى أمة مسخرة في خدمتهم. «**وماله دولا**» المال العام الحق العام للأمة بكله استأثروا به وجعلوه خاصاً بهم لمصالحهم الشخصية في التَّرَف من جانب، وفي تعزيز نفوذهم وهيمنتهم من جانب آخر، في شراء الولاءات والمواقف وشراء الناس من جانب آخر، فالنتيجة كانت نتيجة فضيعة.

---

(١) مقاتل الطالبيين.

عمل بنو أمية على صنع أمة تقبل بباطلهم وشرهم وفسادهم

النتيجة لهكذا ممارسة «اتخذوا دين الله دغلا، وعباده خولا، وماله دولا» النتيجة كانت هي أن وصل واقع الأمة إلى حالة فضيعة من التدني في الأخلاق، والإفلاس في القيم لدرجة وصلت في بعضٍ منها، في بعضٍ من الحالات، في بعضٍ من المجالات إلى أسوأ مما كان عليه الحال في العصر الجاهلي فيما قبل الإسلام؛ لأنهم عندما اتخذوا دين الله دغلاً عمدوا إلى استهداف كل القيم المهمة، كل القيم المهمة، استهدفوها وعملوا على تضييعها من واقع الأمة.

كل الأخلاق الكريمة كذلك استهدفوها حتى يؤقلموا الناس فيتقبلوهم بكل باطلهم وسوئهم وشرهم وفسادهم وطغيانهم، وحتى لا يكونوا حالةً لا تركب في واقع الأمة، فولَّفُوا واقع الأمة بكله ونزعوا منها الأخلاق والقيم والمبادئ الأساسية التي تمثل منعةً وحمايةً للأمة من تقبلهم، ومن الإذعان لهم، ومن الخضوع لهم، ومن الاستسلام لشرهم وفسادهم وإجرامهم وطغيانهم، فهي عملية توليف للأمة حتى تتقبلهم بكل ما هم عليه، وبكل ما هم فيه، وبكل النتائج السلبية لهيمنتهم وسيطرتهم على مقاليد الأمور.

في بعضٍ من الحالات استوى واقع الأمة في إسلامها وفي جاهليتها

في بعضٍ من الحالات استوى واقع الأمة في إسلامها وفي جاهليتها، وبقي في واقع الناس من الإسلام واقعاً شكلياً بعيداً عن الجوهر والمضمون والأساس الفاعل والمؤثر في حياة الناس، وبذلك فعلاً كانت المأساة كبيرة جداً؛ لأنهم غيَّبوا من الدين ما به صلاح الناس والحياة وما تتعزز به مكارم الأخلاق والصفات الحميدة وما يبني واقع الأمة على ما أراده الله لها كأمةٍ مستخلفةٍ

في الأرض، لها مسؤولية كبيرة ويُناط بها مهام عظيمة وجسيمة، ويُراد لها أن يكون لها الريادة والسيادة في الأرض، ووصلت الأمور إلى أن كانت فعلاً الحالة التي عاشها الإمام الحسين (عليه السلام) . ما قبل الشهادة حالة غربة، وهي لغربة تلك القيم والأخلاق في واقع الأمة.

هذه الأمة للقيم والأخلاق دورٌ أساسيٌ في دينها، ومعظم الدين هو قيم وأخلاق، جانب كبير من الدين مرتبط أساساً بالأخلاق والقيم، وما يتفرع في واقع الإنسان من العمل على المستوى الفردي أو في واقع الناس على المستوى الجماعي من الأعمال والتصرفات هي ترجمة لتلك القيم وهي تفريعات عن تلك القيم وعن تلك الأخلاق تجسدها وتتفرع عنها وتعبِّر عنها، فهي نتاجٌ لها، أعمال الإنسان وتصرفاته هي نتاج لأخلاقه على ضوء أخلاقه، بطبيعة أخلاقه يتصرف، يعمل، يعامل، يتخذ المواقف قوله وفعله وتصرفاته كلها.

الإسلام أولى أهميةً كبيرةً للقيم المهمة في الحياة

والإسلام أولى أهميةً كبيرةً للقيم المهمة في الحياة، العدل، الإحسان، الخير، الوفاء، الصدق، الشرف، الكرامة، العزة، الإباء، الرحمة، قيم كثيرة وكثيرة تقوم عليها تعاليم الإسلام، ونجد في القرآن الكريم مساحةً واسعة؛ بل نجد في قول الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) . كلمةً مهمةً جداً تُدلِّل على مدى اهتمام الدين بالقيم والأخلاق وإعلائه من شأنها وتركيزه عليها حينما قال فيما روي عنه: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

الأخلاق والقيم أساسية في دين الله لهذه الدرجة، لدرجة أنها غايةٌ أساسية وهدفٌ أساس من أهداف الرسالة الإلهية، وأساساً بها سمو الإنسان، الإنسان

حينما يتجرَّد من الأخلاق والقيم يصبح في واقعه أسوأ من الحيوان، ولذلك ضرب الله في القرآن الكريم أمثلة للإنسان الذي يبتعد عما أكرمه الله به من مؤهلات إنسانية يستطيع من خلالها أن يتحلَّى بتلك القيم العظيمة التي بها يسمو، بها يكون له كرامته وعزته ومقامه العظيم، وبها ينال الشرف كل الشرف، والعزة والرفعة والعلو والسمو.

نجد في القرآن الكريم يقول الله عنهم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[الفرقان:٤٤] وأوصاف كثيرة ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾[الأعراف:١٧٦].

نجد في القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى يُكرِّر في آيات كثيرة، ويُؤكِّد في آيات كثيرة على أهمية القيم ويُقدِّمها كأساسيات في دينه، فيما يأمر به عباده، فيما يوجِّه به عباده، فيما يُرشد إليه عباده، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:٩٠]، فجمع في هذه الآية أساسيات في القيم وفي مقدمتها العدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، في نفس الوقت أكد على نهيه الشديد عن مذام ومساوئ الأخلاق، عن الفحشاء، عن المنكر، عن البغي، وتجمع هذه الفحشاء والمنكر والبغي تجمع كل نطاق الشر وكل دوائر الشر تنحصر في داخل هذه الثلاث الخصال السيئة: الفحشاء والمنكر والبغي، يدخل فيها الظلم، يدخل فيها الفساد، يدخل فيها كل ما تبقى من المفردات التي تُدلِّل على شيءٍ من الشر.

نجد أيضاً أن المواصفات الإيمانية في القرآن الكريم مرتبطة بقيم وأخلاق، المواصفات الإيمانية التي يصف الله بها عباده المؤمنين ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧]، ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح:٢٩]، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر:٩]، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[البلد:١٧] وكثير كثير من الآيات في القرآن الكريم، مواصفات إيمانية هي أخلاق، هي قيم يلتزم بها الإنسان، ويتحلّى بها الإنسان، ويَزكُو ويَشرُف بها الإنسان.

غابت القيم والأخلاق من واقع الأمة، نتيجة ذلك الاستهداف لها من الحكم الأموي

للأسف الشديد غابت تلك القيم والأخلاق من واقع الأمة، غابت نتيجة ذلك الاستهداف لها في واقع الأمة من الحكم الأموي، من الظالمين بني أمية، غابت من واقع الأمة، وكان البديل عنها هو كارثة، أمر فضيع جداً، البديل عنها هو: تربية الباطل، الغدر، الظلم، الفساد، الأطماع، الكذب، نقض العهود والمواثيق، إلى غيرها.. قائمة طويلة مفردات كثيرة يمكن أن يحشدها الإنسان ويتحدث بها ليُعبِّر عن واقع الأمة فيما وصل إليه في الأعمّ الأغلب، وقد تجلّى كثيرٌ من ذلك كله في الأحداث التي عصفت بالأمة في عهدهم.

ساء واقع الأمة وتنكرت للغة الحق والمسؤولية والدين

مع هذا ساء واقع الأمة وتنكرت للغة الحق والمسؤولية والدين، وأصبحت لغة الحق وكلمة الحق لا مسموعة ولا مفهومة ولا مقبولة، ينادى بالحق في أوساط الأمة تُدعى إليه فلا تجيب، ولا تستجيب، ولا تقبل، ولا تسمع، ولا

تصغي، ولا تعي بالرغم من التحرك الفاعل لأهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بدأ بالإمام علي (عليه السلام) ومن بعده الإمام الحسن ثم الحسين (عليهما السلام) الذين كانوا ينادون في أوساطها يدعونها، يعملون ويحرصون على أن يدفعونها في إطار مسؤوليتها التي هي شرفها وعزها فلا تستجيب.! لغة الحق غير مقبولة، ولم يعد هذا معياراً لا لموقف، ولا لتوجه، ولا لعمل، ولا لمسار، ولا لنهج، ولا لمبدأ، لم يعد من المهم عند كثيرٍ من أبناء الأمة في موقفه أن يكون موقف حق أو لا. من الطبيعي كان حق أم غير حق ما كان فليكن.

لم يعد الحق معياراً لدى الأمة، تقيس به الموقف ولا تنطلق من خلاله في العمل ولا تلتزم به في الحياة، غُيِّبت هذه المسألة تماماً يظهر هذا في عبارات التحسر التي كان كثيرا ما يطلقها أهل البيت (عليهم السلام) فها هو الإمام علي (عليه السلام) يقول لأصحابه:

«أَلاَ وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هؤُلاَءِ القَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَسِرّاً وَإِعْلاَناً، وَقُلْتُ لَكُمُ: اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ[1] إِلاَّ ذَلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ[2] وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الغَارَاتُ[3]، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الأَوْطَانُ.

وَهذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأَنْبَارَ[4]، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ البَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا[5].

(١) عُقْر الدار ـ بالضم ـ : وسطها وأصلها.
(٢) تواكلتم: وكَلَ كل منكم الامر إلى صاحبه، أي لم يتولّهُ أحد منكم، بل أحاله كلٌّ على الاخر.
(٣) شُنّت عليكم الغارات: مُزِّقَت عليكم من كل جانب كما يشن الماء متفرقاً دفعةً بعد دفعة.
(٤) الانبار: بلدة على شاطىء الفرات الشرقي، ويقابلها على الجانب الاخر «هِيت»..
(٥) المسالِحُ: جمع مَسْلَحَة ـ بالفتح ـ : وهي الثغر والمَرْقب حيث يُخشى طروقُ الاعداء.

وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ، وَالأُخْرَى المُعَاهَدَةِ[١]، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا[٢] وَقُلْبَهَا[٣] وَقَلاَئِدَهَا، وَرِعَاثَهَا[٤]، ما تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلاَّ بِالاسْتِرْجَاعِ وَالاِسْتِرْحَامِ[٥]، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ[٦]، مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ[٧]، وَلاَ أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِن بَعْدِ هَذا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً.

فَيَا عَجَباً! عَجَباً ـ وَاللهِ ـ يُمِيتُ القَلْبَ وَيَجْلِبُ الهَمَّ مِن اجْتِمَاعِ هؤُلاَءِ القَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً[٨]، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً[٩] يُرمَى: يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلاَ تُغِيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلاَ تَغْزُونَ، وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ!

فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِم فِي أَيَّامِ الحَرِّ قُلْتُمْ: هذِهِ حَمَارَّةُ القَيْظِ[١٠] أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الحَرُّ[١١]، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هذِهِ صَبَارَّةُ

---

(١) المعاهَدَة: الذميّة.

(٢) الحِجْل ـ بالكسر و بالفتح و بكسرين ـ : الخلخال.

(٣) القُلُب ـ بضمتين ـ : جمع قُلْب ـ بالضم فسكون ـ : السوار المُصْمَت.

(٤) الرعاث ـ جمع رَعثة ـ وهو: ضرب من الخرز .

(٥) الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء مع القول: إنّا لله وإنا اليه راجعون،والاسترحام: أن تناشده الرحمة .

(٦) وافرين: تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم، ويروى (موفورين).

(٧) الكَلْم ـ بالفتح ـ : الجرح .

(٨) تَرَحاً ـ بالتحريك ـ أي: همّاً وحُزْناً.

(٩) الغرض: ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها، فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون.

(١٠) حَمَارّة القيظ ـ بتشديد الراء وربما خففت في ضرورة الشعر ـ : شدة الحر.

(١١) التسبيخ ـ بالخاء المعجمة ـ : التخفيف والتسكين.

القُـرِّ[١]، أَمْهِلْنَا يَنْسَـلِخْ عَنَّـا البَرْدُ، كُلُّ هذا فِـراراً مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ؛ فَـإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ!

يَـا أَشْـبَاهَ الرِّجَـالِ وَلاَ رِجَالَ! حُلُـومُ الأَطْفَـالِ، وَعُقُولُ رَبّـاتِ الحِجَالِ[٢]، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً ـ وَاللهِ ـ جَرَّتْ نَدَماً، وَأَعقَبَتْ سَدَماً[٣].

قَاتَلَكُمُ اللهُ! لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً[٤]، وَشَحَنْتُمْ[٥] صَدْرِي غَيْظاً، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ[٦] التَّهْمَامِ[٧] أَنْفَاسـاً[٨]، وَأَفْسَـدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالعِصْيَـانِ وَالخِذْلاَنِ، حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِب رَجُلٌ شُجَاعٌ، وَلَكِنْ لاَ عِلْمَ لَهُ بِالحَرْبِ.

للهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَـدُّ لَهَا مِرَاسـاً[٩]، وَأَقْدَمُ فِيهَـا مَقَاماً مِنِّي؟! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ العِشْرِينَ، وها أنا ذا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ![١٠] وَلَكِنْ لا رَأْيَ لَمِنْ لاَ يُطَاعُ!

وها هو الإمام الحسين يشخص الواقع الذي كانت قد وصلت إليه الأمة فيقول وهو يرى الواقع المظلم للأمة وقد ضيَّعت الحق ولم تعد تأبه للحق ولا تبالي بالحق، فقال: «**فإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت**

---

(١) صَبَارّة الشتاء ـ بتشديد الراء ـ : شدة برده، والقُر ـ بالضم ـ : البرد، وقيل هو بردالشتاء خاصة.

(٢) حِجال: جمع حَجَلة وهي القبة، وموضع يزين بالستور، وربات الحجال: النساء.

(٣) السّدَم ـ محرّكة ـ : الهم مع أسف أوغيظ، وفعله كفرح.

(٤) القيح: ما في القرحة من الصديد، وفعله كباع.

(٥) شحنتم صدري: ملاتموه.

(٦) النُغب: جمع نُغْبَة كجرعة وجُرَع لفظاً ومعنى.

(٧) التّهْمَام ـ بالفتح ـ : الهم، وكل تَفْعال فهو بالفتح إلّا التِبيان والتِلقاءفهما بالكسر .

(٨) أنفاساً: أي جرعةً بعد جرعة، والمراد أن أنفاسه أمست هماً يتجرّعه .

(٩) مِراساً: مصدر مارسه ممارسة ومراساً، أي عالجه وزاوله وعاناه .

(١٠) ذَرّفْتُ على الستين: زدتُ عليها، وروى المبرد «نَيّفت»، وهو بمعناه.

جداً فلم يبق إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل»، ما أعظم هذا التعبير، يا كم ساء واقع الأمة، ويا كم تغير إلى المستوى السيء جداً، انعكست آثاره السيئة في واقع الحياة ظلم، معاناة، شقاء، اضطهاد، قهر، ساء واقع الأمة وأيما سوء حينما غاب الحق بقيمه وموقفه ومبادئه من واقع الحياة، **«ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً فإني لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً»**.

ثم نجد تربية الباطل التي غَيَّبت، غَيَّبت الحق فلم يعد مقبولاً ولا مسموعاً، ولا مفهوماً، ولا مرغوباً، ولا مستساغاً في واقع الأمة التي كان يُفترض بها أن تكون هي أمة الحق، وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[العصر:٣]، ﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى**﴾[يونس:٣٥] كل هذه المسألة انتهت من واقع الأمة إلى حد كبير، بقي صفوة الأمة قِلَّة قليلة، ثم ما كان هو البديل عنه وما كانت المعايير والأسس التي يُنطلق من خلالها وتُبنى عليها المواقف.

ولقد كان بنو أمية كما أخبر عنهم النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) **«إذا بلغ بنو أمية أربعين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا»**.

ـ تحريف المفاهيم الدينية

جانب من **«اتخذوا دين الله دغلا»** هو: تحريف المفاهيم الدينية بما يخدم سياستهم، أولئك الظالمون الجائرون المفسدون عمدوا أيضاً كما استهدفوا القيم، استهدفوا المفاهيم كثيراً من المفاهيم، مثل شرعنة الطاعة للظالمين وإيجابها

وجعلها من دين الله عبادةً وقُربةً إلى الله، جعلوا طاعة الظالمين من طاعة الله، وطاعةً لله وعبادةً لله، وقُربةً إلى الله، وجعلوها سبيل أجر وثواب وقُربة وزُلفى، وهذا من أعجب العجب، من أعجب ما حصل في تاريخ الأمة الإسلامية.! ومن أغرب ما حصل أن تشرعن، تصبح شرعية وتصبح دين، وتصبح عبادة، وتصبح قُربة طاعة الظالمين الجائرين.

عندما نتأمل في هذا الجانب التحريف للمفاهيم الدينية، من الذي يؤدي هذا الدور؟ ومن الذي يقوم به ويَعمِد إليه؟ من هي مهمته؟ من هو الذي يشتغل هذا الشغل؟. هم علماء السوء علماء البلاط، علماء السلاطين، مع احترامي لكل العلماء الصالحين نحن لا نقصدهم، كل العلماء الصالحين المستقيمين نحن لا نقصدهم، كلامنا هنا بالتحديد عن علماء السلاطين، علماء البلاط، العلماء الذين كانوا مرتبطين بالظالمين مناصرين للظالمين، ينصرونهم عبر تاريخ الأمة وإلى عصرنا هذا لا يزالون كذلك وسيستمرون على ذلك؛ لأن العلماء صنفين: علماء سوء، وعلماء صالحين أصحاب حق وأصحاب حقيقة وواقفين في صف الحق، مُعانين مظلومين مُضطهدين.

لكن هناك علماء سوء، مهمتهم التي يمارسونها وهم جنباً إلى جنب مع الظالمين مع المفسدين مع الجائرين، مع سلاطين الجور مهمتهم هي تحريف المفاهيم الدينية، لتوظيف الدين لمصلحة الطغاة والجائرين، ولتحقيق ذلك يستخدمون أساليب متعددة منها: تنزيل النصوص الدينية في غير محلها وعلى غير واقعها وهنا جريمتان: افتراء وكذب في التوصيف، ثم جريمة التوظيف، التوظيف للنص الديني في غير محله.

أولاً يقومون بتوصيف حالة معيَّنة بغير وصفها وبغير واقعها بما يتمكنون من

خلالـه على أن يطلقوا نصاً دينياً يوظفونه عليها ليتطابق عليها، مثلاً: يأتون إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَـادًا أَنْ يُقَتَّلُـوا أَوْ يُصَلَّبُـوا أَوْ تُقَطَّـعَ أَيْدِيهِـمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾[المائدة:٣٣] هذا نص من القرآن صحيح، آية قرآنية مـن كتاب الله، لكنهـم يُنزِّلونها على غيـر محلها، يأتي - مثـلاً - إلى القائمين بالقسـط، القائمين بالحـق، الواقفين في وجه الظلم، المنادين بالعدل والعدالة فيسـمي عملهـم الذي هو حـق وما يقومون به في سـبيل إحقـاق الحق وإقامة العدل، يسـميه عالم السوء، عالم البلاط، يسـميه حرباً لله ورسوله وإفساداً في الأرض.. و.. إلـى آخره، ويصيغوا بياناً يوقِّعه مع غيره من أمثاله ويقرؤوا الآية القرآنيـة ويدعوا إلى قتلهم والتنكيل بهم وتقطيع أيديهم وأرجلهم، أو ضربهم بالطائرات أو إبادتهم بأي سـلاح، يُنزل النص القرآني في غير محله، على غير واقعـه، ويكذب حينـما يوصِّف حالة معيَّنة أنها نفـس الحالة التي يتحدث عنها النص الديني في القرآن الكريم أو من الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ..

مثـال آخر: آيـات الجهاد، عندما يُنزِّل آيات الجهـاد وهو يقصد التحرك في خدمـة الباطل فيسـميه جهاداً، يسـمي القتال تحـت الراية الأمريكيـة بعناوين طائفيـة أو بـأي عنـوان آخر، يسـميه جهاد، ثم يحشـد النصـوص القرآنية التي تتحدث عن الجهاد ولكن في غير محلها.

أنـت عندما تقاتل لمصلحة الأمريكيين والإسـرائيليين هذا ليس جهاداً، هذا شـراً، هذا عدواناً، هذا ظلماً، هذا بغياً، لا يسـمى جهاد أبـداً، عندما تتحرك في أوسـاط الأمة تحت عناوين طائفيـة تُطلق على أولئك أنهم رافضة، ثم تحشـر النص القرآني الذي يتحدث عن الجهاد في غير محله.

مثال آخر: عندما كانوا يقولون سواءً عن الإمام الحسين (عليه السلام) أو غيره من الثوار الذين ثاروا قياماً بالحق ونصرةً للحق وإقامةً للعدل من بعد الإمام الحسين (عليه السلام) كانوا يقولون شقّ عصا المسلمين، شقّ عصا المسلمين!. وفي الحقيقة هو شقّ عصا المجرمين، عصا الظالمين، عصا الجائرين التي بها يضربون الأمة ويسوقون الأمة إلى جهنم، إلى الخسران إلى الشقاء في حياتها في الدنيا وفي الآخرة، شّق عصا الجائرين، أما المسلمين لم يشق عصاهم هو يعمل لقوتهم، لعزتهم.

مثال آخر: هو التكفير، عندما يطلق التكفيريون اسم أو مسمى الكفر على مسلمين؛ لأنهم اختلفوا معهم في المذهب أو في الفكر أو في التوجه، فيطلقون عليهم كفاراً ثم يوردون كل النصوص القرآنية التي تتحدث عن الكافرين وكأنها تعني أولئك وهي لا تعنيهم، هم المسلمون حقاً في الأساس، هذا واحدٌ من أساليب التحريف للمفاهيم الدينية من خلال تنزيل النص الديني في غير محلِّه على غير واقعه بتوصيف كاذب وافتراء وبهتان.

أسلوب آخر من تحريف المفاهيم من خلال: تقديم مفاهيم باطلة، باطلة من الأساس والافتراء على الله وعلى رسوله لإضفاء شرعيتها واعتبارها من الدين، مثلما تقدّم من شرعنة طاعة الظالمين الجائرين واعتبارها من طاعة الله وعبادةً إلى الله وقربة إلى الله، هذا واحد من الأساليب.

بنو أمية أفسدوا القيَم، وقوَّضوا الأخلاق، وحرَّفوا المفاهيم، وزيَّفوا الوعي، وقلَّبوا الحقائق، وأضلُّوا كثيراً

«اتخذوا دين الله دغلا» فأفسدوا القِيَم، وقوَّضوا الأخلاق، وحرَّفوا المفاهيم، وزيَّفوا الوعي، وقلَّبوا الحقائق، وأضلُّوا كثيراً وضلُّوا عن سواء

السبيل. «واتخذوا عباد الله خولا» فاستعبدوهم وسخّروهم لخدمتهم ومصالحهم. ومظاهر الاستعباد والسُخرة للأمة من جانب حُكّام الجور والظالمين متعددة وعلى كل المستويات:

على المستوى العسكري وفي ميادين القتال؛ حيث يدفعون الكثير من الناس للقتال والقتل في سبيل تقوية أمرهم، واستحكام سلطانهم، وتعزيز هيمنتهم، وسطوةً منهم بالمستضعفين، وظلماً للمظلومين، وبطشاً بالصالحين، وتنكيلاً بالأحرار، وإذلالاً للناس، وإنفاذاً لأمرهم الباطل فيما ليس لله فيه رضى، ولا للأمة فيه خيرٌ ولا مصلحة.

وعلى المستوى الثقافي والفكري؛ حيث يدفعون بعلماء البلاط ووعاظ السلاطين لتحريف المفاهيم وشرعنة الظلم، وتدجين الأمة باسم الدين، وإبعادها عن النهج القويم.

وعلى المستوى الإعلامي؛ حيث يدفعون البعض ليكونوا أبواقاً لهم، وألسنة سوء كاذبة، فينشرون الشائعات الباطلة والأكاذيب، ويقولون الزور والبهتان، ويزيّفون الواقع والحقائق، ويكتبون بأقلامهم المأجورة كذلك، خدمةً وسُخرةً وشكلاً من أشكال العبودية للطغاة.

«واتخذوا مال الله دولا» فينهبون خيرات الأمة وثروات الشعوب، ويستأثرون بالمال العام، ويتداولون به في مصالحهم الشخصية على سبيل الترف والإسراف، ولشراء الولاءات والمواقف، وشراء الذمم، ويتركون الأمة تعاني ويلات الفقر، ونكد العيش، والمعاناة بكل أشكالها.

وهكذا مضى واقع الأمة الإسلامية على امتداد التاريخ منذ استحكام القبضة الأموية على سلطان الأمة وإلى اليوم، إلاّ في الحالات النادرة والمحدودة والاستثنائية.

وكما كان هناك امتداد لحالة الانحراف التاريخية في واقع الأمة هناك أيضاً امتداد للنهج المحمدي الأصيل

وكما كان هناك امتداد للتوجه الأموي، كما كان هناك امتداد لحالة الانحراف التاريخية في واقع الأمة هناك أيضاً امتداد للحق، امتداد للقيم، امتداد للأخلاق، امتداد للنهج المحمدي الأصيل نراه في أهل بيت رسول الله (صلواتُ الله عليهِ وعلى آله) الذين كانوا كما أخبر عنهم النبي (صلواتُ الله عليهِ وعلى آله).

فكانوا هم سفينة النجاة للأمة وكانوا هم دعاة الحق والحرية والعدالة عبر التاريخ ومعهم كل الثابتين في الأمة على الحق، معهم كل الصابرين، كل المواجهين للظلم وللطغيان، كل المتمسكين بقيم الإسلام إلى يومنا هذا، وما تحرُّك الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي ومِن بعده السيد عبدالملك بدر الدين الحوثي لمواجهة التحريف والانحراف والطغيان والظلم والاستكبار في هذه المرحلة إلا امتداد لذلك التحرك لأهل بيت النبوة عبر التاريخ وإلى يومنا هذا في الدور وفي المنهج. ونرى الأمة اليوم أحوج ما تكون إلى العودة إلى أهل بيت رسول الله (صلواتُ الله عليهِ وعلى آله) والتمسك بهذه المسيرة القرآنية قيادة ومنهجاً لتعود لهم ولو نفحة من نفحات العز والإباء والكرامة والحرية والاستقلال.

●●●

ما الذي سيحمي الأمة اليوم في مواجهة أعدائها؟

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي حفظه الله في اللقاء التاسع بالعاملين:

ما يتعلق بارتباطنا بأئمة اهل البيت (عليهم السلام) بأئمة الهدى بأعلام الهدى لأهل البيت جملةً هذه مسألة مهمة ومسألة لا يكون الانصراف عنها إلا إلى بدائل هي بدائل ضلال أو بدائل نفاق أو بدائل زور مزورة في واقع الأمة فيها الكثير والكثير من الضلال والانحراف.

وهذا أيضاً نستند فيه بكل راحة بال، بكل اطمئنان، بكل يقين، إلى النصوص القاطعة إلى البراهين العظيمة إلى الدلائل والحجج البينة التي تعترف بها كل الأمة على وثيقة من أمرنا وعلى بصيرة من أمرنا وعلى قناعة في مسارنا ليس هناك ما يقلقنا أو يؤثر علينا أو يثير لدينا الشكوك أو يبعث على الارتياب.

هذا الموضوع بحاجة إلى تركيز عليه لماذا؟ لأن هذه المسألة لأهميتها المفصلية والجامعة لأنها أم كل التفاصيل أم كل التفاصيل الأعداء يحاولون الصد عنها، فئات الضلال فرق الضلال تيارات الضلال من داخل الأمة ومن خارج الأمة تحاول الصد عنها بكل ما أوتيت من قوة تجد هناك محاربة رهيبة جداً لمسألة الحديث عن أهل البيت أو الارتباط بأهل البيت مع أن كل الأمة حتى رموز الفئة الوهابية بن تيمية وغيره من أئمتهم وأعلامهم الكبار الذين يعتبرونهم مثلما يقولون عنهم شيخ الإسلام ولكن حتى أولئك هم يعترفون بأن محبة أهل البيت (عليهم السلام) مسألة إسلامية متفقٌ عليها بين كل المسلمين.

كل المذاهب تعترف بوجوب محبة أهل البيت (عليهم السلام)

كل المسلمين كل المذاهب تعترف بوجوب محبة أهل البيت (عليهم السلام)

يعني من الثوابت العامة في العالم الإسلامي في كتب المذاهب في كتب عقائدها حتى في العقيدة الواسطية لابن تيمية وفي كتبهم في مجاميعهم الحديثية هم رواتهم أعلامهم محدثوهم أئمتهم كتابهم هم رووا حديث الثقلين: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**» رواه منهم المئات والآلاف وهو موجود في الآلاف من مصادرهم من كتبهم كتبه أئمتهم وعلماؤهم ومحدثوهم جيلاً بعد جيل.

فهل نتحرج منهم أن لا يزعلوا منا او يشوشوا علينا أو يكثروا من الضجيج عندنا حينما نعمل بمقتضى ما اعترفوا به هم ما كتبوه بأقلامهم وما رووه حتى هم عبر الأجيال؟ لا.

نص الثقلين حجة كبيرة على الأمة

نص الثقلين حجة كبيرة على الأمة ونص صريح وواضح وبيّن واضح وبيّن (ما إن تمسكتم به) نحن معنيون بالتمسك اتباع بقوة التمسك في الاتباع بقوة «**ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا**» حصانةٌ لنا من الضلال أمانٌ لنا من الضلال.

لاحظوا هم دائماً في ضجيج واصل بكل وسائلهم الإعلامية والثقافية والفكرية قنوات إذاعات كتب صحف مجلات منشورات يضجون دائماً وأبداً بالتعظيم لرموزه ثم يغضبون علينا وكذلك يفتحون أعينهم علينا ويبرزون الاستياء الشديد واللغو والضجيج والصراخ والنياح عندما نتحدث نحن عن رموز أهل البيت (عليهم السلام) ينزعجون أشد الانزعاج لماذا؟

طبيعي أن ينزعجوا لأن هذه المسألة هي التي تكشف ما هم عليه وتكشف

حقيقتهم تكشف مدى انحرافهم هم يحسون بالإحراج الشديد فلذلك يحبون دائماً أن تبقى المسألة هذه مغيبة وضائعة تضيع؛ لأنها مزعجة لهم ومحرجة لهم ومقلقة لهم.

نحن معنيون أن نكون في هذه المسألة مبدئيين أن نهتم بالتعرف على تأريخ أهل البيت (عليهم السلام)

ولكن نحن معنيون أن نكون في هذه المسألة مبدئيين أن نهتم بالتعرف على تأريخ أهل البيت (عليهم السلام) هذه مسألة مهمة أن يكون ارتباطنا برموزهم وأعلام الهدى منهم ارتباطاً حقيقياً وواضحاً بدءً بالإمام علي (عليه السلام) لأنه قناة الوصل والارتباط الصحيح والسليم برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ولأن المسألة طبيعية.

إذا كان الآخرون على ارتباط عجيب جداً برموزهم ويتحدثون عنهم بالصحيح والغلط وبالحق وبالباطل وبالكذب وبالصدق يعني بكل شيء لكي يعظّموهم ولكي يملؤوا بهم قلوب الناس وعيون الناس، فلماذا نحن لا نأتي لنقدم الحق بالحق لن نحتاج أن نزيد على الحق ولا شيء أبداً، أن نتحدث عن رموز أهل البيت (عليهم السلام) عن أعلام الهدى كما ينبغي أن نتحدث عنهم.

وأن نحرص على دراسة تاريخهم وسيرتهم والاستفادة منهم وأن نحرص بما تعنيه الكلمة على أن نكون متأثرين بهم متأثرين بهم في ثقافتنا في روحيتنا في أخلاقنا في قيمنا هم أعلامنا هم هداتنا هم قدواتنا هم أسوتنا هم الذين نتطلع على الدوام إلى كيف كانوا في عبوديتهم لله كيف كانوا في جهادهم كيف كانوا في صبرهم كيف كانوا في تضحياتهم كيف كانوا في ثباتهم كيف كانوا في روحيتهم العالية العظيمة الإيمانية المتميزة ونراهم كيف كانوا بما تعنيه

الكلمة نجوماً في هذه الحياة نجوماً للأمة أعلام هدى بما تعنيه الكلمة للأمة.

لا يليق بنا أن نقصر وأن نبتعد عن تاريخهم عن المعرفة بهم عن إبراز هذا التأثر وهذا الارتباط بهم، هذا الذي يليق بنا وهذا الذي يحمينا ثقافياً، هذا الذي يضمن لنا الشعور الوجداني بهذا الامتداد إلى رسول الله أنت في طريق واضحة وبيّنة نهجٌ بين وصراط مستقيم ومنهجٌ قويم وأنت ترى أعلامك في هذا الطريق قدواتك في هذا الطريق إلى رسول الله علم هدى إثر علم هدى إثر علم هدى عبر الامتداد الزمني إلى عصرك.

وأنت ترى هذا الامتداد تسير على بيّنة وتتحرك مطمئن البال تستطلع في واقع الحياة تتجه في ميدان الحياة تنهض بالمسؤولية تتحرك وأنت تعي مسؤوليتك ومن أنت وما هو امتدادك وارتباطك بالحق وأعلام الحق على أساس قول الله سبحانه وتعالى ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] صراط الذين أنعمت عليهم نسير بعدهم أولئك الأعلام الذين أنعم الله عليهم بالهدى فكانوا هم الهداة فيما قدموه وفي سلوكهم في أعمالهم في مواقفهم في جهادهم في تضحيتهم، هذا موضوع مهم هو الكفيل بحماية الأمة.

الذين ابتعدوا عن أهل البيت إنما اتجهوا إلى بدائل لا ترقى إلى مستوى أهل البيت

لاحظوا الذين ابتعدوا عن أهل البيت إنما اتجهوا إلى بدائل إنما اتجهوا إلى بدائل أصبح لهم رموزهم أكثرهم من العجم أكثر رموزهم من العجم.

فعلى كلٍ نحن لنعي جيداً أن الآخرين إنما يتجهون إلى بدائل نحن لسنا

بحاجة إلى البدائل ولا هناك ما يحرجنا ولا يصدنا لا عن الرسول ولا عن الإمام علي ولا عن أعلام الهدى من آل محمد ليس هناك ما يحرجنا في هذا الموضوع لا في سيرتهم ولا في مواقفهم ولا فيما كانوا عليه ولا في النصوص ولا في المستند ولا في المبدأ ولا في الحجج ولا في الدلائل ولا في البينات ولا في البراهين التي نستند عليها ونحن على وثاقة من أمرنا وبصيرة من أمرنا واطمئنان لمسيرتنا، ما هناك ما يحرجنا أبداً بكل اطمئنان نمشي في الطريق مرتاحين بدون قلق أبداً.

ماذا كانت مشكلة اليهود والنصارى؟ أليست حالة انحراف مع احتفاظ بالعناوين

الآخرون إنما يتجهون إلى بدائل ولكن كل مسارات الضلال وإن حملت عناوين إسلامية منتهاها الشيطان؛ لأنك عندما تذهب إلى بديل ماذا كانت مشكلة اليهود؟ ماذا كانت مشكلة النصارى؟ أليست حالة انحراف مع احتفاظ بالعناوين، هم احتفظوا بالعناوين أنهم أتباع الأنبياء وأنهم أصحاب الرسالة وأنهم، وأنهم، وأحياناً اتجهوا اتجاه الغلو الفظيع ولكن هذا لم يفدهم شيئاً أصبحت حالتهم حالة انحراف بما تعنيه الكلمة.

كيف يجب أن يكون ارتباطنا وولاؤنا لأهل البيت (عليهم السلام)

نحن في واقعنا لا يكفي كذلك مجرد الانتماء مجرد الادعاء مجرد الانتساب، لا، لابد أن يكون هذا الانتماء انتماء عملي، انتماء صادق وقائم على اتجاه عملي ثمرته في الالتزام العملي ثمرته في أن نكون كما يراد لنا أن نكون في هذا المنهج أمةً مستنيرةً مهتديةً واعيةً مؤمنةً صالحةً صادقةً متقيةً لله سبحانه وتعالى، أمةً

مجاهـدةً معطاءةً محسـنةً تصلح في أرض الله وتحسـن إلى عبـاد الله، هذه هي الثمرة العملية.

أمـا حيـن يدعي الإنسـان ويفتخر أنه في خـط الولاية وفي طريـق الحق ثم ليـس هو ذلك الذي يلتزم ولا هو ذلك الذي يسـتفيد ولا هو ذلك الذي يرتبط ارتبـاط الهداية ولا ارتباط الـزكاء ولا ارتباط الالتزام العملي ارتباطك هذا ـ يا أخـي ـ ارتبـاط يفترض أن يكون ارتباطاً ثقافياً منهجيـاً عملياً أخلاقياً له امتداد في واقعك العملي.

الخوارج من أكبر العبر في التاريخ الإسلامي

لاحظوا مـن أكبر العبر والدروس في التاريخ مـا حدث للخوارج الخوارج أولئك كانوا من جيش الإمام علي (عليه السلام) ناس مجاهدين مع الإمام علي ومـن أصحـاب الإمـام علي ومع الإمـام علي (عليه السلام) في موقفـه ولكنهم كذلـك لم يسـتوعبوا كما ينبغي كيـف يكون ارتباطهم بالإمام علي نفسـه كعلم هدايـة وكيف يفترض أن يكون توليهم للإمام علـي وولائهم للإمام علي (عليه السلام) فلم يكونوا يستفيدون منه فيما يقدمه لهم من إرشادٍ ووعيٍ وبصيرةٍ ونورٍ.

لـم يكونوا يسـتفيدون كما ينبغي وكان لديهم في النتيجـة وفي النهاية قابلية لانحراف قابلية كبيرة جداً وانحرفوا انحرافاً كبيراً عن الإمام علي (عليه السلام) ورفعوا مقولتهم الشهيرة (لا حكم إلا لله) بمعنىً غير المعنى الذي تتضمنه هذه العبارة (كلمة حق أرادوا بها باطلاً) كما قال الإمام علي (عليه السلام) (كلمة حق يـراد بها باطـل) أرادوا بها باطلاً واتجهوا إلى الباطـل وكان موقفهم من الإمام علي (عليه السلام) في حالـة انحرافهم موقفاً فضيعاً وصـل إلى درجة تكفيرهم

للإمام علي (عليه السلام) ومحاربتهم للإمام علي (عليه السلام) وخروجهم عن خط الهداية وطريق الهداية ومنهج الهداية.

في النهاية ضلوا وضاعوا تاهوا وخسروا، لاحظوا أرادوا أن يكونوا كباراً لا يحتاجون أحداً يتعاملون مع الله رأساً وبدون ارتباط بقنوات الهداية نهائياً فضلوا وتاهوا لأنهم بهذا عصوا الله خالفوا توجيهات الله سبحانه وتعالى.

الله قد رسم لنا طريق ليس من صلاحياتنا ولا من حقنا أن نقوم نحن باختيار بدائل

الله قد رسم لنا طريق ليس لنا ولا من صلاحياتنا ولا من حقنا أن نقوم نحن باختيار بدائل حتى فيما يربطنا بالله بهديه بدينه بمنهجه أن نختار لنا بدائل عن الطريقة التي قد رسمها لنا الله استجابتنا الصحيحة لله أن نقبل منه حتى الطريقة التي رسمها لنا وانحرافهم عن الإمام علي (عليه السلام) منشأه ماذا موقفهم مع الإمام علي نفسه لم يرتبطوا به كما ينبغي الارتباط المحدد في حديث الولاية وفي النصوص وعندهم أنهم أعلم من الإمام علي.

في الأخير كفروا الإمام علي (عليه السلام) وحاربوه وخسروا وتحقق فيهم ما سبق الخبر به عنهم على لسان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فكانوا هم المارقين كانوا هم المارقين لأن علياً (عليه السلام) أخبر الرسول عنه أنه سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين فكانوا هم الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

مع أنهم كانوا عبّاداً وكانوا أيضاً على درجة عالية في العبادة في جانب العبادة إحياء الليل والركوع والسجود، يحكي قمبر مولى الإمام علي (عليه

السلام) أن الإمام علي خرج ذات ليلة في ليلة حراسة يتفقد حالة الحراسة في الكوفة ومعه قمبر وهذا خادم الإمام علي (عليه السلام) فمر ببيت أحد أولئك فإذا هو يتهجد في الليل ويقرأ قول الله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر:٩] ويبكي بكاءً شديداً فتأثر قمبر بهذا الشخص يسمعه من خلف البيت وهم يمرون في الطريق في الشارع سمع ذاك يبكي يبكي ويقرأ هذه الآية ويتهجد قال أما والله إني لأظنك منهم قمبر انخدع به.

الإمام علي (عليه السلام) التفت إلى قمبر وقال له: (نومٌ على يقين خير من عبادة في شك) ولمح له أن ذلك الرجل قد لا يكون من أولئك المذكورين في الآية لأنه يفقد اليقين يفقد الوعي يفقد البصيرة، القضايا الأساسية ليس عنده وعيٌ بها المبادئ الرئيسية ليس له ارتباطٌ بها متجه هكذا في التفاصيل وتاركٌ للمبادئ ومنصرفٌ عن المبادئ.

قال قمبر فوجدت ذلك الرجل ـ لأنه كان يعرفه ويعرف بيته ويعرف من هو فوجدته قتيلاً بين أهل النهروان بين الخوارج الذين حاربوا الإمام علياً (عليه السلام) وقتلوا فقلت يا عدو الله غررتني من نفسك كان أمير المؤمنين أعلم مني بك.

فلاحظوا كيف كانت نتيجة انخلاعهم انصرافهم خروجهم عن هذا المبدأ هذا المبدأ يشكل ضمانة لك في التفاصيل ضمانة لك من الضلال حماية لك من التيه في عالم مليء بالظلام والضلال والمضلين والمبطلين.

فإذن تولينا هذا هو ارتباط كلي تحددت لنا فيه الطريق ومعالمها ومنهجها نتحرك على بصيرة على بينة على نورٍ من الله سبحانه وتعالى أمامنا رموزنا وهداتنا وقدواتنا الذين نقتدي بهم ونفتخر والله باقتدائنا بهم واهتدائنا بهم

تعظيمنا لهم وتقديسنا لهم نفتخر ليس في أمرهم ما يحرجنا وللآخرين رموزهم، لهم رموزهم ولهم أعلامهم لكن نحن رموزنا هم هؤلاء الذين هم امتداد ضمن خط الولاية ابتداءً بالإمام علي (عليه السلام) بعد رسول الله محمد (صلواتُ الله عليه وعلى آله).

ثم نعي أن هذا الارتباط يمتد إلى واقعنا العمل الذي ينتمي حقاً إلى مبدأ الولاية سيكون عليه أثر هذا الانتماء وعياً بصيرةً تزوداً للهداية ارتباطاً مستمراً بالهدى يحرص على الدوام أن يزداد وعياً أن يزداد بصيرةً وعلى يقين وحتى في الروحية وحتى في العمل وحتى في الموقف وحتى في السلوك وحتى في التصرفات.

●●●

قطرة من بحر ما قيل من الشعر في أهل البيت (عليهم السلام)

وبعظمة أهل البيت (عليهم السلام) وما يمتلكونه من مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات وبمكانتهم العالية وجهادهم وشجاعتهم وتضحياتهم وحبهم لأمة جدهم تغنى الكثير من الشعراء قديما وحديثاً نختار من ذلك بعضها:

كعب بن مالك الأنصاري (شاعر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله):

قومٌ بهم عصمَ الإلهُ عبادَهُ ... وعليهمُ نَزل الكتابُ المُنزَلُ

وبهَديِهم رضيَ الإلهُ لخَلْقهِ ... وبجِدِّهم نُصِر النبيُّ المرسَلُ

بِيضُ الوجوه، ترى بُطونَ أكفِّهِم ... تَندى إذا اغبرَّ الزمانُ المُمحِلُ

قصيدة للشاعر الفرزدق (هَذا الّذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأتَهُ)

قيل: حج هشام بن عبد الملك في زمن عبد الملك أو في زمن الوليد، فلما طاف جهد أن يستلم الحجر فلم يطق لزحام الناس عليه، فنُصب له منبرٌ، وجلس ينظر إلى الناس، إذ أقبل علي بن الحسين (عليه السلام) من أحسن الناس وجهًا وأطيبهم ريحًا، فطاف بالبيت، فكان كلما بلغ الحجر تنحى الناس له حتى يستلمه. فقال رجلٌ من أهل الشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه المهابة؟ فقال هشام: لا أعرفه – مخافة أن يرغب الناس فيه، وكان حوله وجوه أهل الشام، والفرزدق الشاعر، فقال الفرزدق: لكنني أنا أعرفه، فقال أهل الشام: من هذا يا أبا فراس؟ فزبره هشام، وقال: لا أعرفه . فقال الفرزدق: بل تعرفه، ثم أنشد مشيرًا إليه:

يا سائلي أينَ حَلَّ الجودُ والكَرَمُ ... الجوابُ إذا سؤَّالُهُ قَدِمُوا
هَذا الّذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأتَهُ ... وَالبَيْتُ يعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ
هذا ابنُ خَيرِ عِبادِ الله كُلّهِمُ ... هذا التّقيُّ النّقيُّ الطّاهِرُ العَلَمُ
هذا الذي أحمدُ المختارُ والدُه ... صلى عليه الإله ما جرى القلمُ
لو يعلمُ الركنُ من قد جاء يَلْثِمُهُ ... لَخَرَّ يَلْثِمُ منه ما وَطَى القدمُ
هذا عليٌّ رسولُ الله والدُهُ ... أمستْ بنورِ هُداهُ تهتدي الأممُ
هذا ابنُ سيِّدَةِ النسوانِ فاطمَةَ ... وابنُ الوصيِّ الذي في سيفِهِ سَقَمُ
وَلَيْسَ قَوْلُكَ: مَن هذا؟ بضائرِهِ ... العُرْبُ تَعرِفُ من أنكرْتَ وَالعَجمُ
كِلْتا يَدَيْهِ غِياثٌ عَمَّ نَفعُهُما ... يُسْتَوْكَفانِ وَلا يَعرُوهُما عَدَمُ
سَهْلُ الخَليقَةِ لا تُخشى بَوَادِرُهُ ... يَزِينُهُ اثنانِ: حُسنُ الخَلقِ وَالشّيمُ
حَمّالُ أثقالِ أقوامٍ إذا افتُدِحُوا ... حُلوُ الشّمائلِ تَحلُو عندَهُ نَعَمُ
ما قال: لا قطُّ إلّاً في تَشَهُّدِهِ ... لَوْلا التّشَهّدُ كانَتْ لاءَهُ نَعَمُ
عَمَّ البَرِيّةَ بالإحسانِ فانْقَشَعَتْ ... عَنْها الغَياهِبُ والإمْلاقُ والعَدَمُ
إذ رَأتْهُ قُرَيْشٌ قال قائلُها: ... إلى مَكارِمِ هذا يَنْتَهِي الكَرَمُ
يُغْضِي حَياءً وَيُغضَى من مَهابَتِه ... فَمَا يُكَلَّمُ إلاّ حِينَ يَبْتَسِمُ
بِكَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ ... من كَفِّ أرْوَعَ في عِرْنِينِهِ شَمَمُ
يَكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جَاءَ يَستَلِمُ
اللهُ شَرّفَهُ قِدْمًا وَعَظّمَهُ ... جَرَى بِذاكَ لَهُ في لَوْحِهِ القَلَمُ
أيُّ الخَلائِقِ لَيْسَتْ في رِقَابِهِمُ ... لأوَّلِيّةِ هَذا أوْ لَهُ نِعَمُ
مَن يَشكُرِ اللهَ يَشكُرْ أوّلِيّةَ ذا ... فالدِّينُ مِن بَيتِ هذا نَالَهُ الأُمَمُ
يُنمى إلى ذُرْوَةِ الدّينِ التي قَصُرَتْ ... عَنها الأكُفُّ وعن إدراكِها القَدَمُ

مَنْ جَدُّهُ دان فَضْلُ الأنْبياءِ لَهُ ... وَفَضْلُ أُمّتِهِ دانَتْ لَهُ الأُمَمُ
مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ الله نَبْعَتُهُ ... طَابَتْ مَغارِسُهُ والخِيمُ وَالشّيَمُ
يَنْشَقُّ ثَوْبُ الدّجَى عن نورِ غُرَّتِهِ ... كالشمسِ تَنجابُ عن إشراقِها الظُّلَمُ
من مَعشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمُ ... كُفْرٌ وَقُرْبُهُمُ مَنجىً وَمُعتَصَمُ
مُقَدَّمٌ بعدَ ذِكْرِ الله ذِكْرُهُمُ ... في كلّ بَدْءٍ وَمَختومٌ بِهِ الكَلِمُ
إنْ عُدّ أهْلُ التّقَى كانوا أئِمّتَهمْ ... أوْقيل:(من خيرُأهل الأرْض؟)قيل:هم
لا يَستَطيعُ جَوَادٌ بَعدَ جُودِهِمُ ... وَلا يُدانِيهِمُ قَوْمٌ وَإنْ كَرُمُوا
هُمُ الغُيُوثُ إذا ما أزْمَةٌ أزَمَتْ ... وَالأسدُ أسدُ الشّرَى وَالبأسُ مُحتدِمُ
لا يُنقِصُ العُسرُ بَسطًا من أكُفِّهِمُ ... سِيّانِ ذلك: إن أثْرَوْا وَإنْ عَدِمُوا
يُستدْفَعُ الضرُّ وَالبَلْوَى بحُبِّهِمُ ... وَيُسْتَرَبُّ بِهِ الإحْسَانُ وَالنِّعَمُ

وكذلك من الشعراء المعروفين والمشهورين الشاعر الكبير الأمير أبو الفراس الحمداني من شعراء القرن الرابع المولود ٣٢١هـ المتوفى ٣٥٧هـ في قصيدة طويلة يمدح فيها أهل البيت ويذم أعداءهم من بني العباس قال فيها[١]:

الحقُّ مُهْتَضَمٌ والدينُ مُخْتَرَمُ ... وَفَيْءُ آلِ رسولِ الله مُقْتَسَمُ
والناسُ عندَكَ لا ناسٌ فيحفظهمْ ... سومُ الرعاةِ ولا شاءٌ ولا نعمُ
إني أبيتُ قليلَ النومِ أرَّقَنِي ... قَلْبٌ تصارعَ فيه الهمُّ والهِمَمُ
وعزمةٌ لا ينامُ الليلَ صاحبُها ... إلّا على ظَفَرٍ في طيِّهِ كَرَمُ
يُصانُ مُهْري لأمرٍ لا أبوحُ بِهِ ... والدرعُ والرمحُ والصمصامةُ الحذمُ[٢]

(١) الغدير للأميني٣/ ٣٩٩.

(٢) الحذم من السيوف بالحاء المهملة: القاطع.

وكل مائرةِ الضبعين مسرحها ... رِمْثُ الجزيرةِ والخذرافُ والعنمُ[1]

وفتيةٌ قلبُهمْ قلبٌ إذا ركبوا ... وليسَ رأيهمُ رأيًا إذا عزموا

يا للرجالِ أَمَا لله منتصِرٌ ... مِن الطغاةِ؟ أَمَا لله منتقمُ؟!

بنو عليٍّ رعايا في ديارهمُ ... والأمرُ تملكه النسوانُ والخدمُ

محلؤون فأصفى شُرْبِهِمْ وَشَلٌ ... عندَ الورودِ وأوفى ودِّهمْ لَمَمُ[2]

فالأرضُ إلَّا على مُلَّاكِها سَعَةٌ ... والمالُ إلَّا على أربابِهِ دِيَمُ

فما السعيدُ بها إلا الذي ظَلَمُوا ... وما الشقيُّ بها إلا الذي ظُلِمُوا

للمتقين من الدنيا عواقبُها ... وإنْ تعجَّلَ منها الظالمُ الأثُم

أتفخرون عليهمْ لا أبا لَكُمُ ... حتى كأنَّ رسولَ الله جدُّكُمُ؟!

وما تَوازَنَ فيما بينَكُمْ شَرَفٌ ... ولا تساوتْ لكمْ في موطنٍ قدمُ

ولا لكم مثلهم في المجد متصلٌ ... ولا لجدكمُ معشارُ جدِّهِمُ

ولا لعرقِكُم مِنْ عرقِهِمْ شَبَهٌ ... ولا نثيلتكم من أُمِّهم أَمَمُ[3]

قام النبيُّ بها (يومَ الغديرِ) لهمْ ... واللهُ يشهدُ والأملاكُ والأمُم

حتى إذا أصبحتْ في غيرِ صاحبِها ... باتتْ تنازعُها الذؤبان والرخمُ

وصيَّروا أمرَهُمْ شورى كَأَنَّهُمُ ... لا يعرفون ولاةَ الحقِّ أيُّهُمُ

تالله ما جَهِلَ الأقوامُ موضعَها ... لكنَّهُمْ ستروا وجهَ الذي عَلِمُوا

ثم ادَّعاها بنو العباسِ مُلْكَهُمُ ... ولا لهمِ قَدَمٌ فيها ولا قِدَمُ

---

(١) مار: تحرك. الضبع: العضد. كناية عن السمن. الرمث بكسر المهملة: خشب يضم بعضه إلى بعض ويسمى: الطوف. الخذراف بكسر الخاء: نبات إذا أحس بالصيف يبس. العنم بفتح المهملة. نبات له ثمرة حمراء يشبه به البنان المخضوب.

(٢) حلأه عن الماء: طرده. الوشل: الماء القليل. لمم: أي غب.

(٣) نثيله هي أم العباس بن عبد المطلب. الأمم: القرب.

لا يُذْكَرُونَ إذا ما مَعْشَرٌ ذُكِرُوا ... ولا يُحَكَّمُ في أمرٍ لهمْ حَكَمُ
ولا رآهُمْ أبو بكرٍ وصاحبُهُ ... أهلًا لما طَلَبُوا منها وما زَعَمُوا
فهل هُمُ مدَّعوها غيرَ واجبةٍ؟ ... أم هل أئمتهمْ في أخذِها ظلموا؟
أما عليٌّ فأدنى مِنْ قرابتِكمْ ... عند الولايةِ إنْ لم تُكْفَرِ النِّعَمُ
أينكرُ الحبْرُ عبدُ الله نعمتَهُ؟ ... أبوكُمُ أم عبيدُ الله أمْ قُثَمُ؟!
بئسَ الجزاءُ جزيتمْ في بني حسنٍ ... أباهم العَلَمَ الهادي وأُمَّهُمُ
لا بيعةٌ ردعتْكمْ عن دمائِهِمُ ... ولا يمينٌ ولا قربى ولا ذِمَمُ
هلَّا صفحتم عن الأسرى بلا سببٍ ... للصافحين ببدرٍ عن أسيركمُ؟!
هلَّا كففْتُمْ عن الديباجِ[1] سوطَكُمُ ... وعن بناتِ رسولِ الله شتْمَكُمُ[2]
ما نُزِّهَتْ لرسولِ الله مهجتُهُ ... عن السياطِ فهلَّا نُزِّهَ الحَرَمُ؟
ما نالَ منهم بنو حربٍ وإنْ ... عظمتْ تلك الجرائرُ إلا دونَ نيلكمُ
كم غدرةٍ لكمُ في الدينِ واضحةٍ ... وكمْ دمٍ لرسولِ الله عندكمُ
أنتم له شيعةٌ فيما ترون وفي ... أظفارِكمْ من بنيهِ الطاهرين دَمُ
هيهات لا قربت قربى ولا رحمٌ ... يومًا إذا أُقصتِ الأخلاقُ والشيمُ
كانت مودةُ سلمانٍ له رحمًا ... ولم يكنْ بين نوحٍ وابنه رحمُ
يا جاهدًا في مساويهمْ يكتِّمُها ... غَدْرُ الرشيدِ بيحيى كيف يَنْكَتِمُ؟
ليس الرشيدُ كموسى في القياسِ ولا ... مأمونُكم كالرضا لو أنصفَ الحكَمُ
ذاق الزبيريُّ غِبَّ الحِنْثِ وانكشفتْ ... عن ابن فاطمةَ الأقوالُ والتهم

---

(١) الديباج هو محمد بن عبد الله العثماني أخو بني حسن لأمهم فاطمة بنت الحسين السبط ضربه المنصور مأتين وخمسين سوطا..

(٢) لعله أشار إلى قول منصور لمحمد الديباج: يا بن اللخناء. فقال محمد. بأي أمهاتي تعيرني؟ أبفاطمة بنت الحسين؟ أم بفاطمة الزهراء؟ أم برقية؟.

باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته ... وأبصروا بعضَ يومٍ رشدهم وعموا
يا عصبةً شقيتْ من بعد ما سعدتْ ... ومعشرًا هلكوا من بعد ما سلموا
لبئسما لقيتْ منهم وإن بليتْ ... بجانب الطفِّ تلك الأعظمُ الرممُ
لا عَنْ أبي مسلمٍ في نصحِهِ صَفَحُوا ... ولَا الهبيريَّ نَجَّى الحَلْفُ والقَسَمُ
ولا الأمان لأهلِ الموصل اعتمدوا ... فيه الوفاء ولا عن غيهم حلموا
أبلغ لديك بني العباس مألكةً ... لا يدَّعوا ملْكَها مُلَّاكُها العَجَمُ
أيُّ المفاخرِ أمسْت في منازلِكُمْ ... وغيرُكُمْ آمرٌ فيها ومحتكِمُ؟
أنى يزيدُكُمُ في مفخرٍ عَلَمٌ؟ ... وفي الخلافِ عليكم يخفقُ العَلَمُ
يا باعةَ الخمرِ كُفُّوا عنْ مفاخرِكمْ ... لمعشرٍ بيعُهمْ يومَ الهياجِ دَمُ
خلوا الفخارَ لعلَّامين إنْ سُئِلُوا ... يومَ السؤالِ وعَمَّالينَ إنْ عَلِمُوا
لا يغضبون لغيرِ الله إنْ غضبوا ... ولا يضيعون حكمَ الله إنْ حَكَمُوا
تنشى التلاوةُ في أبياتهم سَحَرًا ... وفي بيوتِكمُ الأوتارُ والنغمُ

أما الشاعر دعبل الخزاعي (ت ٢٤٦ هـ) فإنه أنشد فيهم كثيرا وكثيرا.
ونختار من ذلك عدة أبيات من قصيدته والتي هي بعنوان:

بكيتُ لِرسمِ الدَّارِ مِنْ عَرَفَاتِ

وَفَكَّ عُرَى صَبْرِي وَهَاجَتْ صَبابَتي ... رسومُ ديارٍ قد عفتْ وعراتِ
مَدَارسُ آيَاتٍ خَلَتْ مِن تلاوة ... ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرصاتِ
دِيارُ عليٍّ والحُسَيْنِ وجَعفَر ... وحَمزة َوالسجَّادِ ذِي الثَّفِنَاتِ
ديارٌ لعبدِ اللّهِ والْفَضْلِ صَنوِهِ ... نجيَّ رسول اللهِ في الخلواتِ
مَنَازِلُ، وَحيُ اللّهِ يَنزِلُ بَيْنَها ... عَلَى أحمدَ المذكُورِ في السُّورَاتِ

منـازلُ قـومٍ يهتـدى بهداهـمُ فَتُـؤْمَـنُ مِنْهُمْ زَلَّـة ٱلْـعَـثَـراتِ
مَنـازِلُ كانَـتْ للصَّـلاَة ِوَلِلتُّقَـى وللصَّومِ والتطهيرِ والحسناتِ
ديـارٌ عَفاهـا جَـورُ كلِّ مُنابِـذٍ ولـمْ تعفُ لـلأيـامِ والسنواتِ
فيـا وارثـي علـمِ النبـي وآلـهِ عليكم سـلامٌ دائـم النفحاتِ

وله أيضاً:

مَلامَـك فـي آلِ النبـيِّ؛ فـإنّهـم أحبّـايَ مـا داموا وأهـلُ ثِقاتي
تَخيّرتُهـم رُشـداً لأمـري، فانـهّم عـلـى كلّ حـالٍ خيـرةُ الخيَـراتِ
نبـذتُ إليهـم بالمـوّدةِ صـادقـاً وسـلّمتُ نفسـي طـائعـاً لـوُلاتـي
فيـاربِّ زِدْنـي مـن يقينـي بصيـرةً وزِدْ حبَّهـم يـا ربِّ فـي حسناتي
سـأبـكيهمُ ما حـجَّ للهِ راكـبٌ وما نَـاحَ قُمـريٌّ علـى الـشجراتِ
وإنّـي لَمولاهُـم وقـال عـدوَّهُـم وإنّـي لَمحـزونٌ بطـولِ حياتي
أحبُّ قَصِـيَّ الرَّحم من أجل حبِّكُم وأهـجـرُ فـيكـم زوجتـي وبَناتي
وأكتـم حُبِّيكُـم مخـافـةَ كـاشـحٍ عنيـدٍ لأهـلِ الحـقِّ غيـرِ مُـواتِ
فيـا عيـنُ بَكِّيهـم وجُـودي بـعَبـرةٍ فـقـدٍ آنَ للتَّسـكـابِ والهمَـلاتِ
لقـد خِفتُ فـي الدنيا وأيـام سـعيها وإنّـي لأرجـو الأمـنَ بعـدوفاتي
فيـا نفسـي طِيبي ثمّ نفسـيَ أبشِـري فغيـرُ بعيـدٍ كلُّ مـا هـو آتِ
فإنـي مـن الرحمـنِ أرجـو بحبِّهـم حيـاةً لـدى الفـردوس غـيـر بَتـاتِ

الكُمَيت الأسدي (ت ١٢٦ هـ)

(١)

طـربت وما شوقا إلى البيض أطرب ... ولا لعبا منى وذو الشوق يلعب
ولـمْ يلـهني دار ولا رسـمُ مَنـزل ... وَلـم يتطـربني بَنـان مخضـبُ
وَلا أنـأ مِمـنْ يزجـرُ الطيـرُ همـهُ ... أصاحَ غُـراب أمْ تعـرضَ ثَعلَبُ
وَلا السَّـانحـات البَارحـاتُ عشيّـةً ... أمـرَّ سَليمُ القَرنِ أمْ مـرَّ أعضبُ
ولكنْ إِلَـى أهـلِ الفضـائلِ والنُّـهى ... وَخيرُ بنـي حواءَ والخيـرُ يُطلبُ
إِلَـى النفَّـرِ البيـضِ الـذينِ بِحُبّهِـم ... إِلَـى الله فيمـا نَالَنِـي أتقـربُ
بنـي هَاشـم رهـطُ النَّبـيَّ فَإِنَّـني ... بِهِـم وَلَهُـم أرضَى مِراراً وَأغضَبُ

السيّد الحِميَري (ت ١٧٣ هـ)[1]

إذا أنـا لـم أحفـظ وَصـاةَ مـحـمدٍ ... ولا عهـدَه يـوم الغـدير المؤكَّدا
فإني كمن يشـري الضـلالة بالهدى ... تَـنصـرَ من بـعد التقى أو تهوّدا
ومـالـي وتيـمٌ أو عـديّ، وإنّـما ... أُولـو نعمتي في الله من آل أحمدا
تـتـمّ صلاتـي بـالصـلاةِ عليهـمُ ... ولـيـست صلاتي بعد أن أتشهّدا
بـكـامـلـة إن لـم أُصـلِّ عليهـمُ ... وأدعُ لـهـم ربّـاً كـريماً مُمجَّدا
وإنّ امـرأً يلحي على صـدق ودّهم ... أحـقّ وأولـى فـيـهمُ أن يُـفَنَّدا
بذلتُ لهـم ودّي ونُصحي ونُصرتي ... مدى الدهر ما سُمِّيتُ يا صاح سيِّدا

(١) أعيان الشيعة ٨:١٤٦.

فإن شئتَ فاختَرْ عاجلَ الغَمّ ضَلّةً وإلاّ فأمسِكْ كي تُصانَ وتُحمدا

محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)[١]

(١)

يا آلَ بيتِ رسولِ الله، حبُّكمُ فرضٌ من الله، في القرآنِ أنزلَهُ
كفاكمُ من عظيم الفخر أنكمُ مَن لم يُصلِّ عليكم لا صلاةَ لَهُ

(٢)

يا راكباً.. قف بالمحصَّبِ من مِنى واهتُفْ بقاعدِ خيفها والناهضِ
سَحَراً إذا فاضَ الحجيجُ إلى مِنى فيضاً كملتطم الفراتِ الفائضِ
إن كان رفضاً حبُّ آلِ محمدٍ فليشهَد الثقلانِ أني رافضي

(٢)

(٣)

آلُ النبيّ ذريعتي وهمُ إليه وسيلتي
أرجو بأن أُعطى غداً بيدي اليمينِ صحيفتي

(٤)

ولمّا رأيتُ الناس قد ذهبت بهم مذاهبُهم في أبحرِ الغيِّ والجهلِ
ركبتُ على اسم الله في سفن النَّجا وهم آلُ بيت المصطفى خاتمِ الرُّسْلِ

(١) ديوان الشافعي ٧٢.
(٢) ديوان الشافعي ٥٥.

وأمسكتُ حبلَ الله ـ وهو ولاؤهم ـ كما قد أُمِرنا بالتمسكِ بالحبلِ
إذا افترقَت في الدين سبعونَ فِرقةً ونَيفاً، كما قد صَحَّ في مُحكم النقلِ
ولم يكُ ناجٍ منهمُ غير فرقةٍ فقُل لي بها ياذا الرجاحةِ والعقلِ
أفي فرَق الهُلّاكِ آلُ محمدٍ أم الفرقة اللاتي نجت منهمُ؟! قُل لي
فإن قلتَ: في الناجين، فالقولُ واحدٌ وإن قلتَ: في الهُلّاك، حِفتَ عن العدلِ
إذا كان مولى القوم منهم.. فإنني رَضِيتُ بهم ما زالَ في ظلّهم ظلّي
فخَلِّ عليّاً لي إماماً ونسلَهُ وأنت من الباقين في سائرِ الحِلِّ

(١)

الإمام علي وبنوه

لأمير شعراء اليمن الحسن بن علي بن جابر الهبل (رضوان الله عليه)، ولد سنة ١٠٤٨هـ وتوفي سنة ١٠٧٩هـ بصنعاء.

قَد آنَ أنْ تَلْوي العِنَانَ وتُقْصِرَا أوَ مَا كفاكَ الشَّيبُ وَيْحَكَ مُنْذِرا؟
كم ذا يُعيدُ لكَ الصِّبا مرُّ الصَّبا[٢] مَهْمَا سَرى والبرقُ وَهْنًا إن شَرَى؟
حَتّام لا ينفكُّ قلبُكَ دائمًا لِهَوى الغَواني مَوْرِدًا أوْ مَصْدَرا؟
وإلامَ يَعْذلُكَ المناصِحُ مُشْفِقًا فتقولُ: دَعْني ليسَ إلاّ ما ترى؟
وإلى متى تَزدادُ من مُقَلِ الظِّبا وخدودهِنَّ تَدَلُّهًا وتَحيُّرا؟

(١) أدب الطف ١: ٢١٩.

(٢) الصِّبا: الصِّغَر، وهو الشوق أيضًا. والصَّبا بفتح الصاد: رياحٌ مهبها جهة الشرق. والوهن: من الليل منتصفه. وشرى البرق: لمع.

ولَكَمْ تَذوبُ تَشَوُّقًا وصَبَابةً ... وتَظَلُّ تُجْري من عيونِكَ أنْهُرا؟

أضحى حديثُ غديرِ دَمعِك شهرةً ... يحكي حديثَ غديرِ خُمٍّ في الورى

أكرِمْ بهِ من مَنزلٍ في ظلِّه ... نَصَبَ المهيمنُ للإمامةِ حَيْدَرا

نصَّ النبيُّ بها إذًا عن أمرِه ... في حَيدرٍ نصًّا جليًّا نيِّرا

إذْ قام في لَفْحِ الهجيرةِ رافِعًا[1] ... يدَه لأمْرٍ ما أقامَ وهجَّرا

صِنوُ النّبي محمدٍ ووصيُّه ... وأبو سليليْهِ شَبِيرَ وشَبَّرا[2]

مَن ذا سواهُ من البريّةِ كلِّها ... زكّى بخاتمِه ومَدَّ الخِنْصِرا؟[3]

مَنْ غيرُه رُدَّتْ له شمسُ الضُّحَى ... وكفاه فضلًا في الأنامِ ومفخرا؟

مَنْ قَامَ في ذاتِ الإلهِ مجاهِدًا ... ولِحَصْدِ أعداءِ الإلهِ مُشَمِّرا؟

مَنْ نامَ فوقَ فراشِ طه غيرُه ... مُزَمِّلًا في بُرْدِهِ مُدَّثِّرا؟

مَنْ قَطَّ في بَدْرٍ رؤوسَ حُماتِها ... حَتّى علا بدرُ اليقينِ وأسفرا؟

مَنْ قَدَّ في أُحدٍ ورودَ كُماتِها ... إذ قَهْقَرَ الأسدُ الكميُّ وأدبرا؟[4]

مَنْ في حُنَينٍ كانَ ليثَ نِزالِها ... والصِّيدُ قد رَجَعتْ هناكَ إلى الورا؟

---

(١) اللَّفْحُ: لَفَحَتْه النارُ تَلْفَحُه لَفْحًا ولَفَحانًا أَصابت وجهه، وما كان من الرياح لَفْحٌ فهو حَرٌّ، والهجيرةُ: نصفُ النهار وقتَ اشتدادِ القيظِ، وهجَّرَ: سار في الهاجرة.

(٢) شَبَّر، وشَبِيرُ: هما من أَولادُ هارُونَ عليه السّلام، ومعناهما بالعربية: حَسَنٌ وحُسَيْنٌ، وبهما سَمّى الإمام عليٌّ عليه السلام ولديه شَبَّرَ وشَبِيرًا، يعني حَسَنًا وحُسَيْنًا.

(٣) الخِنْصِر: بكسر الصاد وفتحها الأصبع الصغرى.

(٤) الورود: واحده الوريد: عرق في العنق، والكُمَاة: جمع كَمِيٍّ وهو الشجاع الذي ستر جسمه بالسلاح.

مَنْ كانَ فاتحَ خيبرٍ إذْ أدْبرتْ ... عَنْها الثلاثةُ سَلْ بذلك خيبرا؟

مَنْ ذا بها المختارُ أعطاه اللّوا ... هَلْ كانَ ذلك حيدرًا أم حبترا؟(١)

أفَهَلْ بقي عُذرٌ لِمَنْ عَرفَ الهدى ... ثُم انْثَنى عَنْ نَهْجهِ وتغيّرا؟

لا يُبعد الرَّحمُن إلاّ عصبةً ... ضلّتْ وأخطأتِ السَّبيلَ الأنورا

نبذُوا كتابَ اللهِ خَلْفَ ظهورِهِمْ ... ليخالفُوا النصَّ الجليَّ الأظْهرا

واللهِ لو تركُوا الإمامةَ حيثمَا ... جُعِلَتْ لما فَرَعَتْ أميَّةُ مِنْبَرا

بل أهملوا نصَّ الولايةِ وارتدَوا ... حُلَلَ الإمامةِ نخوةً وتجبُّرَا

واحتالَ في يومِ الخميسِ دُلامُهُمْ ... في دفعِ تأكيدِ الوِصايةِ واجْتَرا(٢)

إذْ قالَ مهلًا إنَّما هو هاجِرٌ ... حاشا لعَقْلِ محمَّدٍ أنْ يَهْجُرا(٣)

تبًّا لَكُمْ أكذَا يُقالُ لأحمدٍ ... حاشاهُ مِنْ ذاكَ المقالِ المفترَى

---

(١) الحَبْتَرُ: القصير، والحَبْتَرُ من أَسماء الثعالب.

(٢) عن ابن عباس، قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب فقال النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: «هلموا لكتاب أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده». فقال عمر: إن رسول الله قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا له يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «قوموا عني، فلا ينبغي عندي التنازع». فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب باختلافهم ولغطهم. ولا ينبغي عند نبي تنازع. أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد، وغيرهم بلفظ مقارب.

(٣) الهَجْرُ: الهَذَيان. وكان الصواب التسليم لكل ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤)﴾ [النور] وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) [النجم]﴾.

يا جاهِـلًا ما أحدثوا في الدِّيْنِ سَـلْ ... يومَ السقيفةِ ما الذي فيه جرَى؟

(نقضوا الغَديْرَ) وأخَّرُوا مَنْ قَدَّمَ الـ ... ـهـادي النبيُّ وقـدَّمـوا مَـنْ أخَّـرا[1]

سـلبوا الوصـيَّ مـن الإمامـةِ مـا بِه ... ردَّاهُ خـيـرُ المرسلين وأزَّرَا

جعلـوه رابعَهُـم وكانَ مُقَدَّمًـا ... فيهمْ ومـأمـورًا وكـانَ مُـؤمَّـرا

وتعمَّـدوا مـن غَصْـبِ نِحْلـةِ فاطم ... وسهامِها المـوْروثِ أمـرًا مُنكرا[2]

يا مَـنْ يُريدُ الحـقَّ أنْصِتْ واسْـتمعْ ... قولي وكُـنْ أبَـدًا لَـهُ مُـتَـدَبِّـرا

اربَـأْ بنفسِـكَ[3] أن تَضِـلَّ عَـنِ الهدى ... وتَـظَـلَّ في تِيهِ الهوَى مُتَحيِّرا

أنـا ناصِـحٌ لـكَ إنْ قبلْـتَ نصِيحتي ... خَلِّ الضلالَ وخُذْ بِحُجْزَةِ حيدرا[4]

مَنْ لَمْ يكُنْ يأتي الصِّراطَ لدى القضا ... بـجـوازِهِ مِـنْ حيدرٍ لن يَعْبُرا

والَيتُـهُ وبَرِئْـتُ مِـنْ أعْدائِـهِ ... إذ لاَ ولاءَ يكونُ من دُونِ البَرا

قُـلْ للنَّواصِـبِ قَـدْ مُنِيْتُـمْ مِن شَـبَا ... فِكْري بِمَشْحُوذِ الجوانبِ أبْتَرا

---

(١) رحم الله الشاعر الهبل، ما كان أوسع اطلاعه وأغزر محفوظاته! فهو يشير في هذا البيت إلى ما كان من الصحابي الجليل عمار بن ياسر إذ قام بعد مبايعة السقيفة على نادي قريش فقال: يا معشر قريش إنا كنا لا نتكلم بين أيديكم، فأعزنا الله بالإسلام حتى صرنا كأحدكم فالله لا تخرجوا هذا الأمر من عترة نبيكم فتسلبوه يا معشر قريش، فآذوه وشتموه، فولى وهو يقول:

يا ناعي الإسلام قم فانعِهِ ... قد ماتَ عرفٌ وأتـى منكرُ

ما لقريشٍ لا علَا كعبُهـا ... مَنْ قدَّمُوا اليومَ ومَنْ أخَّرُوا

(انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد).

(٢) إشارة إلى (فَدَك) الذي ورثته فاطمة الزهراء من أبيها صلوات الله عليه وعلى آله، فُمنعت من الحصول عليه.

(٣) اربأ بنفسك: وارتفع بها.

(٤) الحُجْزَةُ: حيثُ يُثْنَى طَرَفُ الإزار.

كَمْ ذا إلى أبناءِ أحمدَ لم يزَلْ ... ظُلمًا يدبُّ ضريرُكُم[1] دَبَّ الضَّرى؟
أنا مَنْ أبَى لِيَ بغضَ آلِ محمَّد ... مَجْدٌ أنافَ على مُنيفَاتِ الذُّرا
أخوالِيَ الغُرُّ الأكارمُ هَاشمٌ ... وإذا ذكرتُ الأصلَ أذكر حِميرا
غَرْسٌ نَما في المجدِ أورقَ غُصنُهُ ... بِسوادِ أبناءِ النبيِّ وأثمرا
شرفي العظيمُ ومَفْخري أنِّي لَهُمْ ... عبدٌ وحُقَّ بِمثلِ ذا أن أفخرا
لَنْ يعتريني في اقتفاءِ طريقِهِمْ ... ريبٌ يصدُّ عن اليقينِ ولا امْترَا
هذي عقيدتيَ التي ألْقَى بِها ... ربَّ الأنامِ إذا أتيتُ المحشرا
إنّي رجوتُ رِضَا الإلهِ بِحبِّهِمْ ... وجعلتُه لي عندَهم أقوى العُرَا[2]
يا أيُّها الغادي المُجِدُّ بِجَسْرةٍ ... يَطْوي السَّباسِبَ رائِحًا ومُبكِّرَا[3]
جُزْ بالغَرِيِّ[4] مُسَلِّمًا مَتواضِعًا ... ولِحُرِّ وجْهِك في ثراهُ معفِّرا
حيثُ الإمامةُ والوصايةُ والوزا ... رةُ والهدى لا شكَّ فيه ولا مِرا
والْمم بقبرٍ فيه سيدةُ النِّسا ... بأبي وأمي ما أبرَّ وأطهرا
قبِّل ثراها عن محب قلبُهُ ... ما انفكَّ جَاحِمُ[5] حزنِهِ متسعِّرا
متلهفٌ غضبانُ مما نالها ... لا يستطيعُ تجلُّدًا وتصبُّرا
ذهبتْ بنِحْلَتِها البغاةُ وأظهروا ... سرًّا لَعَمْرِي كان قِدْمًا مُضْمَرا

---

(١) الضرير: المضارة، والضَّرى: الجَرَبُ بالجيم والراء المهملة وباء موحدة.
(٢) العُرَا: مفردها عُرْوَة: وهي من الثوب مدخل زره ومن الكوز مقبضه، وما يستمسك به ويعتصم (على المجاز) وفي التنزيل العزيز (فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها).
(٣) الجَسْرَةُ: الناقة العظيمة السريعة الجريئة على السير. السَّبَاسِبُ: القفار الواسعة.
(٤) الغَرِيُّ: موضع بالكوفة فيه قبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.
(٥) جاحم النار: توقُّدُها والتهابها.

وأفضْ إلى نجلِ النبيِّ محمدٍ ... والسبطَ من ريحانتيه الأكبرا

من طلَّقَ الدنيا ثلاثًا واغتدىٰ ... للضّرةِ الأخرىٰ عليها مُؤْثِرا

مستسلمًا إذ خانَه أصحابُه ... وعَراه من خِذْلانهم ما قد عَرَا

واستعجلَ الرِّجسُ ابن هند موتَهُ ... فسقاه كأسًا للمنيةِ أعفرا

وقُلِ التحيةُ من سَمِيِّكَ[1] مَنْ غَدَا ... بكمُ يُرجِّي ذنبَه أن يُغْفَرا

وبكرْبَلا عرِّجْ فإنَّ بكربلا ... رِمَمًا مَنعْنَ عيونَنا طعمَ الكَرَىٰ[2]

حيثُ الذي حزنتْ لمصرعِه السَّما ... وبكتْ لمقتلهِ نجيعًا أحمرا[3]

فإذا بلغتَ السُّؤلَ من هذا وذَا ... وقضيتَ حقًّا للزيارةِ أكبرا

عُجْ بالكُناسةِ[4] باكيًا لمصارعٍ ... غُرٍّ تذوبُ لها النفوسُ تحسّرُا

مهما نسيتُ فلستُ أنسىٰ مَصْرَعًا ... لأبي الحسينِ الدَّهرَ حتىٰ أُقْبَرا

ما زلتُ أسألُ كلَّ غادٍ رائحٍ ... عنْ قبرِهِ لم ألقَ عنهُ مخبِّرا

بأبي وبي بلْ بالخلائِقِ كلِّها ... مَنْ لا له قبرٌ يُزَارُ ولا يُرَىٰ

مَنْ لو يُوازَنُ فضلُه يومًا بفَضْـ ... ـلِ الخلقِ كانَ أتَمّ منه وأوفرا

مَنْ قامَ للرَّحمنِ ينصرُ دينَهُ ... ويحوطُهُ مِنْ أن يُضَامَ[5] ويُقْهَرا

---

(١) سَمِيُّكَ: هو مَنِ اسمُهُ كاسمِك. وهو يقصد الإمام الحسن السبط عليه السلام ..

(٢) الكَرَى: النوم.

(٣) النَّجِيعُ من الدم ما كان يضرب إلى السواد.

(٤) الكُنَاسَةُ: (كُنَاسةُ كُوفانَ): وهي موضعٌ بالكوفةِ التي تقع ناحية الجنوب من كربلاء في العراق، قُتِلَ بها الإمامُ زيدُ بن عليّ عليه السلام.

(٥) الضَّيْمُ: الظلمُ أو الإذلالُ ونحوُهما.

مَنْ نابذَ الطاغي اللعينَ وقادَها ... لقتالهِ شُعْثَ النَّواصي ضُمَّرا

مَنْ باعَ منْ ربِّ البريةِ نفسَهُ ... يا نِعْمَ بائِعُها ونعمَ مَنِ اشترى

مَنْ قامَ شاهرَ سيفِهِ في عُصْبة ... زيديّة يقفو السبيلَ الأنورا[1]

مَنْ لا يسامي كلُّ فضلٍ فَضْلَهُ ... مَنْ لا يُدانَى قَدْرُه أنْ يُقْدَرا

مَنْ جاءَ في الأخبارِ طيبُ ثنائِهِ ... عنْ جدِّهِ خيرِ الأنامِ مُكَرَّرا[2]

من قالَ فيهِ كقولهِ في جدِّه ... أعني عليًّا خيرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى

مِنْ أنَّ محضَ الحقِّ معهُ لم يكُنْ ... متقدِّمًا عنه ولا متأخِّرا[3]

هو صفوةُ اللهِ الذي نَعَشَ الهُدَى ... وحبيبُهُ بالنصِّ مِنْ خيرِ الورى

ومُزَلْزِلُ السَّبعِ الطباقِ إذا دَهَى[4] ... وُمزعزِعُ الشُّمِّ الشوامخِ إنْ قَرا[5]

كلٌّ يُقَصِّرُ عن مدى ميدانه ... وهو المُجَلِّي[6] في الكرامِ بلا مِرَا

باللهِ أحلِفُ أنّه لأجلُّ مَنْ ... بعدَ الوصيِّ سِوى شَبيرَ وشَبَّرا

---

(١) يقفو: يَتَتَبَّعُ الأثر.

(٢) المظلومُ من أهلِ بيتي سَمِيٌّ هذا، ثم ضمَّ زيدَ بنَ حارثة إليه، ثم قال: يا زيدُ لقد زادك اسمك عندي حبًّا، سمي الحبيب من أهل بيتي..

(٣) مما روي في ذلك ما رواه المرشد بالله عليه السلام وغيره عن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: يُقتل من ولدي رجلٌ يُدْعَى زيدًا بموضع يُعرَفُ بالكُنَاسةِ، يدعو إلى الحق، يتبعه عليه كل مؤمن.

(٤) دهى يَدْهُو دَهاءً: ورجل داهية: بصير بالأمور. .

(٥) وقد أُطلِقَ على الإمام زيد عليه السلام اسم حليف القرآن، لأنه خلا به متدبرًا آياته مدة ١٣ عامًا.

(٦) يقال للسابق الأول من الخيل المُجَلِّي.

قد فاقَ سادةَ بيتهِ بمكارمٍ ... غرَّاءَ جَلَّتْ أن تُعَدَّ وتُحْصَرا[1]

بسماحةٍ نبويةٍ قدْ أخْجَلَتْ ... بنوالِها حتى الغمامَ المطِرا

وشجاعةٍ علويَّةٍ قدْ أخرسَتْ ... ليثَ الشَّرى في غابِهِ أنْ يزأرا

ما زالَ مُذْ عَقَدتْ يداه إزارَهُ ... لم يَدْرِ كذْبًا في المقالِ ولا افْترا

لَمَّا تكامَلَ فيهِ كلُّ فضيلةٍ ... وسرَى بأفقِ المجدِ بدرًا نيِّرا

ورأى الضَّلالَ وقد طغَى طوفانُهُ[2] ... والحقّ قد ولَّى هُنالك مُدْبِرَا

سلَّ السيوفَ البِيضَ من عزماتِهِ[3] ... ليؤيِّدَ الدينَ الحنيفَ ويَنْصُرَا[4]

وسرَى على نُجبِ الشهادةِ قاصِدًا ... دارَ البقا يا قربَ ما حَمِدَ السُّرَى

وغدا وقد عقَدَ اللِّوا مُسْتَغْفِرًا ... تحتَ اللِّوا ومُهَلِّلًا ومُكَبِّرا

للهِ يحمدُ حيَن أكملَ دينَهُ ... وأنالَه الفضلَ الجزيلَ الأوفرا[5]

يُؤْلي أَلِيَّةَ[6] صادقٍ لو لم يكنْ ... لي غيرُ يحيى ابْني نصيرًا في الورى[7]

---

(١) راجعْ أقوال (أبي حنيفة النعمان) و(الإمام الباقر) و(خالد بن صفوان المنقري) وغيرهم في الإمام زيد (عليه السلام) في الحدائق الوردية وغيرها.

(٢) كانت الدولة الأموية في عهد هشام بن عبد الملك تتجاوز حدود الله، وتظلم الناس، وتنشر الضلال.

(٣) انطلقت ثورته عليه السلام ضد الظلم عام ١٢٢هـ.

(٤) قال الإمام زيد (ع) في إحدى خطبه: عبادَ الله لا تقاتلوا عدوَّكم على الشك فتضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة ثم القتال. انظر: الحدائق الوردية ١/ ٢٤٩.

(٥) قال في الإفادة ص ٤٧: لما خفقت الرايات فوق رأسه قال: (الحمد لله الذي أكمل ديني، لقد كنت استحيي من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أن أَرِدَ عليه ولم آمر في أمته بمعروف ولم أنه عن منكر)..

(٦) يولي: يحلف، والألية: القسم.

(٧) تفرَّقَ أهلُ الكوفة عنه بعد أن اشتمل ديوانه عليه السلام على بيعة ١٥ ألفًا منهم.

لم أثنِ عزمي أو يعودَ بيَ الهدى ... لا أمْتَ فيه أو أموتَ[1] فأُعْذَرا

ما سَرَّني أنّي لقيتُ محمَّدًا ... لم أُحْي معروفًا وأنكرْ منكرا

فأتوا إليهِ بالصَّواهِلِ شُزَّبًا ... وبِيَعْمُلاتِ العِيسِ تَنْفخُ في البُرَى[2]

وبكلِّ أبيضَ باترٍ وبكلِّ أزْ ... رقَ نافذ وبكلِّ لَدْن أسمرا[3]

فغدَتْ وراحتْ فيهمُ حملاتُهُ ... وسقاهُمُ كأسَ المنيّةِ أحمرَا

حتّى لقد جَبُنَ المشجِّعُ مِنْهُمُ ... وانْصَاعَ ليثُهُمُ الهصورُ مُقَهْقِرا

فهناكَ فوَّق كافِرٌ مِنْ بينِهِمْ ... سهمًا فشقَّ به الجبينَ الأزهرا

تركوه مُنْعَفِرَ الجبينِ وإنّما ... تركوا به الدِّينَ الحنيفَ مُعَفَّرا[4]

عَجَبًا لهمْ وهُمُ الثعالبُ ذلَّةً ... كيفَ اغتدى جَزْرًا لهم أسَدُ الشَّرى؟

صلبوهُ ظُلمًا بالعراءِ مجرَّدًا ... عن بُرْدِهِ وحمَوْهُ مِنْ أن يُسْتَرا

حتى إذا تركوه عُرْيَانًا علَى ... جذعٍ عتوًّا منهمُ وتجبُّرا

نسجَتْ عليهِ العنكبوتُ خيوطَها ... ضَنًّا بِعَوْرتِهِ المصونةِ أن تُرى[5]

---

(١) لا أمت فيه: لا عوج.

(٢) الصواهلُ: الخيلُ، والشزَّبُ: صفةٌ لها وهي الضامرةُ المعدَّةُ للحربِ والقتالِ. واليعملات: هما الجمل والناقة المطبوعان على العمل، والبُرى: جمع برة كل حلقة من سوار في أنف الناقة، والبرى أيضًا: التراب.

(٣) الأبيضُ: السيف. والأزرق: النَّصْلُ، وهو حديدةُ السَّهْمِ والرُّمْحِ والسيفِ ما لم يكنْ له مَقْبِضٌ. واللَّدْنُ: الرمح.

(٤) كان استشهاد الإمام صلوات الله عليه ليلة الجمعة لخمس بقين من المحرم سنة ١٢٢هـ على أصح الأقوال.

(٥) ضَنًّا: بُخْلاً، والضنين: الشديد البخل.

ولجِدِّهِ نسجَتْ قديمًا إنها ... لَيَدٌ يحقُّ لمثلِها أن تُشْكَرا

وَنَعَتْهُ أطيارُ السماءِ بواكيًا ... لَمَّا رَأَتْ أمرًا فظيعًا مُنْكَرا[1]

أكذَا حَبِيبُ اللّهِ يا أهلَ الشَّقَا ... وحبيبُ خيرِ الرسْلِ يُنْبَذُ بالعَرَا؟!

يا قُربَ ما اقْتَصيَّتُمُ مِنْ جدِّهِ ... وذكرتُمُ بَدْرًا عليهِ وخيبرا

أمَّا عليكَ أبا الحسينِ فلَنْ يزلْ ... حُزني جديدَ الثّوبِ حتّى أُقْبَرا

لم يَبْقَ لي بعدَ التجلُّدِ والأسى ... إلا فنائي حسرةً وتفكُّرا

يا عُظْمَ ما نالَتهُ مِنكَ مَعَاشِرٌ ... سُحْقًا لهم بينَ البريَّةِ معشرا

قادوا إليكَ المُضْمَراتِ كأنَّما ... يغزونَ كِسْرى-وَيْلَهُمْ-أوقيصرا

يَا لَوْ دَرَتْ مَنْ ذا لهِ قِيدَتْ لَمَا ... عَقَدَتْ سنابكُها عليها عِثْيَرَا[2]

حتىّ إذا جرَّعْتَهم كأسَ الرَّدى ... قتلًا وأفْنَيتَ العديدَ الأكثرا[3]

بعثَ (الرماةُ) إليكَ سهمًا نافذًا ... مَن راشَهُ شُلَّتْ يداهُ ومَن بَرى[4]

يا ليتني كنتُ الفِداءَ وإنَّهُ ... لم يجرِ فيكَ من الأعادي ما جرى

---

(١) راجع عن نعي الأطيار (حُميد الشهيد المحلي) في الحدائق الوردية، والمرشد بالله في الأمالي الاثنينية.

(٢) العِثْيَرُ: بكسر فسكون ففتح : التُّرَابُ.

(٣) كان الإمام زيد عليه السلام قد حقق انتصارات كبيرة على الجيوش الأموية، من تلك الانتصارات هزيمته للريان بن سلمة البلوي صاحب خيل يوسف بن عمر بعثه في نحو من ألفي فارس وثلاثمائة رجّالة لمقاتلة الإمام زيد إلى دار الرزق، فمني بالهزيمة. راجع الحدائق الوردية ١/ ٢٥٨، والأمالي الاثنينية، والمقاتل.

(٤) راش السهمَ: ألزقَ عليه الريش، وبَرَى السهمَ: نَحَتَهُ.

باعوا بقتلِكَ دينَهم تبًّا لَهُمْ ... يا صفقةً في دِينهم ما أخْسَرا
نَصَبوكَ مَصْلوبًا على الجذعِ الّذي ... لَوْ كان يدْري مَنْ عليه تَكَسَّرا
واسْتَنزلوكَ وأضرموا نيرانَهُمْ ... كيْ يُحرِقوا الجسْمَ المصونَ الأطْهرا[1]
فَرمَوْكَ في النِّيرانِ بُغْضًا مِنهمُ ... لِمُحمَّدٍ وكراهةً أن تُقْبَرا
ولكادَ يُخفيكَ الدُّجَى لو لم يَصرْ ... بجبينِكَ المَيمونِ صُبحًا مُسْفِرا
ووَشَى بتُرْبتِكَ التي شَرُفَتْ شذىً ... لولاهُ ما علمَ العدوُّ ولا درى
طيبٌ سَرَى لكَ زائرًا من طَيْبةٍ ... ومن الغَرِيِّ يُخالُ مِسكًا أذْفرا[2]
وذروا رمادَكَ في الفراتِ ضلالةً ... أتُرَى دَرَى ذاري رمادِكَ ما ذَرا؟[3]
هيهاتَ بلْ جَهِلُوا لطيبِ أريجِهِ ... أرَمَادَ جسمِكَ ما ذَرَوْا أم عَنْبَرا؟
سعدَ الفراتُ بقرْبِهِ فَلوِ انَّه ... ملحٌ أُجاجٌ عادَ عذبًا كوثرا
هذا جزاءُ أبيكَ أحمدَ مِنْهمُ ... إذ قامَ فيهمْ مُنْذِرًا ومُبشِّرا
وجزاءُ نُصْحِكَ حينَ قمتَ بأمرِهِ ... وسريتَ بدرًا في الظلامِ كما سرى
فاسعدْ لدى رضوانَ بالرضوانِ مِنْ ... ربِّ السماءِ فما أحقَّ وأجدرا

---

(١) ولي الخلافة الوليد بن يزيد بعد موت عمه هشام بن عبد الملك، وهو الذي أمر بتحريق الإمام زيد بعد أن مكث مصلوبًا بالكناسة أكثر من سنتين.

(٢) المسك الأذفر: الظاهر الشديد الرائحة..

(٣) كثرت كراماته عليه السلام، قال في التحف ص٧٥: ومنها أنها لما كثرت الآيات في حال صلبه أحرقوه وذروه في البحر فاجتمع في ذلك الموضع كهيئة الهلال، قال الديلمي صاحب القواعد: قد رأيناه، ويراه الصديق والعدو بلا منازع. ومن كراماته ما جرى مع محمد بن صفوان الجمحي حين قام على منبر مدينة الرسول الأعظم يلعن الإمام زيدًا وأهل بيته، حيث رماه الله في رأسه بصدع ذهب معه بصره في تلك الساعة ـ الحدائق الوردية ١/ ٢٦٢.

يهنيكَ قدْ جاورتَ جدَّكَ أحمدًا ... وأنالك اللهُ الجزاءَ الأوفرا

أهْوِنْ بهذي الدارِ في جنبِ التي ... أصبحتَ فيها للنعيمِ مُخَيَّرا

لو كانَ للدنيا لدى خَلَّاقِهَا ... قَدْرٌ لَخَوَّلَكَ النصيبَ الأوفرا

بلْ كنتَ عندَ اللهِ جلَّ جلالُهُ ... مِنْ أنْ يُنِيلَكَهَا أَجَلَّ وأخطرا

يا ليتَ شِعْرِي هلْ أكونُ مجاورًا ... لكَ أمْ تردُّنيَ الذنوبُ إلى الورا؟

أأُذَادُ عنكمْ في غدٍ وأنا الذي ... لي في ودادِكَ ذمةٌ لن تُخْفَرا؟

قل ذا الفتى حَضرَ اللقا معنا وإنْ ... أبطا بهِ عنَّا الزمانُ وأخَّرا

يا خيرَ مَنْ بقيامهِ ظَهَرَ الهُدى ... في الأرضِ وانهزمَ الضلالُ وقهقرا

عُذْرًا إذا قَصُرَتْ لديكَ مدائحي ... فيحقُّ لي ـ يا سيدي ـ أنْ أُعْذَرا

لم أجْرِ في مدحيكَ طِرْفَ عبارة ... إلا كَبَا مِنْ عَجْزِهِ وتَقَطَّرا[1]

أتَخَالُني لِمَدَى جلالِكَ بالغًا ... اللهُ أكبرُ ما أجلَّ وأكبرا

ماذا الذي المعصومُ دونَك حازَهُ ... إذ لم تزلْ مما يشينُ مُطَهَّرا

صلى عليكَ اللهُ بعدَ محمد ... ما سارَ ذكرُكَ مُنْجِدًا أو مُغْوِرا

والآلِ ما حيَّا الصَّبَا زَهْرَ الرُّبَا ... سَحَرًا وَعَطَّرَ طِيبُ ذِكْرِكَ مِنْبَرا

---

(١) الطِّرْفُ – بكسر الطاء : الأصيلُ من الخيلِ، وطِرْفُ عبارةٍ مجاز. وكَبَا: سقط. وتَقَطَّر: رَمَى بنفْسه من عُلُوٍّ.

ومما ورد فيهم قوله (رضوان الله عليه):

حتام عن جهل تلوم

حتام عن جهل تلوم ... مهلا فإن اللوم لوم
طرفي الذي يشكو السهاد ... وقلبي المضنى الكليم
إن الشقا في الحب عند ... العاشقين هو النعيم
ما الحب إلا مقلة ... عبراء أو جسم سقيم
وبلابل بين الجوا ... نح لا تنام ولا تنيم
يا من أكتم حبه ... والله بي وبه عليم
ما لي وما للوائمي ... أعليك ذو عقل يلوم
يا هل تراه يعود لي ... بك ذلك الزمن القديم
وهني عيش بالحوى ... لو أن عيش هنى يدوم
وبرامة إذ نلت من ... وصل الأحبة ما أروم
يا حبذا تلك الربو ... ع وحبذا تلك الرسوم
يا تاركين بمهجتي ... شررا يذوب له الجحيم
طال المطال ولم يهب ... لصدق وعدكم نسيم
مطل الغني غريمه ... حاشاكم خلق ذميم
أيخاف طول المطل من ... أهل الغري له غريم
بأبي وبي ذاك المحـ ... ـل ومن بتربته مقيم

يـا لـيـت شـعـري هـل إلـى ... تـلـك المـواطـن لـي قـدوم
ومـتـى أنـال بـهـن من ... تـعـفـيـر خـدي مـا أروم
ومـتـى أرانـي خـادمـا ... بـإزاء تـربـتـه أقـوم
حـيـاك قـبـرا بـالـغـري ... مـن الـحـيـا هـطـل سـجـوم
يـا قـبـر فـيـك المـرتـضـى ... والـسـيـد الـسـنـد الـكـريـم
فـيـك الـوصـي أخـو الـنـبـ ... ـي المـخـتـار والـنـبـأ العظيم
فـيـك الـنـجـاة مـن الـردى ... فـيـك الـصـراط المستقيم
فـيـك المـوازر والمـوا ... خـي والمـواسـي والـحـمـيـم
فـيـك الـشـجـاعـة والـنـدى ... والـعـلـم والـديـن الـقـويـم
فـيـك المـكـارم والـعـلا ... والمـجـد والـشـرف الصميم
فـيـك الإمـامـة والـزعـا ... مـة والـكـرامـة لا تـريـم
فـيـك الـذي يـشـفـى بتر ... ب نـعـالـه الـطـرف السقيم
فـيـك الـذي لـو أنـصـفـت ... لـهـوت لمـصـرعـه الـنـجـوم
فـيـك الـذي كـانـت تحا ... ذر بـأسـه الـصـيـد الـقـروم
فـيـك الـذي كـانـت تخـ ... ـف لـهـول مـوقـفـه الـحـلـوم
فـيـك الـخـصـيـم عـن المهيـ ... ـمن يـوم تجتمع الخصوم
لمـحـبـه دار الـبـقـا ... ولمـن يـعـاديـه الـجـحـيـم
مـن ذا سـواه لـهـذه ... ولـتـلـك فـي الأخـرى قسيم
صـرفـتـه أربـاب الـشـقـا ... عـمـا حـبـاه بـه الـعـلـيـم

لم ترع تلك المكرما ت وذلك السبق القديم
خذها أمير المؤمنيـ ـن كما زها الدر النظيم
كالروض باكره الحيا وتخطرت فيه النسيم
عذراء لم يفتضها أهل الحجاز ولا تميم
من مخلص لك لم تخا لجه الشكوك ولا الوهوم
واعذر فكل مفوه لسن بحقك لا يقوم
من ذا يفي بعظيم حقـ ـك إنه الحق العظيم
فأجزه واقبل عذره فالعذر يقبله الكريم
واشفع له إذ ليس ين فعه الصديق ولا الحميم
فعساه يظفر من رضى رب الأنام بما يروم

حبٌّ حتى الشهادة

لأمير شعراء اليمن الحسن بن علي بن جابر الهبل (رضوان الله عليه) المتوفى سنة ١٠٧٩هـ بصنعاء.

لَكُمْ آلَ الرسولِ جعلتُ وُدِّي وذاك أَجَلُّ أسبابِ السعادَهْ
وَلَو أنِّي استطعْتُ لَزِدتُّ حُبًّا وَلَكِنْ لا سبيلَ إلى الزِّيَادَهْ
أعيشُ وحبُّكمْ فَرْضِي ونَفْلِي وأُحْشَرُ وهو في عُنُقِي قِلادَهْ
أُنَاضِلُ عَنْ مَكَارِمِكُمْ لِأَنِّي كريمُ الأَصْلِ مَيْمُونُ الوِلادَهْ
أَظَلُّ مُجَاهِدًا لِحَلِيفِ نَصْبٍ أَضَلَّ بِبُغْضِكُمُ أَبَدًا رَشَادَهْ
فَإِنْ أَسْلَمْ فَأَجْرٌ لم يَفُتْنِي وَإِنْ أُقْتَلْ فَتَهْنِينِي الشَّهَادَهْ

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وأياكم لما فيه رضاه، أن يعيننا على طاعته، اللهم إنا نتولاك ونتولى رسولك ونتولى الإمام علياً ونتولى أعلام الهدى أوليائك من آل محمد، اللهم تقبل منا ووفقنا لأن نيسر في هذا الطريق وفي هذا النهج كما تريد منا يا ربي أن نكون، إنك سميع الدعاء، اللهم ارحم شهداءنا الأبرار اللهم اشفي جرحانا، اللهم من على أسرانا بالفكاك من أسرهم وانصرنا بنصرك وأيدنا بتأييدك ووفقنا لطاعتك حتى نكون بتوفيقك من حزبك الغالب.

●●●

المحتويات

حتى يُقام الدين الإسلامي لا بد له من قادة وأعلام ٥
اكتمال الدين تم بتحديد مصادر الهداية ٥
البديل عن مصادر الهداية هم المضلون والطواغيت ٧
مصادر الهداية هم صلة موثوقة وسليمة تصلنا بالله سبحانه وتعالى ٨
قوى الطاغوت كانت تتخاطب مع الناس حتى باسم الدين ٩
أكبر مشكلة هي انفصال الناس عن مصادر الهداية الحقيقية ١١
مسؤولية الهداية للعباد وتقديم الدين الحق إليهم مسألة ترتبط بالله سبحانه وتعالى ١١
الله هو من يحدد لعباده قناة الوصل به ١٢
اعتبارات الاختيار لمصادر الهداية ١٥
قوى الطاغوت كان أهم ما تركز عليه دائمًا أن تفصل الناس عن مصادر الهداية ١٦
بشرية الأنبياء ليقدموا من واقعهم النموذج والقدوة ١٨
الأمة إذا فارقت هذا المبدأ ستفتح على نفسها كل النوافذ التي يطل منها كل ضال ومتجبر وطاغية . ٢٠
دور القادة والأعلام ٢١
البلاغ والتبيين والتجسيد للدين ٢١
الحفاظ على الدين من التحريف ٢٣
ابتعاد الأمة عن الأعلام يجعلها قابلة للتحريف والتضليل ٢٤
الأنبياء هم طلائع الرموز والأعلام ٢٦
وبعد الأنبياء ورثتهم الحقيقيون ٢٦
سنة الله في الاصطفاء عبر التاريخ ٢٧
الله سبحانه وتعالى هو الذي له الحكم والأمر في عباده ٢٧
تنتهي القضية بالنسبة للناس إلى التسليم المطلق لأمر الله ٢٧
لماذا الاصطفاء وما الغاية منه؟ ٢٩
الاصطفاء فضل يترافق معه مسؤولية ٢٩
مؤهلات للنهوض بمسؤولية ٣٢
الاصطفاء هو سنة إلهية تنسجم مع التكريم للإنسان ٣٣
الاصطفاء هو من أجل الناس ٣٤
أهل البيت (عليهم السلام) هم الامتداد لهذه السنة الإلهية في الاصطفاء ٣٥
بعض ما ورد من الآيات والأحاديث التي تؤكد بأن أهل بيت رسول الله هم الامتداد للسنة الإلهية لهداية الأمة ٣٧
١) آية التطهير: ٣٧
٢ـ آية المباهلة ٣٨
٣) آية المودة: ٣٩
٤) آية (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)﴿فاطر:٣٢﴾: ٤٠

٥) (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)﴿الرعد:٧﴾ ٤١
بعض ما ورد عن رسول الله (صلواتُ الله عليه وعلى آله) في أهل البيت مما أجمعت عليه الأمة... ٤٢
قول النبي (صلواتُ الله عليه وعلى آله): ٤٤
ماذا يقول الإمام علي(عليه السلام) عن هذه السنة الإلهية؟ ٤٤
فهم هذه السنة الإلهية من أهم أبواب الهداية ٤٤
الأمة تحتاج إلى هدي من الله بشكل كتب وإلى أعلام للهدى قائمة ٤٥
إذا لم نتمسك بالأعلام الذين يضعهم الله فإن الآخرين سيصنعون لنا أعلاماً للباطل ٤٦
الاختيار الإلهي وفق مبدأ الكمال يشكل حماية لهذا الموقع الهام ٤٩
من هو الذي ولايته امتداد لولاية الله حتى من داخل أهل البيت أنفسهم؟ ٦١
الصلاة على محمد وعلى آل محمد توحي بالدور المنوط بهم ٦٥
مسؤولية هداية الأمة ليست سهلة مسؤولية تحتاج إلى مؤهلات ٦٥
نحن ندعوا في صلاتنا دائماً لمحمد وآل محمد بالمجد والرفعة والمكانة ليؤدوا دورهم على أكمل وجه ٦٦
ما الفرق بين علاقتي بأعلام الهدى من أهل البيت وبين علاقتي ببقية المؤمنين ٦٩
الصلاة على محمد وعلى آل محمد في صلاتنا هو أبلغ وأصدق تعبير عن ولائنا لهم ٧٠
الصلاة عليهم هي شهادة تدل على أن هداية الأمة، وقيادة الأمة، والقيام بأمر الأمة والدين هو منوط بمحمد وآل محمد ٧١
أهل البيت في التاريخ حظوا بعناية إلهية كبيرة بالرغم مما واجهوه نتيجة دعاء المسلمين لهم ٧٢
هذه الرعاية تدل على أن لأهل البيت دوراً مهما في هذه الأمة ٧٢
لو تمسكت الأمة بأهل البيت لأمنت من الاختلاف والضلال والضياع ٧٣
الأمة عندما ضيعت الأعلام ضاع الكتاب ٧٤
ارتباط القرآن الكريم بأهل البيت (عليهم السلام) ٧٧
متى نكون متبعين للقرآن؟ ٧٧
من التبيين القرآني، ما يهدي إليه القرآن بالنسبة لأعلام دين الله ٧٨
ولن يكون ظاهر القرآن متناقضاً مع ما يقدم من قرناء القرآن ٧٩
صور مشرقة من مواقف أهل البيت (عليهم السلام) ٨٠
أهل البيت من أعظم النعم على هذه الأمة ٨١
(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) ٨٢
حادثة المباهلة ٨٦
ومن الصور المشرقة والتي سطرها التاريخ من حياة أهل البيت (عليهم السلام) ٨٩
الإمام الحسين (عليه السلام) أمام الوليد ٨٩
من حياة الإمام زيد بن علي (عليه السلام) ٩٠
الإمام علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن (عليهم السلام) ٩٢
محمد بن إبراهيم طباطبا (عليه السلام) ٩٣
صورة من حياة الإمام القاسم بن إبراهيم (عليه السلام) ٩٤

صورة من حياة الإمام عيسى بن زيد (عليه السلام) ٩٥
صور من حياة الإمام الهادي (عليه السلام) ٩٥
السيد حسين والسيد عبد الملك (رضوان الله عليهما) هما الامتداد الحقيقي لأهل البيت عليهم السلام ٩٧
دورنا وواجبنا تجاه أهل البيت (عليهم السلام) هو الاتباع ١٠٣
الاتباع لأهل البيت يعني التأهيل الحقيقي ١٠٣
في مسيرة القرآن ليس بمعزل عن قيومية الله على خلقه ١٠٥
أعلام الهدى دورهم هو دور النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ١٠٦
أهل البيت وحدهم هم من عملوا على تربية الأمة تربية ترقى بها إلى أعلى درجات الإيمان ١٠٧
من الثوابت عند أهل البيت أنه يجب أن لا يكون للسلطة عندك قيمة ١٠٩
ما هو الدور المنوط بأهل البيت في هذه المرحلة؟ ١١١
في أوضاع كهذه يجب أن يكون أهل البيت هم أول من يدرك خطورتها ١١٢
يجب أن يكون أهل البيت هم أكثر جداً واهتماماً من اليهود ١١٣
إذا فرط أهل البيت فسيكون الغضب الإلهي عليهم أشد ١١٥
اليهود يعرفون أن أخطر الأمة عليهم هم آل محمد، وشيعتهم ١١٦
نصر الإسلام، وإنقاذ المستضعفين من عباد الله لا يكون إلا على يد أعلام دين الله ١١٧
كلما وجدنا آية فيها شرف لأهل البيت؛ فإنها مسئولية كبيرة أيضاً ١١٩
لن تنجح الأمة، ولن تخرج الأمة من أزماتها، ولن تنقذ الأمة من الوضعية المهينة التي تعيشها إلا بالتمسك بأهل البيت ١٢٠
أهل البيت لا يجوز أن يكونوا من النوع الذي يبحث عن مبررات القعود ١٢١
لا بد أن ننظر النظرة القرآنية الموضوعية لمن يصطفيهم الله ١٢٢
لهذا أُمِرَ الناس فيما يتعلق بأهل البيت بمودتهم فيما تعنيه المودة ١٢٤
الله يفصل لنا أهل البيت حتى نكون بعيدين عن التصنيفات ١٢٤
أعداء الأمة يحاربون قضية الربط بأهل البيت ١٢٦
أهمية الربط بالأعلام ١٢٦
لماذا غيب الأعلام في وسائل الإعلام؟ ١٢٧
تغييب أعلام الهدى من حياة الأمة ضربها ضربة قاضية ١٢٩
متى ما غاب أهل البيت غاب القرآن الكريم ١٢٩
أبرز دور للحركة الوهابية هو فصل الأمة عن أهل البيت (عليهم السلام) ١٣٠
الوهابيون صنيعة استعمارية ١٣١
أهل البيت (عليهم السلام) ودورهم في مواجهة التحريف والانحراف ١٣٦
متى تحرك حملة الموروث الجاهلي من بني أمية في مؤامرتهم ١٣٧
المؤسف بأن النهج الأموي هو الذي استمر في الأمة ١٣٩
وحصل ما كان يخشاه رسول الله من بني أمية ١٤٠
عمل بنو أمية على صنع أمة تقبل بباطلهم وشرهم وفسادهم ١٤١
في بعضٍ من الحالات استوى واقع الأمة في إسلامها وفي جاهليتها ١٤١

الإسلام أولى أهميةً كبيرةً للقيم المهمة في الحياة ١٤٢
غابت القيم والأخلاق من واقع الأمة، نتيجة ذلك الاستهداف لها من الحكم الأموي ١٤٤
ساء واقع الأمة وتنكرت للغة الحق والمسؤولية والدين ١٤٤
- تحريف المفاهيم الدينية ١٤٨
بنو أمية أفسدوا القِيَم، وقوَّضوا الأخلاق، وحرَّفوا المفاهيم، وزيَّفوا الوعي، وقلَّبوا الحقائق، وأضلُّوا كثيراً ١٥١
وكما كان هناك امتداد لحالة الانحراف التاريخية في واقع الأمة هناك أيضاً امتداد للنهج المحمدي الأصيل ١٥٣
ما الذي سيحمي الأمة اليوم في مواجهة أعدائها؟ ١٥٤
كل المذاهب تعترف بوجوب محبة أهل البيت (عليهم السلام) ١٥٤
نص الثقلين حجة كبيرة على الأمة ١٥٥
نحن معنيون أن نكون في هذه المسألة مبدئيين أن نهتم بالتعرف على تأريخ أهل البيت (عليهم السلام) ١٥٦
الذين ابتعدوا عن أهل البيت إنما اتجهوا إلى بدائل لا ترقى إلى مستوى أهل البيت ١٥٧
ماذا كانت مشكلة اليهود والنصارى؟ أليست حالة انحراف مع احتفاظ بالعناوين ١٥٨
كيف يجب أن يكون ارتباطنا وولاؤنا لأهل البيت (عليهم السلام) ١٥٨
الخوارج من أكبر العبر في التاريخ الإسلامي ١٥٩
الله قد رسم لنا طريق ليس من صلاحياتنا ولا من حقنا أن نقوم نحن باختيار بدائل ... ١٦٠
قطرة من بحر ما قيل من الشعر في أهل البيت (عليهم السلام) ١٦٣
كعب بن مالك الأنصاري (شاعر النبيّ صلّى الله عليه وآله): ١٦٣
قصيدة للشاعر الفرزدق (هَذا الّذي تعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأَتَهُ) ١٦٣
بكيتُ لرسم الدَّار منْ عَرَفَات ١٦٨
الكُمَيت الأسَدي (ت ١٢٦ هـ) ١٧٠
السيّد الحميَري (ت ١٧٣ هـ) ١٧٠
محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) ١٧١
الإمام علي وبنوه ١٧٢
حتام عن جهل تلوم ١٨٤
حبُّ حتى الشهادة ١٨٦

تم بحمد الله